وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الأوسط الوسيط

الموسومة بـ:

الكتابات التاريخية في العهد الزياني

(637-962هـ/1239-1554م)

إعداد الطالبتين:
- فرحي صباح
- آيت عراب يمينة

تحت إشراف:
أ. بورملة

اللجنة المناقشة:

أ.طيب بوجمعة..... رئيسا
أ.بورملة عربية..... مشرفا
أ.شرقي نوارة..... مناقشا

السنة الجامعية

1435هـ-1436هـ/ 2014م-2015م

إهـــــــداء

إهداء

أهدي ثمرة جهدي

إلى التي حملتني وهنا على وهن، وسهرت الليالي ولم تغمض جفن، وتحملت لأجلي كل المحن، وعلمتني في الحياة كيف أمتحن

أمي الحبيبة

وإلى الذي علمني الأدب والأخلاق، وإختار لي أفضل رواق وسقاني من حبه وعطفه أجمل مذاق

أبي الغالي

وإلى كل إخوة و أخوات كبيرهم و صغيرهم كل العائلة بدون استثناء.

صباح يمينة.

كلمة شكر وتقدير

إن الحمد لله والشكر له وحده الذي دلنا إلى طريق العلم والمعرفة

وهدانا للقيام بهذا العمل

أما بعد:

ففي البداية لا يسعنا إلا أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر الجزيل والتقدير البليغ إلى التي كانت لنا الناصحة المرشدة، والأخت المساعدة الأستاذة بورملة عربية،و **التي كانت**

عونا كبيرا لنا أثناء إنجاز مذكرتنا بنصائحها السديدة

و توجيهاتها الرشيدة

فلها منا كل الاحترام و التقدير

نشكرها على تحملها لنا، وصبرها الشديد علينا

فبوركت وبارك الله في علمك وأخلاقك ،و دمت فخرا لنا ولغيرنا .

وكما نتقدم بالشكر الجزيل إلى اللجنة التي قبلت مناقشة المذكرة

وضحوا من ثمين وقتهم لقراءة صفحاتها وتقييمها بميزان العارفين

راجين أن ينال هذا الجهد تقديرهم.

وكما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من علمنا حرفا، ونلنا بعلمه شرفا

جميع الأساتذة الكرام.

قائمة المختصرات

(...): حذف.

إ ع: إعداد.

إش : إشراف.

ب ت : بدون تاريخ.

ب ط: بدون طبعة.

ب م : بدون مكان.

ت : توفي او المتوفي.

تح : تحقيق.

تد : تدقيق.

تر : ترجمة.

تع : تعليق.

تق : تقديم.

ج : جزء.

ص : صفحة.

ص- ص : صفحتين متتابعتين.

ضب :ضبط.

ط : طبعة.

ط خ:طبعة خاصة.

ع : عدد.

م ميلادي.

مج : مجلد.

مر : مراجعة.

نص : نص.

هـ :هجري.

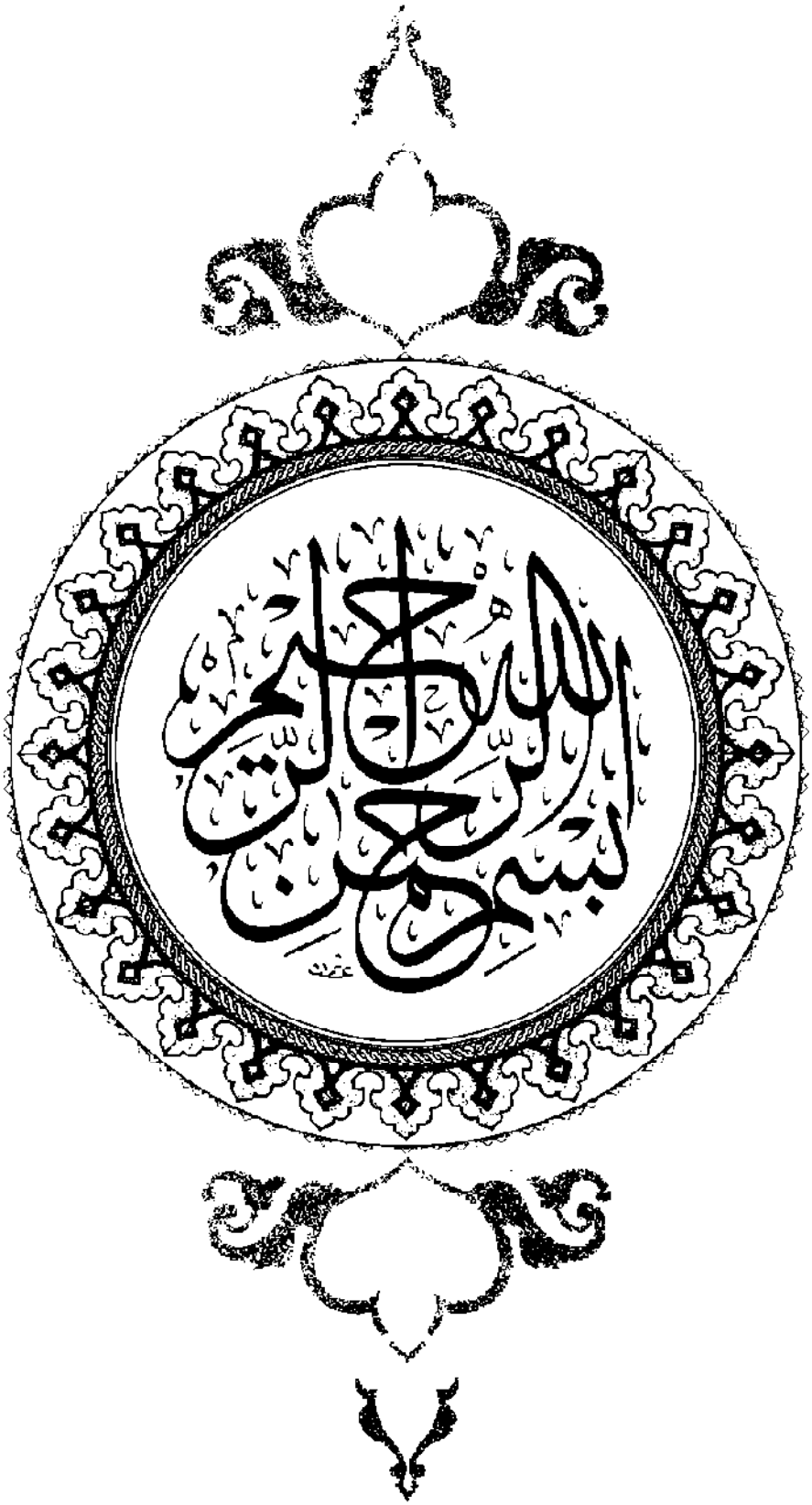
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

تقاسم المغرب الأوسط الوزن الحضاري الإسلامي مع المغربين الأدنى والأقصى، فكما كان للقيروان علماؤها وفقهاؤها، ولمراكش فلاسفتها ومفكروها، ولقرطبة صناعها ومبدعوها، كان لتلمسان نبغاؤها وصلحاؤها؛ إذ عدت من المدن التي تغذت بالثقافة الإسلامية منذ عصر الفتوح، فتأثرت بمختلف التيارات الفكرية التي طبعت المجتمع الإسلامي بطابعها، ونما في أهلها التشبث بالإسلام وتعاليمه واحترام العلماء وتبجيلهم .

وعليه فقد تألق في هذه الحاضرة جمع غفير من العلماء والفقهاء والفلاسفة والشعراء و المؤرخين الذين نشروا معارفهم ومآثرهم في ربوع الأرض كافة، فبرزوا من خلال مخزونهم الفكري المتنوع الذي أثَّر إيجابا على الحركة التأليفية طيلة الحقبة التاريخية للدولة الزيانية .

فظهرت كتابات سُجل فيها تاريخ هذا العهد وهي عادة كل الدول في تخليد أمجادها والاعتبار بالماضي، وهو الذي سنتطرق إليه في موضوعنا حسب ما دونوه من مصنفات في تاريخ الدولة الزيانية وحاضرتها، وانشغالهم بالتاريخ وفروعه كالسير والتراجم وتاريخ البلاط والفهارس والمناقب؛ورغم ضياع الكثير من المؤلفات التي لا تزال في حكم المفقود كزهر البستان في جزئيه الأول والثالث، و كتاب تاريخ تلمسان لابن هدية ،فقد بقي لنا القليل منها والتي من خلالها نتعرف على ما يميز حركة التأليف التاريخي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني.

ومن هذا المنطلق ارتأينا أن يأخذ بحثُنا مسَار الكشف عن "**التدوين التاريخي في العهد الزياني 633هـ-962هـ/1235م-1555م**" وتوَجُهه وذلك لمدى التطور الثقافي لحاضرة تلمسان خلال هذا العهد ونبوغ علمائها ومفكريها في الجانب التأليفي، وجاء اختيارنا للموضوع عن رغبة واهتمام بالغ بالتاريخ الثقافي والفكري الذي يعكس هوية وأصالة المجتمع الزياني، كما يساهم الموضوع في الكشف عن المكتبة التاريخية الخاصة بالدولة الزيانية.

ولكشف الغموض عن مسار الكتابة التاريخية لهذا العهد عمدنا إلى معالجة الإشكال المحوري للتمكن من ضبط حركة الإنتاج التاريخي بتلمسان الزيانية؛ الذي يعكس عدة جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية في بلاد المغرب الأوسط، والذي تفرعت منه مجموعة من الإشكاليات الفرعية توجب علينا الإجابة عليها وهي : إلى أي مدى ساهم علماء المغرب الأوسط في كتابة تاريخهم قبل العهد الزياني ؟ وما هو حال أو مسار الكتابة التاريخية في العهد الزياني؟ وهل هناك عوامل وخلفيات دفعت بالزيانين إلى تدوين تاريخهم طول فترة المغرب الأوسط؟ بماذا امتازت الكتابات على العهد الزياني هل كانت موضوعية أم أن كل المؤرخين كانوا مؤرخي سلطة وكتبوا لصالح السلطان الزياني وما هي أهم المؤلفات التاريخية التي دونت على هذا العهد؟وهل لقي هذا الجانب اهتمام من قبل العلماء مقارنة بالعلوم الأخرى؟ وبعد اختيارنا لنموذج في المناقب والسياسة كدراسة تطبيقية ،فما النمط والأسلوب المعتمد في النموذجين المختارين؟ وما أبعاد الحقيقة التاريخية التي يحملانها؟

وللإجابة على التساؤلات المطروحة جاءت الخطة تتضمن مقدمة، و**مدخل** تطرقنا فيه إلى دراسة"**تطور الكتابة التاريخية في المغرب الأوسط وأحوال تدوينه من الفتح الإسلامي إلى غاية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي**"،والغرض منه تتبع حركة التأليف التاريخي في المغرب الأوسط بتسلسل من الفتح الإسلامي وصولا إلى معرفة المستوى الذي صار عليه في العهد الزياني وما الإضافات الجديدة التي طرأت على مسار تطور الكتابة التاريخية عبر هذه القرون، ودعمنا المدخل بملحقين الأول يبرز مكانة علم التاريخ بين العلوم الأخرى، والثاني يبرز عدد المؤرخين الذين تم إحصاؤهم لهذه الفترة.

واشتمل **الفصل الأول** على "**العوامل المساعدة علي حركة التأليف**"؛ من خلال إبراز عناية السلاطين الزيانين بالعلم والعلماء واستقطاب الكثير منهم كالسلطان أبو حمو الذي استدعى لبلاطه الكاتب يحي بن خلدون، كما تطرقنا لنظام التعليم بمراحله الذي يعطي دفعا قويا للحركة

العلمية من خلال إدخال طرق جديدة في التعليم، تم إبراز أهمية الرحلة العلمية ودورها في إخصاب الفكر عن طريق لقاء المشايخ والأخذ عنهم فتكونن الرحلة بذلك خير حافز لدعم الإنتاج العلمي، ولقد أدرجنا هذه العوامل في فصل كامل بدلا من مبحث باعتبارها الركيزة التي دفعت أساسا للتاليف في هذا العهد، ولولا هذا الدافع المشجع للحركة العلمية لما كان هناك تأليف؛ كما حدث مع بعض الدول السابقة كالدولة المرابطية مثلا.

أما **الفصل الثاني "فخصصناه لحركة التأليف التاريخي بتلمسان الزيانية."** إذ قدمنا فيه الإنتاج التاريخي من خلال عرض المؤلفات التاريخية بفروعها التي تساهم بدورها في المجال التاريخي من مناقب وتراجم ونوازل فقهية، وجاءت الدراسة النقدية لهذه الكتابات من خلال عرض مسار ومنهج الكتابة التاريخية بتلمسان خلال هذه الفترة المدروسة فعرضنا العوامل التي أثرت على مسارها وألحقنا به دائرة نسبية توضح نسبة مساهمة العلماء لهذه الفترة في علم التاريخ مقارنة بالعلوم الأخرى، كما قدمنا عرضًا لطبيعة الإنتاج التاريخي والأساليب المعتمدة التي كانت تتفاوت بين ضعف وازدهار خلال القرون الثلاثة التي عمرت فيها الدولة الزيانية.

و **الفصل الثالث** أردناه أن يكون **"دراسة تطبيقية لنموذج في المناقب والسياسة"**، نبرز من خلاله منهج الكتابة؛ والمادة التاريخية التي تحتويها أمثال هذا النوع من الكتابة إذ كان النموذج الأول الذي اخترناه في المناقب وهو **كتاب المناقب المرزوقية لابن مرزوق الخطيب** (ت781هـ/ 1379م) الذي يعتبر من المؤلِّفين الذين كان لهم الفضل في إبراز التأْليف التاريخي في القرن الثامن، والنموذج الثاني في التنظيم والسياسة من خلال **كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسي** (ت:791هـ/1388م) الذي يعبر عن نصائح وإرشادات قدمها السلطان لابنه ولي عهده فأتى عبارة عن وصية تشمل مختلف الجوانب السياسية والأخلاقية والاقتصادية...الخ، وجاءاختيارنا لهذا الكتاب باعتباره أول كتاب يكتب في هذا المجال من طرف سلطان الدولة ورغبة في إبراز النصوص التي تخدم الجانب التاريخي.

أما الخاتمة فهي خلاصة هذه الدراسة استخلصنا منها النتائج المتوصل إليها في مجال البحث.

والملاحق جاءت عبارة عن جداول وبيانات تكمل الموضوع ،كما خصصنا جانبا للفهارس، وآخر للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها.

والمنهج المعتمد في الدراسة هو المنهج التاريخي التحليلي النقدي المقارن للكتابة التاريخية خلال القرون المذكورة، وتطورها إلى غاية العهد الزياني والمقارنة بين أساليب الكتابة فيها، ونقدها بإبراز ميزاتها وطبيعتها.

وارتكز بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي لها علاقة بالموضوع، فكانت متنوعة بين التاريخية،**وكتب مناقب وتراجم وكتب الرحلة** وأخرى **جغرافية** بالإضافة إلى بعض **المراجع الحديثة** من مقالات خاصة بالموضوع إذ أفادتنا بشكل كبير بحكم أن طبيعة موضوعنا تحتاج إلى هذا النوع من الدراسات وسنعرض بعضها حسب أهمية الاستعمال:

1ــ كتب التاريخ:

كتاب بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، بجزئيه الأول والثاني لصاحبه **أبو زكريا يحي بن خلدون** (ت:780هـــ/1378م)، ولكونه عمل كاتبا للرسائل في ديوان السلطان أبو حمو موسى الثاني كان له إطلاع على الوثائق الرسمية للدولة الزيانية، فأفادنا في مختلف محطات دراستنا حيث استقينا منه معلومات مهمة حول اهتمام السلاطين بالعلم والعلماء وإنشاء المراكز العلمية، كما ساعدنا الجزء الثاني في دراسة أنموذج واسطة السلوك في سياسة الملوك.

كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الزياني (ت:791هـــ/1389م) الذي يبين سلوك الملوك العظام في تسير الملك لتحقيق النظام السياسي الأمثل، وللكتاب قيمة تاريخية هامة لذا اعتمدنا عليه كأنموذج ثانٍ في دراستنا التطبيقية.

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لمؤلفه عبد الرحمان ابن خلدون (ت:808هـ/1406م)،لقد اعتمدنا على العديد من أجزائه وخاصة الجزئيين السادس والسابع لما فيهما من مادة تاريخية متعلقة بالمغرب الأوسط فكان مصدرا مهما للدراسة.

كتاب مقدمة ابن خلدون التي تعكس صورة نضوج الفكر التاريخي خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، فاستفدنا منها فيما يخص التعريف بعلم التاريخ ومناهج التعليم التي كانت سائدة في بلاد المغرب الإسلامي وخصوصا المغرب الأوسط، وطرق تلقينه.

نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان لأبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي(ت:899هـ/1494م) الذي استفدنا منه في في تتبع عناية السلاطين الزيانين بالعلم، وذكره للمدارس التي أسست على عهدهم،كما عكس لنا طبيعة التأليف خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.

بالإضافة إلى **كتاب الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا لمؤلفه أبو القاسم الزياني** الذي اعتمدناه في تأكيد السنوات الهجرية والميلادية من خلال جدول المقارنة بين السنوات الذي قام به المؤلف.

2 ــ كتب المناقب والتراجم:

الإحاطة في أخبار غرناطة للوزير لسان الدين بن الخطيب (ت: 776هـ/1370م)،يعد هذا الكتاب من أهم الكتب في التاريخ والتراجم فساهم في التعريف بشخصيات تاريخية وعلمية حيث استفدنا منه في الترجمة لبعض العلماء، واستقينا منه المستوى العلمي الذي كان سائدا في العهد الزياني من خلال إنتاجهم التأليفي وخاصة التاريخي منه، وعلى وجه الخصوص أفادنا كثيرا في التعرف على ملامح شخصية ابن مرزوق الخطيب في جزئه الثالث.

المناقب المرزوقية لابن مرزوق الخطيب(ت:781هـ/1379م)كانت الاستفادة منه بشكل كبير وواسع في الفصل الثالث نظرًا لاعتباره أنموذج دراستنا فأفادنا بتسليطه الضوء على جوانب هامة من الحياة العلمية والاجتماعية في تلمسان.

نيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتي (ت 963هـ/1036م)، تضمن ترجمة لمشاهير الأئمة وكان منهم علماء المغرب الأوسط،ولقد اعتمدنا عليه في التعريف ببعض الفقهاء والعلماء الزيانين والمرينين .

تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمد الحفناوي ،يتكون من قسمين يشتمل على معلومات تاريخية وأدبية واجتماعية مهمة من خلال ترجمته لأهم علماء تلمسان والمغرب الأوسط ،كذلك استعملناه في الترجمة لشخصيات علمية .

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لأبي عبد الله ابن مريم المليتي المديوني التلمساني(ت: 1014هـ/1605م)، الذي ترجم لاثنين وثمانين ومائة عالم ووالي وصالح، أفادنا هذا الكتاب في الترجمة لمختلف الشخصيات المذكورة في بحثنا هذا، وكما أمدنا بنظرة عن الحياة العلمية والثقافية التي كانت سائدة في المغرب الأوسط في العهد الزياني بذكره لمختلف العلماء وأثارهم ومؤلفاتهم التي خلفوها.

نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب لأبي العباس المقري التلمساني (ت: 1041هـ/ 1637م)، وهو عبارة عن موسوعة تراجم لأدباء وفقهاء المغرب والأندلس، هو الأخر أفادنا في دراسة شخصية ابن مرزوق الخطيب.

5ـ **كتب الجغرافية:**

كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق لأبي محمد بن إدريس الحسيني المعروف بالشريف الإدريسي (ت:548هـ/1159م) يتكون الكتاب من جزئيين ، و يشتمل على معلومات مهمة في الجغرافيا والبقاع المعروفة في تلك الفترة، و**كتاب معجم البلدان** لمؤلفه **ياقوت الحموي** (**ت**:626هـ) فيه خمسة أجزاء، يقدم لنا وصفًا للمناطق والبلدان من حيث ذكر جبالها وبحارها وأقاليمها و**كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** لكاتبه **أبي عبيد الله البكري** (ت:487هـ/1094م) وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، يحتوي الكتاب بالإضافة إلى معلومات جغرافية على معلومات تاريخية واقتصادية مهمة عن المغرب، ...و غيرها من الكتب التي ساعدتنا بشكل كبير في التعريف بالأماكن والمناطق التي تطرقنا إليها. **الرحلة** :

6- كتاب الرحلة:

التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا لعبد الرحمن بن خلدون، وهو عبارة عن سيرة ذاتية كتبها لنفسه وعرف فيه شيوخه، واستفدنا منه في حديثه عن إقامته بتلمسان فذكر علمائها والحركة التأليفية بها.

رحلة القلصادي لأبي الحسن علي بن محمد(ت:891هـ/1486م)، والمسمى كذلك "**تمهيد الطالب ومنتهى الرغب إلى أعلى المنازل والمناقب** "، رحلته كانت لطلب العلم وخلالها مر بالمغرب وبمدينة تلمسان فأفادنا في وصفه الوضع العلمي والفكري بها.

وصف إفريقيا للحسن بن محمد الوزان الفاسي (ت:944هـ/1537م) تعرض لوصف الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لمدن المغرب الأوسط وذكر أهم المدارس الموجودة بها.

7-المراجع :

من بين أهم جملة المراجع المعتمدة نقتصر على ذكر البعض منها: **تلمسان في العهد الزياني، لعبد العزيز فيلالي،** و هو في جزئيين فخصَّص الجزء الأول لدراسة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، أما الجزء الثاني فخصَّصه لدراسة الأوضاع الثقافية، والذي أفادنا كثيرا في معرفة جميع العوامل المساعدة على تطور الكتابة التاريخية في العهد الزياني .

تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر ،لصالح بن قربة وآخرين، فتضمن الكتاب عرض لمدارس تلمسان بطريقة تحليلية وبذلك استفدنا منه بمعرفة مختلف المدارس الزيانية.

مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط (الجزائر) خلال العصر الوسيط، الذي أفادنا فيما يخص الإنتاج التأريخي للعهد الزياني.

وجملة من المقالات ذات الصلة بالموضوع والمنشورة في مجلات كمجلة الأصالة ومجلة عصور الجديدة ومراجع أخرى، سنأتي على ذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا فلا يخفى على الباحث في تاريخ المغرب الأوسط أنه يفتقر إلى المادة العلمية التي تثري الموضوع من مختلف جوانبه بشكل كافٍ، وخاصة منها المتخصصة من الدراسات السابقة إلا كتاب **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي لمؤلفه عمارة علاوة،** إذ أن كل ما توفره عبارة عن شذرات لا تفي بالغرض.

مدخل

الكتابة التاريخية في المغرب الأوسط

ما بين القرنين (1-7هـ/7-13م)

1.أحوال التدوين التاريخي في المغرب الأوسط من الفتح الإسلامي إلى القرن (3هـ/9م):

عرف علم التاريخ[1] تطورا تدريجيا عبر العصور بتطور مناهج الكتابة التاريخية وتحددت معالمه بصفة واضحة مع ظهور ابن خلدون محدد المنهج التاريخي في مقدمته وتاريخيه، إذ أشاد بفضل التاريخ[2] قائلا: «اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضي من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولتهم وسيادهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدنيا والدين»[3].

كان المشارقة هم السباقين لتدوين أخبار الغرب الإسلامي، حيث اندمج تاريخه في مؤلفاهم، ويعود ذلك إلى الاهتمام الجاد بالتاريخ وتدوينه مع ظهور الإسلام وإقامة دولته حيث تضافرت العوامل والأسباب العديدة التي حفزت العناية به وكان منها تاريخية الإسلام التي تمثلت بالإرشادات التي وردت في القرآن الكريم عن الأمم السابقة منها قوله عز وجل: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[4].

---

1 – **علم التاريخ:** التاريخ لغة: من أَرَخَ، والتاريخ التعريف بالوقت الذي به تضبط الأحوال، ينظر: شمس الدين بن عبد الرحمن السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، درا تع: روزنتال تر:صالح أحمد العلي ، بيروت، دار الكتب العلمية، د ط، دت، ص:14. اصطلاحا : يقصد به ذلك العلم الذي يتضمن ذكر الأحداث وأوقاتها أسبابها ونتائجها كذلك معرفة النواحي الحضارية من حيث نشوئها وتطورها وعوامل ازدهارها واضمحلالها، والتاريخ عند العرب كان واحدا من العلوم التي تطورت دون تأثير يذكر بالمصادر الأجنبية على عكس الكثير من العلوم الأخرى التي كان التأثير الأجنبي فيها واضحًا على الأقل في نشأتها، ينظر: أحمد إسماعيل الجبور وخولة محمود الصميدعي، تاريخ العلوم عند المسلمين،عمان، دار الفكر، ط1، 1435هـ ــ 2014م، ص ص: 84 ،85.

2 – لخضر فاضل، "**تمحيص الرواية التاريخية عند ابن لدون والمؤرخون القدامى**"، مجلة عصور الجديدة، وهران دار القدس العربي، 1433-1434هـ/2012،ع: 07-08، ص: 12، 13 بتصرف.

3 – ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، ضب: خليل شحادة، مر::سهيل زكار، بيروت ،دار الفكر،د ط، 1421هـ/2001، ص:13.

4 – سورة يوسف، الآية: 03.

وقوله تعالى: ﴿**تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا...**﴾[1].

معرفة سيرة الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم-، والخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين، معرفة تطبيقات النظام السياسي والمالي والقضائي والإداري في الإسلام والعلاقات بين المسلمين وغيرهم[2].

ثم إن وضع التقويم الهجري في عهد الخليفة عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- أدخل عاملا مساعدا على فكرة التأريخ عند المسلمين وارتبطت منذ ذلك الوقت أحداث التاريخ الإسلامي الأول بالتقويم الهجري، بالإضافة إلى تشجيع الخلفاء والحكام في العهود الأموية والعباسية والفاطمية وسواها على التدوين التاريخي وكثيرا ما طالب الحكام أنفسهم من المؤرخين أو يؤرخوا تاريخ خليفة أو حاكم أو عصر أو مرحلة من المراحل[3]، وقيام الدراسات الأدبية والتاريخية ردا على الحركة الشعوبية وأغراضها الإقليمية التي لونت بها دراستها، وظهور صناعة الورق وانتشار استخدامها، وأمثال ذلك من العوامل التي حفزت على الاهتمام بالتاريخ وتدوينه وإثراء مادته[4].

ومن نماذج الكتب المشرقية التي اهتمت بالتدوين التاريخي لأخبار المغرب الإسلامي: "كتاب النسب الكبير" أو "الجمهرة في الأنساب" لابن الكلبي هشام بن محمد بن سائب الكوفي المتوفى عام 204هـ/819م، و"فتوح افريقية" للواقدي محمد بن عمر المديني المتوفى عام 207هـ/823م، وكتاب "فتوح البلدان الصغير" للبلاذري أحمد بن يحي البغدادي المتوفى عام 279هـ/892م، و"مروج الذهب للمسعودي" على بن حسن البغدادي المتوفى عام 345هـ/956م[5].

---

1 - سورة الأعراف، الآية: 101.

2 - أحمد إسماعيل الجبوري، المرجع السابق، ص: 86.

3 - حسن الحلاق، "**عطاء العرب الحضاري في ميدان التاريخ**"، مجلة :آفاق الثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث 1418هـ/1997م، ع: 17، ص: 31.

4 - أحمد إسماعيل، المرجع نفسه، ص: 86.

5 - محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب (من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث)، الدار البيضاء، مؤسسة النشر والتوزيع، د ط، 1404هـ/1983م، ج01، ص: 17.

واحتذاءً لمنهجية هذه المؤلفات بدأ التدوين في الغرب الإسلامي بالكتابة في الفتوح والأنساب وتاريخ الدول.

أول كتاب مذكور في المغازي ألف بإفريقية هو "فتوح افريقية" لابن المهاجر عيسى بن محمد ابن سليمان القيرواني الأنصاري توفي في نهاية القرن 02هـ/08م[1]، وفيه يبرز جليا تأثير الفنون التاريخية ببلاد المشرق في إرساء قواعد الفكر التاريخي ببلاد المغرب والذي تميز بالاهتمام بالفتوح[2].

لكن بعد الكتابات الأولى حول بلاد المغرب من طرف مؤرخي المشرق خلال العصر العباسي الأول، تراجع الاهتمام المشرقي بما دار في المغرب الإسلامي، نتيجة تفكك وحدة دار الإسلام واضمحلال قوة الخلافة الموحدة للأمة الإسلامية[3].

قد قامت في بلاد المغرب عدة دويلات مستقلة عنها: العلوية كالأدارسة[4] بفاس، والإباضة كالإمامة الرستمية[5] بتاهرت، والصفرية كإمـــامة بني مدرار بسجلماسة[6]، أو تابعة اسميا

1 – محمد المنوني، المرجع السابق، ص: 17.

2 – علاوة عمارة، "**كتابة التاريخ في المغرب الإسلامي الوسيط**"، موقع: مكتبتنا العربية، 2015، 9:00، ص:05.

3 – علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2008،ص: 152.

4 – **دولة الأدارسة:** قامت دولة الأدارسة سنة (172–311هـ/788–923م) بالمغرب الأقصى، فأولهم إدريس بن عبد الله، بويع له بالخلافة بمدينة وليلي. ينظر:ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تونس، المطبعة الدولة التونسية بحضارتها المحمية، ط01، 1286م، ص: 99. يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1999م، ج01، ص: 133، 135.

5 – **الدولة الرستمية:** نشأة الإمارة الرستمية بالمغرب الأوسط، (160–296هـ/776–909م)، على يد عبد الرحمن بن رستم، ينظر: البكري أبي عبيد، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، القاهرة ،دار الكتاب الإسلامي، د ط، د ت، ص: 67، 68. يحي بوعزيز، المرجع نفسه، ص: 97، 98.

6 – **الدولة المدرارية:** تأسست الدولة المدرارية سنة 140هـ/757م،عاصمتها سجلماسة تقع جنوب المغرب الأقصى، وأول من حكم بهذه الدولة هو عيسي بن يزيد الأسود، ويعد المنتصر اليسع بن أبي القاسم، أبرز حكام بني مدرار بعد وفات مؤسسها الحقيقي أبو القاسم السمكو بن واسول المكناسي الملقب بمدرار، ينظر: البكري ،المصدر نفسه، ص ص: 148، 150.

للخلافة، كالأغالبة بالقـــيروان[1]، ولهذه الوضعية الجديدة دور في نشأة الفكر التاريخي ببلاد المغرب[2].

2.التاريخ والكتابات التاريخية على العهد الرستمي:

دخل المغرب الأوسط مرحلة جديدة بظهور أول دولة مستقلة سنة 160هـــ/777م على يد عبد الرحمن بن رستم (160-171هـــ/777ـــ787م)، إذ أقامت هذه الدولة قاعدة ثقافية متينة في تيهرت[3]، وجعلوا منها حاضرة ثقافية تضاهي القيروان[4] وقرطبة[5]، وفاس[6]، لأن العلم شكل أول اهتمامات الأئمة الرسميين[7]، إذ ساهموا في إنعاش الحياة الفكرية وبعث العلم والثقافة في

1 – **دولة الأغالبة:** نشأة الإمارة الأغلبية في المغرب الأدنى سنة (184–296هـــ/800–909م) في رقادة ، ينظر: ابن الخطيب لسان الدين، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح وتع: أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، الدار البيضاء، دار الكتاب، د ط، 1964، ص: 14.

2 – علاوة عمارة، المرجع السابق، ص: 04.

3 – **تيهرت:** قاعدة ثقافية وعاصمة سياسية للدولة الرستمية، وهي مدينة مشهورة من مدن المغرب الأوسط على طريق المسيلة من تلمسان، وكانت فيما سلف مدينتين كبيرتين، إحداهما قديمة والأخرى محدثة. ينظر: الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، بيروت ،مكتبة لبنان، ط02، 1984م، ص: 126. البكري، المصدر السابق، ص: 66. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س، كولان، ليفي برفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط03، 1983م، ج01، ص: 196، 197.

4 – **القيروان:** معرب وهو بالفارسية كاروان، وقد تكلمت به العرب قديما والقيروان في القسم الثالث مدينة عظيمة لطباعة وليس بالمغرب مدينة أجل منها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، بيروت، دار الصادر، د ط، 1404هـــ/1984م، مج: 04، ص: 420.

5 – **قرطبة:** حاضرة الخلافة الأموية بالأندلس، تحتل مكانة سياسية بين جميع المدن الأندلسية الأخرى، وكان اسمها يدوي في العالم اجمع باعتبارها اكبر مدن العالم بعد القسنطينية. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ص: 324، السيد عبد العزيز سالم، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، بيروت ،دار الغرب الإسلامي، ط01، د ت، ص: 543 .

6 – **فاس:** مدينة مشهورة كبيرة تأسست سنة 192هـــ/807م، تكتسب أهمية خاصة في التاريخ الإسلامي لبلاد المغرب الأقصى إذ عدت أعظم إنجاز شيده الأدارسة، فكانت حاضرة من حواضر المغرب الإسلامي عرفت بتشجيع الحركة العلمية، ينظر: ياقوت الحموي، المصدر نفسه، ص:230.

7 – سعدو التالية، "الحياة الفكرية بالدولة الرستمية وإسهامات المرأة الإباضية فيها"، مجلة :عصور الجديدة، 2011، ع:01، ص: 63.

المجتمعات الإباضية التي كانت تحت حكمهم، خاصة في المغربين الأوسط والأدنى[1]، فنجد مؤسس الدولة الرستمية من حملة العلم بالبصرة، يقول الدرجيني: «عبد الرحمن بن رستم هو أحد حملة العلم»[2]، كما كان الأئمة من العلماء البارزين، الذين لهم نصيب وافر من العلم، فالإمام أبو بكر بن افلح (258-261هـ/871-874م) يقول فيه ابن الصغير: «أنه عرف بحب الأدب والأشعار وأخبار الماضي»[3].

أ.التاريخ: وعن التاريخ في عهد الدولة الرستمية، لعل استعمال لفظة التاريخ للتحدث عن العلماء الذين اهتموا بالأخبار، يروها أو يدونوها، في هذه الفترة فهي شيء من المبالغة، إذ اللفظة مازلت لم تعرف مدلولها المتعارف عليه اليوم ويمكن أن نلاحظ هذا في الكتب التي أُلِفت في هذه الفترة، فكل عناوينها تقريبا لا تحمل لفظة "تاريخ" إذ اللفظة لها معنى آخر، وإنما أَلَف الأقدمون في هذه الفترة في السير والمغازي والطبقات، وكل ذلك من صنف الأخبار[4].

ب.حركة التدوين التاريخي لتيهرت الرستمية:

ومصادر الدولة الرستمية بعضها معاصر والآخر متأخر منها ما هو إباضي ومنها ما هو سني مالكي[5]، وإذا تناولت التاريخ فمن باب الاعتبار، فتُذكر المشايخ ليتأس الخلق بمناقبهم[6].

1 – إبراهيم بحاز بكير الدولة الرستمية –دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية–، القرارة نشر جمعية التراث، ط01، 1985، ص: 264.

2 – الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، د ب، د ت، د ط، ج01، ص: 42.

3 – ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تح، تع: محمد الناصر، إبراهيم بحاز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، د ط، 1046هـ،1986م، ص: 71.

4 – إبراهيم بحاز، المرجع نفسه، ص: 367.

5 – عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب، الدار البيضاء ،المركز الثقافي العربي، ط02، 2009، ج01، ص: 187.

6 – عمر بن لقمان حمو سليمان بوعصبانة، معالم الحضارة الإسلامية بورجلان من سقوط الدولة الرستمية إلى خراب سدراتة (296هـ–962م)، غرداية ،دار نزهة الألباب، د.ط، 2012م، ص: 17.

وأول الكتابات "شرائع الدين" لصاحبه لواب بن سلام بن عمرو وقد كان يسكن توزر قبل سنة 240هـ/854م بقليل ولعله كتب تأليفه ذلك بعد سنة 270هـ/883م، إذ يحدثنا عن نفسه في تلك السنة.

يتحدث الكتاب عن عدة مواضيع، رغم صغر حجمه، فروى نبذةً من تاريخ أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- وما حدث في عهدهما، و لم يتطرق إلى الخليفتين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب -رضي الله عنهما- إلا بإيجاز، وتحدث عن معركة صفين، وذكر فضائل عدة صحابة كابي عبيدة بن الجراح، وعبد الرحمن بن عوف، وعمار بن ياسر وغيرهما، كما تحدث عن ولاية بني أمية وثورة عبد الله بن يحي الكندي طالب الحق، وثورة أبي حمزة الشاري بالحجاز، واختصر كل ذلك، كما اختصر أحداث ثورتي أبي الخطاب، عبد الله علي بن السمح المعافري اليمني وأبي حاتم الملوزوزي بالمغرب الإسلامي[1].

بعد كتاب شرائع الدين بقليل وقبل الدخول الفاطمي[2] لتيهرت ببضع سنوات ألف كتاب "أخبار الأئمة الرستميين" لابن الصغير المالكي المتوفى بعد سنة 294هـ/906م، وقد عاصر عهد أبي اليقظان[3]، إذ يقول: «وقد لحقت أنا بعض أيامه وإمارته، وحضرتُ مجلسه»[4].

1 - إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص: 367، 368.

2 - **الدولة الفاطمية:** أسسها الشيعة الاسماعيلون بفضل الداعي أبو عبد الله الشيعي الذي تمكن من إقامة دولة شيعية في المغرب الإسلامي، محققين بذلك ما عجزوا عليه في المشرق الإسلامي سنة 297هـ/909م ودام الوجود الفاطمي بالمغرب الأوسط حوالي 64 سنة تعاقب في حكمه أربعة خلفاء أولهم عبيد الله المهدي ثم أبو القاسم والمنصور ثم المعز لدين الله إلى غاية سنة 365هـ/975م، ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و العجم و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،ضب:خليل شحادة ،مر:سهيل زكار،بيروت،دار الفكر،2001،1431ج: 4، ص:40.

3 - **أبي اليقظان:** هو محمد بن افلح الإمام الخامس لدولة الرستمية 261-281هـ/875-894م، ينظر: ابن الصغير، المصدر السابق، ص: 88.

4 - المصدر نفسه، ص: 92.

قد جمع في كتابه أخبار الأئمة بالترتيب، وأطنب في الحديث عن بعض الفتن كفتنة ابن عرفة[1]، أو المنافسة التي جرت بين الإمامين أبي حاتم وعمه يعقوب على السلطة، حتى يخيل للقارئ أن ابن الصغير ألف تأليفه لذكر الفتن والثورات التي مرت بها تيهرت ابتداءً من الإمام الثاني عبد الوهاب إلى الإمام أبي حاتم يوسف[2].

اعتمد ابن الصغير في كتابه على مصدرين الرواية الشفوية وهي تسيطر على الجزء الأكبر من كتابه إذ يذكر أحد رواته وهو أحمد بن بشير[3]، يقول: «أخبرني أحمد بن بشير»، والمشاهدة التي لا تبدأ قبل فترة أبي اليقظان الذي عاصر ابن الصغير أيامه الأخيرة[4].

أما أسلوبه ومنهجه المتبع ينم عن طول باع في ميدان التاريخ ولكونه سنيا مالكيا فقد كشف لنا عن كثير من أسرار عصره، مما تغاضي عنه مؤرخو الإباضية. كما قدم لنا وجهة النظر المقابلة لتلك التي تتعصب للإمامة الرستمية.

كان ابن الصغير موضوعيا في تاريخيه، إذ كثيرا ما أبدى إعجابه بسيره الراشدين من الأئمة الرستميين و لم يثنه خلافه المذهبي عن الإشادة بسياستهم[5].

ألف ابن الصغير كتابه حوالي سنة 290هـ/902م، إذ تنتهي أحداث الكتاب في حكم أبي حاتم الذي امتد إلى سنة 294هـ/906م، و لم يشر إطلاقا إلى اليقظان بن أبي اليقظان[6].

إضافة إلى هؤلاء الإخباريين، نلاحظ ظهور تواريخ في شكل طبقات وسير، كان هدف مؤلفيها تسجيل التقاليد داخل المذهب وتسلسل طبقات شيوخهم وإبراز دورهم بين علماء

1 – ابن الصغير، المرجع السابق، ص: 82، 83.

2 – أحمد بن بشير: لعله ابن لأحد المقربين من الإمام أبي اليقظان يدعى بشيرا، ينظر: ابن الصغير، نفسه، ص: 93.

3 – المصدر نفسه، ص: 93.

4 – إبراهيم بحاز، المرجع السابق، ص: 371.

5 – محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، المغرب، دار الثقافة، ط02، 1406هـ،1985م، ص: 08، 09.

6 – إبراهيم بحاز، المرجع نفسه، ص: 370.

الإسلام، ويمثل هذا في حد ذاته أهمية ذات شأن، لأنها تقدم لنا معلومات عن الحياة الداخلية للمذهب يرويها أحد شيوخهم[1]. وتعد من المصادر المتأخرة وسنعرضها في الجزء الخاص بالتاريخ والكتابات التاريخية في ورجلان الإباضية، وقبل ذلك لابد من الإشارة إلى الكتابة التاريخية في المغرب الأوسط بعد التحول السياسي بسقوط الدولة الرستمية وقيام الدولة الفاطمية 296هـ/909م.

3.أحوال التدوين التاريخي خلال القرن (4هـ-10م):

عرفت المرحلة المغربية من عمر الخلافة الفاطمية 296-361هـ/909-971م، تطورا مميزا في مجال الكتابات التاريخية من خلال عدة مؤلفات من انجاز كتاب أو فقهاء مقربين من الحكام ، وكان الهدف من هذه الكتابات هو صنع مجتمع شيعي إذ رأى أئمة الإسماعيلية الفاطمية في التاريخ وسيلة لإضفاء هوية جديدة على المغرب تتماشى والسياسية الفاطمية، ثم ظهرت عدة كتابات تاريخية تصور الخلفاء الفاطميين، ومن الملاحظ كذلك في هذا الفكر التاريخي انفصال التاريخ من ميدان الحديث والتحاقه بركب الأدب، لأنّ كُاتابه كانوا في الأغلب أدباء وكتاب بالدواوين وليسوا بمحدثين كما هو الشأن في القرون الأولى للهجرة[2].

قد أدى الصراع المذهبي بين الإسماعيلية والمالكية إلى ظهور مرجعيات فقهية ساهمت، إلى حد كبير في ازدهار العلوم وأصبح الكتاب بمثابة الأداة الأولى الإنتاج ونقل المعارف[3].

من بين نماذج هذا النوع التاريخي المغربي نذكر أبو يزيد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار الثائر الخارجي المشهور، وهو من رجال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، وينقل عنه ابن خلدون في عبره روايات عن فتوح المغرب، ولكن كتابه لم يصل إلينا ويضاف إليه معاصريه،

1 - الحبيب الجنحاني، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، بيروت ،دار الغرب الإسلامي، ط02، 1986م، ص: 1825.

2 - عمارة علاوة، "كتابة تاريخية في المغرب الإسلامي الوسيط، ص: 06.

3 - علاوة عمارة، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر ، ص: 100.

كتاب يوسف الوراق وكتاب ابنه محمد بن يوسف الرواق القيرواني ولد سنة 262هـ/964م وتوفى سنة 363هـ/973م، صاحب كتاب "المسالك والممالك"[1].

هو أول مؤلف حول افريقية بتوصية من الحكم المستنصر، وتوجد منه بعض الشذرات المتناثرة في الكتب، وبخاصة في كتاب "المسالك والمملك" للبكري[2].

من بين الكتابات الإسماعيلية سيرة الأستاذ جوذر لأبي علي المنصور الجوذري العزيزي، الذي كان كاتبا في الديوان، مما جعله يستفيد من الوثائق الرسمية للخلفاء الفاطميين ويوظفها في كتابه سيرة قائدة، وفي نفس الوقت سجلت كتامة التي خدمت الدعوة الإسماعيلية بإخلاص مجهوداتها في كتاب تاريخي بعنوان السيرة الكتامية، لحيدرة بن محمد بن إبراهيم الكتامي الذي عاش في القرن الرابع الهجري[3].

أهم مؤرخ لهذه الفترة القاضي النعمان بن محمد المغربي المتوفي 363هـ/973م، ألف عدد من كتب التاريخ التي تمثل وجهة نظر الفاطميين في أحداث تاريخ المغرب من القضايا السياسية والعقدية، منها كتاب "افتتاح الدعوة"، الذي يشير فيه إلى بداية الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب، وكيف استطاع أبو عبد الله الشيعي أن يحقق انتصاراته على الإمارات القائمة في بلاد المغرب[4].

وله كتاب "المجالس والمسايرات" أَلِف أيام المعز لدين الله الفاطمي ويحتوي معلومات قيمة عن تاريخ الدولة الفاطمية في بلاد المغرب لأن صاحب المصدر عاصر الأحداث التي كتب عنها ،

1 – نبيلة حسن محمد، في المكتبة التاريخية ومناهج البحث، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د ط، 2006، ص: 162.

2 – عبد القادر بوباية، المؤمن في تاريخ المغرب والأندلس، الجزائر، دار كوكب العلوم، ط01، 1432هـ/2011م، ص:35.

3 – عمارة علاوة، "**الكتابة التاريخ في الغرب الإسلامي الوسيط**"، ص: 07.

4 – بشير رمضان التليسي، الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي– خلال لقرن الرابع الهجري العاشر الميلادي–، بيروت، دار المدار الإسلامي، ط01، 2003، ص: 483.

والاقتصادي، والاجتماعي والثقافي للدولة الفاطمية في دورها المغربي من 297هـ/909م إلى 361هـ/971م[1].

هذه نماذج وحسب على سبيل الاستدلال لا الحصر، إذ أن جهود العلماء المغاربة في مجال علم التاريخ وبخاصة خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، كبيرة غير أن معظم ما تم تأليفه عبثت به يد الزمان و لم يبق منه إلى القليل النادر[2]. ومن الملاحظ أيضا أن معظم الكتابات كانت بإفريقية بحكم أن المهدية كانت عاصمة الفاطميين، وأن بلاد المغرب الأوسط كانت هامشية ومقسمة بين افريقية والمغرب الأقصى[3].

4.أحوال التدوين التاريخي على العهد الحمادي:

بعد سنة 361هـ/972م قرّر الإمام الفاطمي المعز لدين الله[4] الرحيل إلى مصر رفقة عدد من بطون كتامة[5]، وأوكل الحكم إلى الأسرة الزيرية الصنهاجية[6]، وما لبث أن استقل عنها المغرب الأوسط، حيث تمكن حماد بن بلكين[7] من تشكيل نظام حكم مركزي متخذا من القلعة

1 – بشير رمضان التليسي، المرجع السابق، ص: 484.

2 – المرجع نفسه، ص: 485.

3 – عمارة علاوة، دراسات في التاريخ، ص: 100.

4 – **المعز لدين الله:** 341-364هـ/952-974م، يعتبر رابع الأمراء الفاطميين الذين حكموا بالمغرب، ينظر: ابن الخطيب، المرجع السابق، ص: 55، 60.

5 – **كتامة:** من قبائل البربر بالمغرب، وأشدهم بأسا وقوة وأطولها باعا في الملك عند النسابة البربر من ولد كتام بن برنس، وعلى أكتاف هذه القبيلة قامة الدولة الفاطمية، ينظر: ابن خلدون،المصدر السابق ،مج:6،ص:190.

6 – **الأسرة الزيرية:** من صنهاجة كبريات القبائل بالمغرب الأوسط، من زعمائها مناد بن منقوش كان من عمال الأغالبة بعد موته خلفه ابنه زيري الذي ساعد المنصور بطلب منه ضد ثورة صاحب الحمار ، فلباه فأكرمه المنصور وعينه أميرا على قومه، تمكن أبنائه من إدارة حكم الدولة الصنهاجية في إفريقية والمغرب الأوسط ما بين سنة (362هـ-555هـ)، ينظر: ابن الخطيب، المصدر نفسه ، ص: 61. يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 145، 146.

7 – **حماد بن بلكين:** 419هـ/1028م، ابن زيري بن مناد الصنهاجي، مؤسس الدولة الحمادية، بقلعة بني حماد بالمغرب الأوسط، ولاه باديس المنصور 374-406هـ/984-1015م، أعمال المغرب الأوسط، (أقطعه مدينة أثير) سنة 387هـ/997م، ينظر: ابن الخطيب، المصدر السابق، ص: 85، 86. عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، بيروت ،مكتبة النويهض الثقافية، ط02، 1400هـ،1980م، ص: 122.

التي بناها سنة 398هـ/1007م عاصمة، ونتج عن هذا الميلاد السياسي والجغرافي لبلاد المغرب الأوسط، بعدما كانت هامشية ومقسمة بين افريقية والمغرب الأقصى فينتابنا التساؤل حول التاريخ الكتابات التاريخية التي تعكس الهوية.

في ظل التحولات السياسية وتوحيد بلاد المغرب الأوسط عقديا وفقهيا من خلال إعلان القطيعة الإسماعيلية، وانتشار مذهب الإمام مالك.

مع تراجع تيارات الإباضية وانحصارها في واحات ورجلان وبلاد بني مزاب، كما اختفت تيارات التشيع الإسماعيلي والمعتزلة والواصلية، لتصبح المنطقة موحدة عقديا وفقهيا[1]، فما هو حال تاريخ وحركة التدوين التاريخي، في هذه الفترة؟

سمحت هذه المرحلة بتأسيس عدة مراكز ثقافية شكلت على الخصوص كل من قلعة بني حماد[2]، وبجاية[3]، وقد أدى الانفتاح على الأندلس وبلاد المشرق إلى ازدهار المعارف من خلال تأليف العديد من الكتب في شتى العلوم[4]، فبرز عدد من المؤلفين في علوم شتى، منهم ست (06) مؤلفين في علم التاريخ (ينظر الملحق رقم: (1)).

تشتمل العلوم الاجتماعية على ميادين من الفنون في مقدمتها التراجم والجغرافيا والرحلات والتصوف، وقد ازدهرت هذه العلوم في بجاية حيث كان الاشتغال بالتاريخ والتراجم وارتبطت

1 – عمارة علاوة، دراسات في التاريخ، المرجع السابق، ص: 100، 101.

2 – **قلعة بني حماد:** وهي قلعة حماد مدينة عظيمة كانت دار مملكة بني حماد من صنهاجة، وهم كانوا ملوك افريقية أيام بني عبيد، ينظر:مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، الكويت ،دار الشؤون والثقافة العامة، آفاق عربية، د ط، 1985م، ص: 167، 168.

3 – **بجاية:** مدينة الغرب الأوسط وعين بني حماد والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة الأمتعة إليها برا وبحرا نزلها الناصر سنة 483هـ/9994م، وأوطنها بعساكره، ينظر: الإدريسي أبي عبد الله محمد عبد الله بن إدريس، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الرباط ،مكتبة الثقافة، مج02، ص: 260، 261.

4 – عمارة علاوة، دراسات في التاريخ، المرجع السابق، ص: 101.

الجغرافيا بالرحلات[1]، ويصنف التاريخ حسب الواقع الثقافي وعدد العلماء للعهد الحمادي بعد الفقه وأصوله، والنثر والشعر، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، ليأتي بعدها علم التاريخ والتراجم، ثم علم الكلام والعقيدة،، الطب وعلوم الرياضيات والتصوف والزهد[2]. (ينظر ملحق رقم 2).

رغم أن التاريخ حظي بمكانة على عهد الدولة الحمادية إلا أنها لم تكن كتلك العناية التي أولوها لعلوم الدين واللغة، ذلك أنها فترة تركيز على اللغة العربية والإسلام باعتبارها الأساس الذي تقوم عليه عملية تعريب المغرب[3].

كما أن الدولة الحمادية غلب عليها الطابع الريفي، إذ كان للمشافهة دور كبير في توعية الناس، ونقل المعارف، ولم يكن للكتاب نفس المكانة التي اكتسبها خلال العصر العباسي الأول، ولهذا فإنه ليس بالضرورة من انتسب للمجموعات الفكرية ترك تآليف[4].

فيما يخص التأليف التاريخي لهذا العهد فقد أدرك أهل بجاية في فترة نهضتهم الفكرية والثقافية قيمة الكتابات التاريخية التي تمكنهم من تسجيل الحوادث التاريخية، ومن معرفة الوقائع الماضية وأخذ العبر منها فساهموا بأعمال هامة في التاريخ والتراجم، رغم أن بعض هذه الأعمال كانت مرتبطة باسم أمير من الأمراء أو بدولة من الدول المحلية إلا أن الجهد العلمي يبقى محفوظا لدى هؤلاء مع مرور الزمن عليه[5]. إذ ذكر ابن الآبار: «أن حماد بن إبراهيم بن أبي يوسف لمخزومي ألف تاريخا للعزيز بالله بن الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي أمير بجاية»[6].

---

1 – محمد الشريف سيدي موسى، مدينة بجاية الناصرية –دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية–، الجزائر، دار كرم الله، د ط، 2011م، ص: 233.

2 – علاوة عمارة، دراسات في التاريخ، المرجع السابق ، ص : 107، 108.

3 – عبد الحليم عويس، دولة بني حماد، صفحات رائعة من تاريخ الجزائر، القاهرة ،دار الصحوة لنشر والتوزيع، ط02، 1411هـ،1991م، ص: 268.

4 – علاوة عمارة، دراسات في التاريخ، المرجع نفسه ، ص: 110.

5 – محمد الشريف، المرجع السابق، ص: 233.

6 – ابن الآبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، التكملة لكتاب الصلة، تع: الفريد بل، ابن أبي شنب، الجزائر، طبع بالمطبعة الشرقية للأخوين فوناطنا، د ط، 1337هـ/1919م، ص: 156.

نجد من المؤرخين الذين ارتبطوا بالدول وانتسبوا إليها أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي المتوفي سنة 628هـ/1232م، رغم أنه ولد بعد سقوط الدولة الحمادية بسنة واحدة 548هـ/1153م فعاصر الدولة الموحدية وولوه قضاء المغرب والأندلس[1]، لكن روحه بقية معلقة بأجداده فأنشد متأثرا لزوال حكمهم وخراب معالم قصورهم:

إنَ العَروُسَيْنِ لاَ رَسْـــمُ ولاَ طَلَلُ فَانْظُرْ تَرَى لَيْسَ إلاَّ السَهْلُ والجَبَلُ

وقَصْـــــرُ بـــلاَرة اودَى الزَمَانُ بِه فَأيْنَ مَا شَادَ مِنْهَا السَادَةُ الأَوَلُ

قَصْرُ الخِلافَةِ أَيْنَ القَصْرُ مِن ْخرَب غـــَيْرُ اللـــجَيْنِ وَفِي أَرْحَابِهَا زُحَلُ

ولَيْسَـــت يبُهِجُنِي شَيْءُ أُسَرُ بِه مِنْ بَعْدِ أَنْ نهجتْ بِالمنْهَجِ السُبلُ[2]

ومن مؤلفاته: "كتاب النبذ المحتاجة في أخبار صنهاجة إفريقية وبجاية"يعد مصدرا هاما اعتمد عليه الكثير من المؤرخين وفي مقدمتهم عبد الرحمن بن خلدون في كتابه العبر لاسيما عند كلامه عن صنهاجة وأخبارها[3].

وكتاب "أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم" الذي اتبع فيه طريقة التراجم بذكر اسم ولقب الخليفة الفاطمي ثم بتقديم ترجمة وافية عنه، وبدا تاريخه بأول خليفة فاطمي ثم بتقديم ترجمة وافية عنه، وبدأ تاريخه بأول خليفة فاطمي عبد الله المهدي 297-332هـ ثم محمد القائم بأمر الله 332-334هـ وبعده إسماعيل المنصور بالله 334-341هـ وفي الأخير وضع ترجمة لخاتمة خلفائهم محمد العاضد لدين الله 356-567هـ[4].

1 – الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، وتع: عادل نويهض، بيروت ،دار الآفاق الجديدة، ط02، 1979م، هامش ص:218 .

2 – ابن الخطيب، المصدر السابق، ص: 95.

3 – محمد الشريف، المرجع السابق، ص: 226.

4 – نبيلة حسن، المرجع السابق، ص: 191.

وبن حماد يجمع معلوماته من الكتب التي كانت بين يديه، مثل كتاب تاريخ إفريقية والمغرب للرقيق القيرواني، المتوفى سنة 420هـ/1029م، إلى جانب الروايات التي سمعها من أفواه المشايخ والتي كانت متداولة في منطقة القلعة وبجاية وهما الأماكن التي شهدت بعض الأحداث الهامة لدولة الفاطميين في المغرب[1].

يعتبر كتاب ابن حماد مصدرا موضوعيا لدراسة الدولة الفاطمية بأرض المغرب وإلى هذا الكتاب تعود شهرة ابن حماد[2].

ومن الكتب التي الفت في عهد الدولة الحمادية كتاب "فتوح المغرب" لابي يعقوب يوسف ابن إبراهيم الورجلاني، ولد بورقلة سنة 500هـ/1106م من أبرز أدباء ومرخي العهد الحمادي، وقد أخذ العلم عن شيوخ بلده، وارتحل إلى الأندلس والمشرق، وأخذ عن أعلامهم، ثم عاد إلى بلده واعتكف نحو سبعة أعوام يكتب، وقد لقب بالجاحظ لكثرة إنتاجه في علوم كثيرة[3].

ويحمل هذا الكتاب عنوانا آخر لدى المستشرقين وهو: التاريخ الكبير "لورجلان وسدراته وواد ريغ"، وهو من الكتب المهمة الضائعة[4].

وبالرغم من أن كتب أبو يعقوب من الكتب المفقودة ، فإن الكثير من المعطيات التاريخية موجودة في ثنايا كتب الكلام والفلسفة مثل الدليل والبرهان، وكذلك في دواوينه الشعرية، مثل القصيدة الحجازية التي دون فيها رحلته إلى الحج[5].

1 – نبيلة حسن، المرجع السابق، ص: 191.

2 – محمد الشريف، المرجع السابق، ص: 216.

3 – عبد الحليم عويس، المرجع السابق، ص: 266.

4 – عمر بن لقمان، المرجع السابق، ص: 149.

5 – حميد زيدور، "**التاريخ والمؤرخون في ورجلان الإباضة على عهد الموحدين: أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني نموذجا**"، مجلة: عصور الجديدة، وهران، القدس العربي، 1432هـ-2011م/1433هـ-2012م، ع:03-04، ص: 101.

5_الكتابة التاريخية للمغرب الأوسط خلال العهد المرابطي:

وفي المغرب الأقصى والأندلس وطدت الإمارة المرابطية حكمها وشكلت مرحلة مهمة في تاريخ المغرب لكن الكتابة التاريخية على هذا العهد لم تعرف ازدهارًا فلا نجد مادة غزيرة عن بلاد المغرب،[1] إلى أن هناك بعض الكتابات منها ما يتعلق بالأندلس من خلال كتابات ابن حزم وبن حيان والملاحظ على اتجاه الكتابات التاريخية نحوى علم الفقه لهذا العهد،والابتعاد ، كما ظهرت كتابات في أندلس الطوائف لتؤكد الانشقاق السياسي الحادث ومن الأمثلة على ذلك المذكرت التي خلفها عبد الله بن بلكين آخر ملوك بني الزيري بغرناطة، والتي كتبها في منفاه بأغمات كما أن أبا بكر بن العربي المتوفى 543هـ/1149م، ترك لنا كتابا تاريخيا بأسلوب ومعلومات متواضعة ومتداخلة وهو الكتاب الموسوم بكتاب شواهد الحلة والأعيان في مشاهد الإسلام والبلدان.

كما وجدت الكتابة الجغرافية ذات الطابع التاريخي وأهمها كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري المتوفى 487هـ/1094م، كما كتب أبو العباس العذري المتوفى 478هـ/1086،

كتابًا جغرافيًا عنوانه ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك والممالك، وهما الكتابان اللذان يسجلان نهاية الفن الجغرافي المعروف بالمسالك والممالك[2].

6-الكتابة التاريخية خلال العهد الموحدي :

يمثل القرن السادس الهجري عصر الكتابات التاريخية الكبرى في المشرق [3]، إلاّ أن مصادر تاريخ المغرب الإسلامي تعد في مجملها أقل من مصادر تاريخ المشرق[4]، يعبر المراكشي عن هذا

1 - عمارة علاوة، دراسات في تاريخ الوسيط، ص :163.

2 - جان سوفاجيه كلود كاين، مصادر دراسات التاريخ الإسلامي، تر: عبد الستار حلوجي، عبد الوهاب علوب، د م، المجلس الأعلى لثقافة، د ط، 1998،ص : 351.

3 - عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط، ص:164.

4- جان سوفاجيه، المرجع نفسه، ص: 349.

بقوله:" وأما دولة المصامدة خصوصا فلم يقع إلاّ لأحد فيها التأليف أصلا، خلا أني سمعت أن بعض أصحابنا جمع أخبارها واعتني بسيرها وهذا المجموع"[1].

وإذا ما نظرنا إلى حركة التأليف في العهد الموحدي في المغرب الأوسط نجد إضافة إلى مادون في الأندلس ومراكش بحكم تمركز ثقل الدولة هناك، مادون في ورجلان الإباضية وسنأتي على ذكره، أما على هذا لعهد أي الموحدي فأول الكتابات نجد أبا بكر بن علي الصنهاجي الملقب بالبيذق وهو الشاهد المعاصر لهذه الفترة إبان نشأتهم[2]، إذ قام بتدوين أخبار المهدي بن تومرت بذلك نجد أن مراكش عرفت نشاطا فكريا واسعا مثلته كتابات لمؤرخين عاشوا مقربين من السلطة وعلى رأسهم ابن صاحب الصلاة عبد الملك المتوفى سنة 594هـ/1198م، الذي ألف كتابا حول الحركة الموحدية بعنوان المن بالإمامة وفي نفس الفترة ألف ابن القطان المراكشي خلال القرن 7هـ/13م، كتاب جامع بعنوان نظم الجمان فيما سلف من أخبار الزمان في ستة أجزاء كلها ضاعت ماعدا الجزء الأخير،كما يعد عبد الواحد المراكشي من بين أهم من أرخ للدولة الموحدية الذين تركوا لنا معلومات قيمة في كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب[3].

وألف كتابه هذا سنة 621هـ/1124، والملاحظ أنه بعد انحصار المد الإسلامي وتراجعه بالأندلس انتقل ثقل الكتابة التاريخية إلى المغرب الأقصى وعلى الخصوص مراكش وفاس، بمساهمات محلية وحتى من طرف أفراد الجالية الأندلسية، وبذلك نري غياب دور المغرب الأوسط وإسهامه في الكتابات التاريخية، ليعرف بعد ذلك الوضع تغير من خلال نشوء مراكز ثقافية جديدة

1 – عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح: محمد سعيد العرياني، د م، د ت، ص: 24.

2 – جون سوفاجيه، المرجع نفسه، ص: 352.

3 – المرجع نفسه، ص: 352.

وهي تونس وبجاية لتحل مكان القيروان وقلعة بني حماد، وفي أقصى المغرب الأوسط تمكنت تلمسان من اكتساب مكانة هامة في ظل حكم أسرة بني زيان.[1]

7.الكتابات التاريخية في ورجلان الإباضية خلال 5هـ/7هـ إلى القرن 11م/13م:

عرفت حواضر المغرب الأوسط الكثير من المؤرخين الذين ألفوا حول مدهم ومناقب مشايخهم، ورؤساء مذاهبهم وفرقهم، ومنهم مؤرخو ورجلان الإباضية، الذين قاموا بعملية التأريخ للمذهب الإباضي، بالمغرب منذ دخوله، والتعريف برجالاته، إذ أن ورجلان شهدت حركة علمية كبيرة، أفرزت الكثير من العلماء، الذين ألفوا في مختلف المجالات الدينية والتاريخية والعلمية والفلسفية[2].

من المؤلفات التاريخية في السير والطبقات التي يصفها المؤرخين بالمصادر المتأخرة، إذ حاولت أن تبرز الدور التاريخي وتؤرخ لماضي تيهرت ودورها السياسي والحضاري ولعلمائها وفقهائها[3].

كتاب "السير" لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاني[4] المتوفى سنة 471هـ/1078م أفنى شبابه في القراءة وبقية عمره في الإقراء، تنقل في حلقاته بين سدراتة ووارجلان والبكرات التابعة لورجلان[5].

ألف كتابه هذا بعد سنة 450هـ/1058م، نقل عنه أبو زكرياء يحي بن أبي بكر الورجلاني الكثير من رواياته في كتابه سير الأئمة وأخبارهم واستقى عنه الأخبار مشافهة وذكرها

1 – عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط، ص:167.

2 – حميد زيدور، المرجع السابق، ص: 100.

3 – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 117.

4 – عمر بن لقمان، المرجع السابق، ص: 136.

5 – المرجع نفسه، ص: 137، 138.

في كتابه بقوله قال أبو الربيع: كتاب "سر الأئمة وأخبارهم"، لمؤلفه أبي زكرياء يحي بن أبي بكر الورجلاني ولد في ورجلان وتوفى سنة 471هـ/1078م[1].

وهو المصدر الإباضي الوحيد الذي يمكن بواسطته وضع صورة تركيبة لدولة الرستمية، إذ هو من المراجع التي لا يمكن كتابة تاريخ المغرب دون الاستعانة بها ومن الكتب التي استقت منه واعتمدته سير الشماخي، وطبقات الدرجيني[2].

كما أنه كتاب تأريخ إباضي ديني في المكان الأول، يرتكز على سير العلماء والأئمة يقتصر على إيراد الحوادث التي وقعت لهم أو شاركوا فيها دون أن يهتم بسياقها التاريخي العام في المغرب.

كتاب "السير" لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني ق06هـ/12م كان تلميذ لأبي محمد الله بن محمد اللواني المتوفى سنة 528هـ/1133م، ويعود أصله -الوسياني- إلى بني وسيان القبيلة الأمازيغية الإباضية المستقر ببلاد الجريد[3].

ألف الكتاب في النصف الثاني من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، ويهتم بالمسائل الفقهية إلى جانب ذكر سير المشايخ وأسماء الأماكن القديمة والقرى المندثرة[4]، وقد شكل كتابه أحد المصادر المهمة التي نهل منها ثلة من المؤلفين الإباضيين اللاحقين كالدرجيني[5].

كتاب "طبقات المشايخ" لأبي العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني، المتوفى سنة 670هـ/1271م، ينحدر من أسرة بربرية إباضية من قرية تيميجار بجبل نفوسة.

---

1 - عبد القادر بوباية، المرجع السابق، ص: 63.

2 - أبي زكرياء يحي بن أبي بكر، سير الأئمة وأخبارهم، تح و تع: إسماعيل عربي، الجزائر، المكتبة الوطنية، د ط، 1399هـ/1979م، ص: 16.

3 - تادايوش ليفيتسالي، دراسات شمال افريقيا جمع وترتيب لبحوث ذات أبعاد، تاريخية اجتماعية ولغوية، تر: أحمد بومزقو، الولايات المتحدة الأمريكية، مؤسسة تاوالت الثقافية، د ط، 2005م، ج01، ص: 66.

4 - عمر بن لقمان، المرجع السابق، 18.

5 - تادايوش، المرجع السابق، ص: 64.

ويرجع تاريخ كتابة هذا المؤلف لحوالي 650هـ/1252-1253م، والكتاب في جزئين:

الجزء الأول: عبارة عن إعادة لمضامين ما كتبه صاحب كتاب سير الأئمة وأخبارهم[1]، لأبي زكرياء الورجلاني وأضاف إليها بعض النصوص القديمة.

والثاني: يمثل صلب عمل المؤلف ويتكون من تراجم مفصلة لأعلام الإباضية المرموقين مرتبة في اثنا عشر طبقة تختزل مدة خمسين سنة أي ما يمثل جيلا بشريا[2].

وبلغ عدد المترجمين حوالي مائة وأربعين عالما وفقيها من المجتهدين، ذوي الباع الواسع في الفكر والثقافة والفلسفة والجدل وعلم الكلام، والبلاغة والمنطق، والشعر والأدب[3].

1 – تادايوش، المرجع السابق، ص: 65.

2 – المرجع نفسه، ص: 65.

3 – يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص: 118.

الفصل الأول

العوامل المساعدة على الكتابة في العهد الزياني

أولا: تشجيع السلاطين الزيانين للعلم والعلماء

ثانيا: التعليم في العهد الزياني ومنهجه

ثالثا: الرحلة العلمية ودورها في إزدهار حركة التأليف على العهد الزياني

بالرغم من انشغال سلاطين المغرب الإسلامي بالجانب السياسي الذي تميز بكثير الصراعات والحروب بين دويلات المغرب الإسلامي، من أجل بسط نفوذ أحدهما على الآخر، إلا أن ذلك لم يحد من انشغالهم بالجانب العلمي[1].

أولا: تشجيع السلاطين الزيانين للعلم والعلماء:

يعتبر العهد الزياني العصر الذهبي للمغرب الأوسط من الناحية الثقافية، ففيه بلغت البلاد ذروة عزها، وأوج مجدها، ومنتهى رقيها[2]، إذ عرفت الحركة العلمية خلال القرنين (8-9هـ/14-15م) ازدهارا كبيرا يشهد عليه غزارة الإنتاج الفكري[3] الذي دفع بتلمسان[4] أن تكون حاضرة من أعظم حواضر العلم والسياسة بالعالم الإسلامي، ذاع صيتها مشرقا ومغربا، فنبغ فيها عدد كبير من الأدباء والشعراء والعلماء وسمعتها العلمية والأدبية تجاوزت حدود المغرب [5].

1 – نعيمة بوكريديمي، الرحلة العلمية لعلماء تلمسان إلى فاس من خلال القرنين الثامن هجري والرابع عشر ميلادي (08هـ/14م)، الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، د ط، 2012م، ص: 19.

2 – محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 1995م، ص: 396.

3 – نعيمة بوكريديمي، المرجع نفسه، ص: 19.

4 – **تلمسان:** بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة وهي مدينة قديمة في المغرب الأوسط وهي كلمة مركبة من جزئيين، تلم تعني الجمع وسان تعني اثنتين فهي تجمع الاثنين البر والبحر، وكما أنها عبارة عن مدينتين بينهما رمية حجر الأولى قديمة تعرف بأقادير والثانية حديثة تسمى تاقرارت، ينظر: الحموي ياقوت، المصدر السابق، مج03، ص: 44. العبدري أبو عبد الله، رحلة العبدري، تح: علي إبراهيم كردي، تق: شاكر الفحام، دمشق، سعد، ط02، 1426هـ،2005م، ص: 49. طويل الطاهر، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، الجزائر، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، ط01، 2011م، ص: 166.

5 – محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، تق: عبد الجليل مرتاض، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، د ط، 2006م، ص: 209.

إذ كانت سياسة الحكام والسلاطين في الدولة الزيانية[1] اتجاه العلم وأهله متشابهة في الغالب، فيظهرون من العناية بالثقافة والعلوم والفنون ما يطمحون به إلى جعل المدن الكبرى في دولتهم مدن حضارة وعلم[2]، فكتب التراجم والتاريخ حافلة بالحديث عن اهتمام السلاطين بالمجال الفكري[3]، فحرصهم على توفير مختلف شروط النمو الثقافي كان من خلال:

– استقطاب العلماء:

جلب فحول العلماء وأعلمهم بالعلوم المختلفة إلى حضارة تلمسان، للتدريس بها ولتشجيعهم على الاجتهاد في الدرس وتحرير الأفكار وتنشيط الحركة الفكرية بالعاصمة الزيانية، فكان يشرف هؤلاء السلاطين في بعض الأحيان على المجالس والمنابر التي تلقى فيها الدروس العلمية، كما في عهد أسلافهم الموحدين من قبلهم[4].

زيادة على هذا تقريبهم العلماء في مجالسهم العلمية الخاصة، وجعلهم مستشاريهم الدين، فيستشيرونهم ويستفتونهم بأمور الحكم، وهذا من خلال توليتهم مختلف المناصب المهمة في البلاط

1ــ **الدولة الزيانية:** نسبة لبني زيان وهم من بني عبد الواد الطبقة الثانية من قبيلة زناتة، اكبر القبائل البربرية ،لها نفوذ واسع في المغرب الأوسط، و يتفرعون إلى عدة بطون، وقد حكمت الدولة الزيانية من سنة 637هـ/1239م،إلى غاية 962هـ/1554م، وتسمى بسم مؤسسها يغمراسن بن زيان بن ثابت، ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن،العبر، المصدر السابق، ج07، ص ص: 61– 74–102. الناصر أبي رأس، لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان، در وتح: حمدادو بن عمر، الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1432هـ،2011م، ص ص: 143–152.

2 – محمد فلاق، **'المشهد العلمي والثقافي في زواوة وتلمسان في القرنين السابع والثامن للهجري'**، مجلة: العلاقات العلمية والحضارية بين زواوة وتلمسان، الجزائر، دار الأمل ،د ط، 2011، ص: 66.

3 – محمد بوعياد، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 09هـ/15م، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د ط، 2011، ص: 53.

4 – عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، الجزائر، موفيم للنشر والتوزيع، د ط، 2007م، ج02، ص: 320.

الملكي من وزارة وحجابة وكتابة وقضاء...إلخ[1]، وذلك ابتداء بمؤسس الدولة الزيانية يغمراسن بن زيان[2] الذي امتاز عصره بحياة فكرية خصبة خصوصا ما يتعلق بأمور علوم الدين، اللغة والأدب[3]، لأن له في أهل العلم رغبة عالية، يبحث عليهم أينما كانوا ويستقدمهم إلى بلده، ومن أعلم من كان في زمانه أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي[4]،كانت الفتاوى تأتيه من افريقية بالمغرب الأدنى حيث تأسست الدولة الحفصية[5] ومن تلمسان إلى تنس[6]، مما جعل يغمراسن يكاتبه كثيرا، ويرغبه أن يسكن عاصمته[7]، حتى قبل التدريس بالمسجد الكبير

---

1 – زبيدة اقروفة، "**التواصل الفكري بين حاضرتي بجاية وتلمسان**"، مجلة: العلاقات العلمية والحضارية بين زواوة وتلمسان، المرجع السابق، ص ص: 43، 44.

2 – **يغمراسن بن زيان:** هو يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد أبو يحي العبد الوادي، ولد سنة 603هـ/1206م، تولى حكم إقليم تلمسان في عهد الخليفة الموحدي عبد الواحد رشيد بن المأمون واستطاع أن ينفصل بهذا الإقليم ويؤسس دولته الخاصة "الزيانية"، حكم بها من سنة637هـ/1236م، إلى غاية 681هـ/1283م، دام حكمه 50 سنة، يعتبر المؤسس الحقيقي لها، ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ج07، ص: 105. نويهض عادل، المرجع السابق، ص: 355. مكيوي محمد، "**دور يغمراسن بن زيان في تأسيس الدولة الزيانية**"، مجلة: قرطاس "الدراسات الحضارية والفكرية"، مخبر الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، 2008م، ع: تجريبي، ص: 207.

3 – محمد فلاق، المرجع السابق، ص: 63.

4 – **التنسي:** هو إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي، عالم جليل له معرفة في مختلف العلوم النقلية والعقلية، اكتسبها من رحلته مشرقا ومغربا، وله كرامات كثيرة (ت: 680هـ) وقبره بالعباد، ينظر: ابن مريم محمد التلمساني، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: عبد القادر بوباية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط:1، 2014، ص: 158.

5 – **الدولة الحفصية:** تأسست بعد أن أعلن أبو زكرياء يحي بن أبي حفص استقلاله عن الموحدين بأعمال تونس والقيروان سنة 625هـ/1234م، وسميت بالحفصية نسبة لمؤسسها، جعلوا عاصمتهم تونس عام 629هـ/1229م، ويعود نسبهم إلى قبيلة هنتاتة المصمودية، أكبر قبائل المغرب الأقصى، سقطت سنة 943هـ/1536، ينظر: ابن خلدون،المصدر نفسه، ج06، ص: 370. ابن عذارى ، المصدر السابق، ج05، ص: 290. الطويل أحمد، في الحضارة العربية التونسية، تونس، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، د ط، د ت، ص ص: 15، 16.

6 – **تنس:** من أقدم مدن المغرب الأوسط تقع على شاطئ البحر، آخر إفريقية مما يلي المغرب، بناها البحريون من أهل الأندلس، وهي مدينة مصورة حصينة، ينظر: البكري ، المصدر السابق، ص: 66.

7 – التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان "مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان"، تح وتع: محمود بوعياد، الجزائر، المكتبة الوطنية، د ط، 1985/1405، ص ص: 126، 127، ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، نق وتح وتع: هاني سلامة، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط01، 2001،1421، ص: 59.

لمدينة تلمسان، وانضمامه إلى الحلقات المقامة به آنذاك[1]، فكان السلطان يغمراسن يذهب لحضور الدروس التي يلقيها على الطلبة بنفسه[2].

ومع تطور تلمسان الحضاري برزت دولته في الأمور السياسية والإدارية أكثر مما كانت عليه، فنجد أنه جعل على أشغاله عبد الرحمن بن محمد بن الملاح[3]، وعين كاتب إنشائه ابو بكر ابن الخطاب المرسي الأندلسي[4]، الذي كانت رسائله توجه إلى سلاطين وأمراء الدول الأخرى وتحفظ من قبل العلماء الآخرين لجمال وقع أسلوبها وهؤلاء كلهم وافدون من الأندلس[5].

لقد سار خلفاء يغمراسن من بعده على نهجه في الاهتمام بالعلماء واستقطابهم لتثبيت الحياة العلمية أكثر، فأبقى السلطان ابو سعيد عثمان[6] (689-703هـ/1282-1303م) الجرايات على العلماء بعد وفاة أبيه، ورغم الظروف الصعبة التي كانت فيها البلاد في عهده مع طول الحصار المريني لهم[7]، استطاع أن يستقبل في مجلسه شاعر المائة السابعة الفقيه العارف أبو عبد الله

---

1 – نقادي سيدي محمد، إسهامات العلامة الآبلي بالحياة الفكرية بحواضر المغرب، الجزائر، طبع بالمؤسسات الوطنية للفنون المطبعية، د ط، 2011، ص: 78.

2 – محمد الطمار بن عمرو، تلمسان عبر العصور – دورها في سياسة وحضارة الجزائر–، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1984م، ص: 94.

3 – **الملاح:** هو عبد الرحمن بن محمد بن الملاح، من أهل قرطبة، وفد إلى تلمسان في عهد يغمراسن، حيث تولى منصب صاحب الأشغال، ينظر: التنسي، المصدر نفسه، هامش ص: 138.

4 – **المرسي:**هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن الخطاب الغافقي من مدينة مرسيه، من أشهر علماء القرن 07هـ/13م، كان كاتبا وشاعرا، وله في الفقه وعلم الكلام، تولى الكتابة لدى السلطان يغمراسن المتوفي 686هـ بتلمسان، ينظر: ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح و تق: محمد عبد الله عنان، مصر، مكتبة الخانجي، ط01، 1394–1974م، مج2، ص: 426.

5 – يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق تع تح:عبد الحميد حاجيات الجزائر، المكتبة الوطنية ،د ط، 1400هـ،1980م ،ج01، ص: 129.

6 – **أبو سعيد عثمان** هو: أبو سعيد عثان بن يغمراسن ولد سنة 639هـ، حكم بعد وفاة والده، إذ بويع أوائل ذي الحجة سنة 681هـ/1283م، إلى غاية سنة 703هـ/1303م، ينظر: يحي ابن خلدون، المصدر نفسه، ج01، ص:208، بوزيان الدراجي، أدباء وشعراء من تلمسان، الجزائر، دار الأمل، د ط، 2011، ج01، ص: 175.

7 – نقادي ، المرجع السابق، ص: 80.

محمد بن عمر بن خميس المتوفي سنة 708هـ/1309م[1]، وجعله كاتب إنشائه في سنة (671هـ/1272م)[2].

كما كان لأبي حمو موسى الأول[3] (708-718هـ/1308-1318م) الدور الفعال في ازدهار الحركة الثقافية ، بجعل تلمسان كعبة ومنارة لقاصدي العلم والفكر، فتوافد على بلاطه العلماء والأدباء[4] فشغل علماء الأندلس المناصب الإدارية، حيث استوزر محمد بن ميمون الملاح، ثم ولديه محمد الأشقر وإبراهيم، ثم عمه علي بن عبد الله، وهم من بيت سراوة، أهل قرطبة، الذين احترفوا السكاكة وكانوا أصحاب أمانة ودين فيها[5]، كما قام أبو حمو بتأسيس أول مدرسة في تاريخ بني زيان سنة (710هـ/1310م) عرفت باسم مدرسة أولاد إبني الإمام[6] تكريما للعالمين

---

1 – **بن خميس:** هو ابو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد ابن خميس الحجري الرعيني، يكنى ابا عبد الله، ويعرف بابن خميس، ولد سنة 650هـ/1251م، شاعر المائة السابعة، اشتهر بالعلم والاجتهاد، كتب عن ملوك بني زيان، مات قتيلا في غرناطة عام 708هـ،ينظر: ابن خطيب،الإحاطة ، المصدر السابق، ج2، ص:528 ، ابن القنفذ القسنطيني، الوفيات، تح وتع: عادل نوهيض، بيروت ، دار الآفاق الجديدة، ط04، 1403هـ/1983م، ص:241، الطاهر توات، ابن خميس شاعر تلمسان الأكبر، الجزائر، دار الأوطان، 2011، ص: 91.

2 – يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ص: 208.

3 – **أبو حمو الأول:** هو أبو حمو موسى بن أبي سعيد بن أبي يحي يغمراسن بن زيان، ولد سنة: 665هـ، تولى الإمارة بعد وفاة أخيه أبي زيان سنة 707هـ/1308م، واستمر عهده إلى غاية 718هـ/1318م، قام بإصلاح مدينة تلمسان وتحصينها، ينظر: المصدر نفسه، ص: 212. ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، المصدر السابق، ص: 71. التنسي، المصدر السابق، ص: 132، بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص: 192.

4 – عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 321، محمد ا الطمار عمرو، المرجع السابق، ص: 121.

5 – يحي ابن خلدون، المصدر نفسه، ص:213،212.

6 – **ابني الإمام:** هما الفقيهان العالمان، أبو زيد عبد الرحمن، وأبو موسى عيسى أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام من أهل برشك، نزلا تلمسان أيام السلطان أبو حمو بن أبي سعد الذي أكرم مثواهما،ينظر: ابن خلدون ، المصدر السابق، ج:07، ص: 133. التنسي، المصدر نفسه، ص: 139.

الفقيهين القادمين من برشك[1] اللذين توليا التدريس بها أول الأمر[2]، ولكن فيما بعد أصبحت تستقطب عددا كبيرا من الطلبة والعلماء الذين طبقت شهرتهم الآفاق وأصبحوا يدرسون فيها[3].

زيادة على هؤلاء السلاطين نجد السلطان أبا تاشفين[4] (708-718هـ/1308-1318م) الذي كان مولعا بالعلم وأهله، وفد عليه بتلمسان علماء أكثرهم من المغرب الأوسط ومنهم الفقيه العالم لمتفنن ابو موسى عمران المشدالي المتوفى عام 745هـ/1344م[5] أعرف أهل عصره بمذهب مالك، ودر عليهم الطلبة وذلك لينتشر العلم والأدب في عاصمته لتضاهي العواصم الكبرى آنذاك كتونس وفاس عاصمة المرينين بالمغرب الأقصى[6] وغرناطة في الثقافة والفن والعمران[7].

---

1 – **برشك:** مدينة صغيرة على ضفة البحر، ماؤها عذب، وبها مزارع كثيرة، بينها وبين تنس 36 ميلا، وإلى شرشال 20 ميلا، ينظر: الحميري ،المصدر السابق، ص: 20. ابن حوقل أبي العباس، صورة الأرض، بيروت ،دار صادر، ط02، 1938، ص: 54.

2 – عبد الحميد حاجيات، دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، د ط، 2011، مج02، ص: 101.

3 – صالح بن قربة، تاريخ الجزائر في العصور الوسطى من خلال المصادر، الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث، د ط، 2007، ص: 143.

4 – **أبا تاشفين هو:** ابن أبو حمو ابن أبي سعيد ابن أبي يحي يغمراسن بن زيان، ولد سنة 622هـ، بويع بالخلافة سنة 718هـ خارج باب كشوط، خلد آثارا كثيرة وله مواجهات مع أبو الحسن المريني، ينظر: يحي بن خلدون ، المصدر السابق، ص: 215. التنسي، المصدر السابق، ص: 139، ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ص: 82.

5 – أبو موسى عمران ابن موسى بن يوسف المشدالي، ولد ببجاية عام 670هـ/1971م عالم في الفقه والحديث والنحو والمنطق، ينظر: المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، بيروت ،دار صادر، د.ط، 1408هـ،1988م، مج05، ص: 223. التنسي، المصدر نفسه، ص: 141.

6 –**الدولة المرينية:** فخذ من قبيلة زناتة، ينسبون إلى جدهم الأول مرين،مواطنهم بواد الملوية،هم أبناء عمومة بني عبد الواد، تأسست دولتهم سنة 625هـ/1227م على يد يعقوب بن عبد الحق ، استمر حكمهم إلى سنة 863هـ/1458م،ينظر: ابن خلدون ،المصدر السابق، ج07، ص: 78، ج06، ص: 370. ابن الأحمر الوليد إسماعيل، روضة النسرين في دولة بني مرين، الرباط، المطبعة الملكية، 1362هـ،1962م، د ط، ص: 08 وما يليها.

7 – محمد الطمار بن عمرو، المرجع السابق، ص: 128.

وأما أبو حمو موسى الثاني (760-791هـ/1359-1389)، الذي قام بإحياء الدولة الزيانية واسترجاعها من أيدي المرينيين، إذ لم يشغله الجانب السياسي الصعب عن الجانب الفكري، فكانت له عناية مستمرة بالحياة العلمية لأنه ذا ولع بالعلوم النقلية والعقلية وخاصة الأدب والشعر[1].

كما استدعى إلى بلاطه كل من عبد الرحمن ابن خلدون وأخوه يحي لخدمة الدولة الزيانية، ففي سنة 769هـ عين السلطان يحي بن خلدون كاتبا له وقربه إليه وجعله من جلسائه ومستشاريه ، وأما عبد الرحمن رفض الخضوع لسلطة الزيانية[2].

فشيد المدرسة اليعقوبية في سنة 761هـ/1354م[3] وعين للتدريس بها الفقيه العلامة أبا عبد الله محمد بن الشريف التلمساني المتوفى سنة 771هـ/1369م، ولقد توافد عليها العلماء والطلبة فازدانت المدرسة بالفقه والعلوم الدينية[4]، فكثرت المجالس العلمية بتلمسان في عهده، وكان أبو حمو يحضر الدروس والمناظرات التي تلقى بها وخاصة دروس الفقيه الشريف التلمساني[5].

---

1 – التنسي،المصدر السابق، ص: 179.

2 ــ يحي ابن خلدون، المصدر السابق ،ج1، ص ص:32،31.

3 – مؤلف مجهول، زهر البستان في دولة بني زيان، تح تق: بوزيان راجي، الجزائر، مؤسسة بوزياني لنشر والتوزيع، 1231هـ،2013، ج02، ص: 336. ابن خلدون أبي زكريا يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق، تع: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع 2011، ج02، ص: 100، التنسي، المصدر نفسه، ص: 179.

4 – **الشريف التلمساني:** محمد بن أحمد بن علي الشريف التلمساني الإدريسي، المكنى أبي عبد الله والمعروف بالشريف التلمساني، ولد في تلمسان سنة 710هـ/1310م، وهو من علماء عصره، توفى سنة 771هـ/1370م، ينظر: التبكني أحمد بابا، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إش وتق: عبد الله الهدامة، ليبيا ،منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط01، 1398هـ/1989، ج01، 02، ص:589.

5 – يحي ابن خلدون، المصدرالسابق، ج02، ص: 100، التنسي، المصدر السابق، ص: 180.

وفي عهد أبي زيان محمد بن أبي حمو[1] (796-801هـ/1394-1399م) حلف بالعلم حتى صار منهج لسانه، وروضة أجفان، فلم تخل حضرته من مناظرة ولا عمرت إلا بمذاكرة ومحاضرة، فلاحت للعلم في أيامه شموس[2].

وهكذا بقيت سوق الثقافة عامرة في العهد الزياني، إذ نهضوا بها نهضة واسعة، ودفعوا بها دفعة قوية[3].

ونتيجة لهذا التشجيع من طرف سلاطين الدولة الزيانية للعلماء في عهدهم نشطت المناظرات العلمية وخاصة الشعرية منها التي كان ينظمها أكثر السلاطين كل سنة عند حلول ليلة المولد النبوي الشريف، كما أن الاهتمام بالعلماء والعناية بهم لم تكن فقط في حياتهم وإنما تعدت ذلك إلى الخروج في جنازات من يموت منهم وأحيانا دفنهم في المقابر السلطانية[4].

والواقع أن هذا الاهتمام لهؤلاء السلاطين بالجانب العلمي لم يكن بالشيء الغريب، إذ ساهمت فيه النزعة العلمية التي عرفوا بها، فمنهم من كان شاعرا فقيها، أديبا كأبي حمو موسى الثاني الذي قال الشعر وخلف لنا كتابا مشهورا في السياسة "واسطة السلوك في سياسة الملوك"[5]، وكما نذكر ابنه أبا زيان الذي كان محبا للعلم والأدب، وكان هو نفسه شاعرا قد نظم قصائد شعرية وصنف كتابا في التصوف سماه "كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفسين المطمئنة والأمارة" ونسخ بيده نسخا من القرآن الكريم، وكتب مختلفة، أوقفها كلها في خزانته بمقدم الجامع الأعظم بتلمسان[6].

---

1 – أبي زيان محمد بن أبي محمد بن السلطان أبي حمو الثاني، تولى حكم الدولة الزيانية في عام 796هـ/1393، حيث ثار عليه أخوه عبد الله، فخرج من تلمسان وبقي متنقلا في البلاد إلى أن اغتيل عام 805هـ/1402م، ينظر: شاوش، المرجع السابق، ص: 93.ابن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، ص: 59.

2 – التنسي، المصدر نفسه، ص: 211.

3 – الطمار محمد بن عمرو، المرجع السابق، ص: 221.

4 – بوعياد محمود، المرجع السابق، ص: 19.

5 – بوبكريديمي نعيمة، المرجع السابق، ص: 19.

6 – عربي بوخالفة، شواهد الإحسان على مآثر المحروسة تلمسان، الجزائر، طبع وزارة الثقافة، 2011، ص: 240.

ومع أن الدولة قد وهنت قواها في أواخر القرن 09هـ/15م لكثرت الأزمات السياسية، فإن ذلك لم يقلل من اهتمام السلاطين بالعلماء كأحمد العاقل (834-862هـ/1431-1459م)[1]، الذي كان يكثر من زيارة العالم الصالح الحسن بن مخلوف[2] في أيام توليه الحكم[3].

- إنشاء المراكز العلمية "المدارس":

عمل السلاطين الزيانيون على تشييد المؤسسات التربوية والتعليمية من كتاب وزوايا ومساجد ومدارس عليا[4]، اقتداء بنظرائهم الحفصيين والمرينيين وذلك على نمط المدارس النظامية[5]التي أنشئت بالمشرق الإسلامي[6]، وتعتبر هذه المدارس مؤسسات ثقافية، تتمثل وظيفتها بصورة أساسية في تعليمهم مختلف العلوم الدينية وغير الدينية، وكان ظهورها بعد أن توسعت رقعت الدولة الإسلامية وانفصال شعوبهما واحتكاكهم بشعوب أخرى، فأصبحت الحاجة الملحة

1 - أبو العباس أحمد المعتصم اشتهر بلقب العاقل، حفيد السلطان أبو حمو موسي الثاني، تولي عرش تلمسان سنة 834ه، خدم العلم والمعرفة، ورمم ما تلاش من المدرسة التاشفينية وشيد مسجد آخر، انتهى عهده 862هـ/ 1459، ينظر: ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، المصدر السابق، ص: 83 و، شاوش، المرجع السابق، ص: 93.

2 - هو الحسن بن مخلوف بن مسعود بن سعد المزيلي الراشدي أبو علي الشهير بأبركان، الإمام العالم الوالي الصالح القطب الغوث، أخذ عن المصمودي، توفي آخر شوال سنة 857هـ/1850م،ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص، ص: 388.

3 - بوعياد محمود، المرجع السابق، ص: 54.

4 - فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني -دراسة سياسة، اجتماعية، ثقافية-، الجزائر، موفيم للنشر والتوزيع، 2002، ج02، ص: 141.

5 - **المدرسة النظامية:** بنيت أول مدرسة تعليمية في العالم الإسلامي في نيسابور وهي: "البيهيقية" في القرن 05هـ/11م، وتذكر المصادر أن أول مدرسة نظامية بنيت في بغداد من طرف الوزير السلجوقي، نظام الملك، قوام الدين، ينظر: المقريزي ابو العباس، الخطط المقريزية، القاهرة ،مكتبة الثقافة الدينية، ط02، 1987م، ج02، ص: 363، أحقوا علي، "الوزير الكبير نظام الملك السلجوقي صاحب تجربة المدارس النظامية محاولة تطوير التعليم في العالم الإسلامي"، مجلة: آفاق الثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، مركز الماجد للثقافة والتراث، 1432هـ/2011م،ع:74، ص ص: 85،85.

6 - عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بين عبد الواد، الجزائر، ابن النديم للنشر والتوزيع، ط01، 2011، ص: 244.

إلى اقتباس المعارف والعلوم المتنوعة، والاستفادة من مختلف المعارف، الأمر الذي فرض إنشاء هذه المدارس وانتشارها[1].

فعرفت المدارس بتلمسان رغم الصراع السياسي كغيرها من الحواضر المغربية الكبرى، فوجدت بها ست مدارس وزعت على أحياء مختلفة من المدينة[2].

وقد أسسها إما الزيانيون أو بنو مرين عبر المراحل المختلفة من الحكم الذي عرفه المغرب الأوسط[3].

وهذه المدارس هي التي أشاد بها الرحالة والكاتب المغربي الحسن الوزان "ليون الافريقي" «تلمسان مدينة كبيرة وهي عاصمة المملكة الزيانية، بها خمس مدارس، حسنة، جيدة البناء ومزدانة بالفيفساء، يوجد بها عدد كثير من الطلبة والأساتذة في مختلف المواد سواء الشريعة أو الطبيعية، وتتكفل هذه المدارس معاشها بكيفية منتظمة»[4]. و هي كالتالي:

1- مدرسة ابن الإمام:

تعد أول مدرسة أسسها الزيانيون في تلمسان على يد أبي حمو موسى الأول ما بين (707-718هـ/1307-1318م) داخل باب كشوط[5] من الناحية الغربية للمدينة[6] وعين على

---

1 - عبد القادر قرمان، "المؤسسات التعليمية خلال العهد العثماني" مجلة: تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر ملتقى دولي بتلمسان أيام 3، 4، 5 اكتوبر 2011، ج01، ص: 107.

2 - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص: 141.

3 - عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تق ومر: أبوالقاسم سعد الله وآمخرون، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2003، ص: 246.

4 - الوزان الحسن بن محمد القاسي، وصف افريقيا، تر: محمد الحجي ومحمد الأخضر، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط02، 1983م، ج02، ص ص: 20،19.

5 - **باب كشوط:** هو الباب الغربي لمدينة تلمسان الواقع في طريق المنصورة ويسمى اليوم باب سيدي بوجمعة، ينظر القلصادي أبي الحسن على، رحلة القلصادي، در وتح: محمد أبو الأجفان، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، 1978، ص: 101.

6 - بوكريمي نعيمة، المرجع السابق، ص: 24، المقري، المصدر السابق، ص: 215.

رأس هيئة التدريب بها ابني الإمام ابو زيد عبد الرحمن المتوفى 743هـ/1342م وأخوه عيسى المتوفى سنة749هـ/1398م وكلفهما التعليم والتدريس بها[1] فحملت المدرسة اسمهما تكريما لهما وبني لهما دارين على جانبها[2]، فكان أبو حمو يكثر من مجالستهما والاقتداء بهما[3].

قد تولّى التدريس بها عدد كبير من العلماء الذين طبقت شهرتهم الآفاق وتخرج على يدهم عشرات الطلاب، فيذكر يحي بن خلدون أن لهما بتلمسان خلق كثير ينتحلون العلم كبيرا وصغيرا بلغ كثير منهم مقام التدريس[4].

ومن كبار المدرسين في هذه الفترةمحمد بن أبي الفضل التلمساني[5] الذي تخرج عليه كبار علماء العصر كابن مرزوق الكفيف وعبد الجليل التنسي[6].

واستمرت وظيفة هذه المدرسة إلى غاية القرن 10هـ/13م، إلا أن هيكلها اندثر ولم يبق لهما أثر عدا المصلى[7].

---

1 – فيلالي عبد العزيز،المرجع السابق، ج01، ص: 142.

2 – ابن خلدون ، المصدر السابق، ج07، ص: 142.

3 – التنسي، المصدر السابق، ص: 139.

4 – يحي ابن خلدون ، المصدر السابق، ج01، ص: 72.

5 – **أبا الفضل:**محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام أبو الفضل التلمساني، العلامة العارف في العلوم النقلية والعقلية، توفي عام 845هـ، ينظر ابن مريم، المصدر السابق، ص: 255.

6 – **عبد الجليل التنسي:** محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق الكفيف ولد سنة 824هـ أخذ العلم عن والده وعن علماء آخرون كقاسم بن سعد العقابي وأبي الفضل بن زيد في الإمام، وعبد الرحمن الثعالبي وغيرهم، ارتحل إلى مصر لمزيد من العلم أجازه الحافظ أبو الفضل العسقلاني ثم انتقل إلى مكة عام 861هـ وبعد أن أخذ العديد من العلوم عاد إلى تلمسان بعلم وافر، المتوفي سنة 901هـ/1495م، ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 182. التنكتي، المصدر السابق، ص: 136.

7 – بن قرية صالح، المرجع السابق، ص: 141.

2- المدرسة التاشفينية:

تعد ثاني مؤسسة زيانية أسست بالمغرب الأوسط بناها السلطان أبو تاشفين بن أبي حمو موسى الأول ما بين سنتي (718-737هـ/1318-1330م)[1] بجانب المسجد الجامع الأعظم ليضاهي بها سلاطين بني حفص بتونس وبني مرين بفاس وقد تفنن في بنائها[2]، واحتفل السلطان بتدشين هذه المدرسة احتفالا كبيرا حضرته مشيخة تلمسان وأدبائها وأهمهم ابو موسى المشدالي أعرف أهل زمانه بمذهب مالك[3]، وهكذا استكمل أبو تاشفين ما شرع أبوه فيه[4]،

ولقد ساهمت التاشفينية بقسط وافر من تقدم الحركة الثقافية بتلمسان بدليل إيوائها المتواصل للطلبة واحتضانها لحلقاتها العلم فكان المدرسون الذين تولوا التدريس بها من كبار علماء العصر كالمشدالي وأبي عبد الله محمد السلاوي[5].

فكانت خدمة ثمينة للعلم والثقافة وهذا ما جعل الدولة الزيانية تنتقل من طور البداوة الذي كانت تكتسي طابعها قبل أبي حمو موسى الأول وابنه تاشفين عبد الرحمن الأول إلى طور الحضارة[6].

استمرت المدرسة التاشفينية تؤدي رسالتها التعليمية والتربوية حتى نهاية القرن 16م[7].

1 - قرمان، المرجع السابق، ص: 110.
2 - عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص: 249.
3 - فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج01، ص: 142.
4 - ابن خلدون ، المصدر السابق، ج07، ص: 142.
5 - قرمان ، المرجع نفسه، ص: 111.
6 - عبدلي لخضر، المرجع نفسه، ص: 245.
7 - بن قرية صالح، المرجع السابق، ص: 145.

3- مدرسة العباد:

قام بتشييدها السلطان أبو الحسن المريني عندما استولى على مدينة تلمسان والمغرب الأوسط بقرية العباد[1]، سنة 747هـ/1347م[2]، فوق ربوة مطلق على تلمسان جانب روضة أبي مدين الغوث[3] المتوفى سنة 594هـ/1197م[4]، لذا اختار السلطان المريني هذا المكان ليخلد اسمه ويكرم دفين المنطقة، فتكون مركزا لإقراء القرآن الكريم وتدريس العلم[5].

نظم أبو الحسن المريني أحباس مما يصلح به، وأجرى في المراتب على الطلبة والعمال، وحبس لها الكتب النفيسة والمصنفات المفيدة، فكثر طلب العلم وعدد أهله[6].

ولقد ألقى أول درس فيها محمد بن إبراهيم الآبلي[7] بحضور أبي الحسن المريني، كما درس بها العديد من العلماء كابن مرزوق الخطيب، وعبد الرحمن بن خلدون[8]، لذا عرفت بالخلدونية في الفترة التالية[9].

---

1 – **العباد:** مدينة صغيرة شبه ربض، تقع في الجبل على بعد نحو ميل جنوب تلمسان، وهي كثيرة الازدهار، وافرة السكان والصناع، ينظر: الوزان الحسن، المصدر السابق، ص: 24.

2 – بن مرزوق الخطيب، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولاي أبي الحسن، در وتح: ماريا خيسوس بيغيرا تق: محمود بوعياد،الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1401هـ/1981م، ص: 406.

3 – **أبي مدين الغوث:**أبو مرين شعيب بن الحسن الأندلسي، من إشبيلية، الشيخ الفقيه المحقق الواصل القطب، شيخ مشايخ الإسلام، له العديد من الكرامات، توفي 594هـ، دفن برابطة العبادة، ينظر: الغبريني، المصدر السابق، ص: 22.

4 – الحسن الوزان ، المصدر السابق، ص: 24.

5 – قرمان، المرجع نفسه، ص: 113.

6 – ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص: 407.

7 – **إبراهيم الآبلي:**أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني، المعروف بالآبلي من أصل أندلسي، ولد تلمسان عام 681هـ/1282م، ترعرع وأخذ العلم بها، حتى صار عالم زمانه، توفي: 757هـ/1956م. ينظر: التنبكتي ، المصدر السابق، ص: 44. ونقادي ، المرجع السابق، ص: 121.

8 – عبد الرحمن بن خلدون ، ينظر ترجمته لاحقا ص:73

9 – نقادي ، المرجع السابق، ص: 103.

وتعتبر هذه المدرسة النموذج الوحيد المتبقي في تلمسان وعلى الرغم من قدمها وما عرفته من أعمال الإصلاح والترميم لا تزال محتفظة بشكلها وهيكلها العام[1].

4- مدرسة سيدي الحلوي:

لا نعلم شيئا عن هذه المدرسة سواء فيما يخص تاريخ إنشائها أو موقعها، والظاهر أن منشئها هو أبو عنان فارس المريني[2]، وقت استيلائه على تلمسان والمغرب الأوسط سنة 754هـ/1454هـ[3]، بالقرب من ضريح الولي أبي عبد الله الشوذي الإشبيلي الملقب بالحلوي المتوفى أواخر القرن هـ/13م[4]، الذي يقع شمال المدينة، وإن إنشائها كان بعد بناء جامع سيدي الحلوي بقليل، إذ لا يستبعد أن يكون أبو عنان قلد والده أبا الحسن المريني[5]،لكن هذه المدرسة لم تكن لها شهرة كبيرة مقارنة بالمدارس الأخرى بتلمسان[6].

---

1 – قرمان، المرجع السابق، ص: 112.

2 – **أبو عنان** هو: أبو عنان فارس المريني ابن أبي الحسن ولد سنة 729هـ تولى حكم الدولة المرينية عام 752هـ/1351م، ولقبه المتوكل على الله، ، بويع في حياة أبيه، ومات مخنوقا عام 759هـ ، وفي فترة حكمه عرف موجهات مع الحفصيين والزيانيين، وبوفاته استطاع الزيانيون استرجاع تلمسان، ينظر: النميري ابن الحاج، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، در وإع: محمد بن شقرون، بيروت دار الغرب الإسلامي، ط01، 1996، ج01، ص: 665.

3 – عبد العزيز فيلالي، المرجع، السابق، ج02، ص: 144.

4 – أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي، إمام العارفين وتاج الأولياء، وسيد الصالحين، نزيل تلمسان، ينظر: ابن مريم، المصدر السابق، ص: 44.

5 – **أبو الحسن المريني** هو: ولد سنة: 679هـ وبويع على الحكم في 732هـ/1331م واستمر عهده إلى غاية 1348/749 فترته شكلت توسعا كبيرا للدولة المرينية على حساب أراضي المغربيين الأوسط والأدنى واكبتها نهضة عمرانية هامة خاصة بناء المدارس والمساجد، حيث بنى ما يفوق 18 مدرسة عبر مختلف المدن وكما قام بدور كبير في جهاد المماليك النصرانية بالأندلس، ينظر: ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص:125 وما يليها.

6 – فيلالي عبد العزيز، المرجع نفسه، ص: 144.

5- المدرسة اليعقوبية: انشأ هذه المدرسة السلطان أبو حمو موسى الثاني تخليدا لذكرى والده أبي يعقوب[1]، وذلك في الفترة الممتدة بين (763هـ/1361-1365م) وسميت باليعقوبية نسبة لوالده، وهي تقع شمال جامع سيدي إبراهيم المصمودي المتوفى سنة 805هـ/1402م[2].

ولما اكتملت المدرسة نقل رفاة والده وعميه أبا سعيد وأبا ثابت إليها،[3]وهدف السلطان أن يجعل من هذا المكان مقبرة خاصة بأفراد بني زيان[4].

وأول من أسند إليه التدريس بها العلامة الشريف أبو عبد الله بحضور السلطان نفسه فكان يوما مشهودا[5]، ولما توفي أمر أبو حمو بدفن هذا العالم بجوار قبر والده تبركا له بجواره[6].

كان لتأسيس هذه المدرسة الأثر الهام في بعث الحركة الثقافية بالمغرب الأوسط أيام العهد الزياني بإقبال الكثير من الطلبة لأخذ مختلف العلوم الشرعية أو الطبيعية من خلال احتضانها لحلقات العلم المنتظمة[7]، وهذا لكونها تقع بالقرب من الجامع الكبير، إذ شكلت إحدى حلقاته، وقد

1 - **أبو يعقوب** هو: المولى أبو يعقوب زاهد آل هذا البيت وصقر زناتة أجمعين والواحد الذي لا نظير له رجولة وفضلا وحياءً وكرما ومجدا وشرفا، مولده سنة 689هـ أقام بالأندلس ، وله مواقف جهاد ضد النصارى الكفار، وفي سنة 723هـ عاد إلى تلمسان في عهد أبو تشفين، ينظر: يحي ابن خلدون ، المصدر السابق، ج02،ص: 16، 17. مؤلف مجهول، زهر البستان، ص: 333.

2 - يحي ابن خلدون، المصدر نفسه، ج:2، ص: 100.

3 - مؤلف مجهول، زهر البستان، ص336.

4 - بن قرية صالح، المرجع السابق، ص: 145.

5 - القلصادي، المصدر السابق، ص: 104. الكعاك عثمان، المرجع السابق، ص: 248.

6 - الخفناوي أبي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، الجزائر، طبع مطبعة بييرفو نشانة الشرقية، د ط، 1324هـ/1906، ص: 343.

7 - عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص: 251.

تناوب على التدريس بها أشهر العلماء، فساهمت هذه المدرسة في تكوين وإعداد من العلماء والقضاة والخطباء والمدرسين الذين كان لهم الأثر الواضح في الحياة الفكرية[1].

ولقد استمرت اليعقوبية خلال الفترات اللاحقة في تأدية وظيفتها رغم ما أصابها من الفتور في بعض المراحل بفعل التحولات السياسية التي عرفتها البلاد[2].

6- مدرسة سيدي الحسن بن مخلوف:

قد تكون هذه المدرسة من إنشاء السلطان أبي العباس أحمد المعروف بالعاقل فيما بين سنتي (834-865هـ/1431-1402م) موقعها قرب أطلال مسجد سيدي أبي الحسن الحلوي خارج باب علي فأخذت منه اسمها[3]؛ لكنها غير معروفة لانطماس آثارها إلا المسجد لعدم شهرتها[4].

7- مدرسة منشر الجلد:

لا نعلم شيئا لا عن منشئ هذه المدرسة ولا عن موقعها ولا عن تاريخ إنشائها ولكن الظاهر أن موقعها كان قرب مسجد منشر الجلد فأخذ منه التسمية ولكن حتى هو اندثر، وانطمست آثاره كسابقته[5].

بالإضافة إلى وجود بعض المدارس الأخرى في وهران والجزائر ومازونة اندثرت هي الأخرى مع مرور الزمن وأصبحت في طي النسيان، فلم يبق لها أثر يذكر[6].

1 - قرمان ، المرجع السابق، ص: 112.
2 - المرجع نفسه، ص: 112.
3 - التنسي، المصدر السابق، ص: 248.
4 - عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص: 251.
5 - شاوش، المرجع السابق، ص: 399.
6 - حسين الوزان، المصدر السابق، ص: 30، 37.

أولى السلاطين عناية خاصة لهذه المدارس المقيمين عليها، إذ خصصوا الأرزاق والأجور والمنح للأساتذة والطلبة والموظفين بها، وعهدوا بالتدريس فيها لأشهر العلماء، وهذا زاد من المكانة العلمية والفكرية لتلمسان الزيانية وخاصة بعد أن درس أبو عبد الله الشريف بالمدرسة اليعقوبية ومحمد بن إبراهيم بمدرسة العباد[1].

– التنافس العلمي بين السلاطين في المغرب الإسلامي:

عمرت الدولة الزيانية أكثر من ثلاثة قرون ولكن حياتها كلها كانت صراعا حادا ومريرا ضد عدة قوى متصارعة متطاحنة على البلاد المغربية فكانت المنافسة شديدة بين ملوك البلاط الزياني من جهة البلاط الحفصي والمريني من جهة أخرى لتدخل الدولتين في الشؤون الداخلية لهذه الدولة، ولكن المنافسة فاقت الحيز السياسي بينهم فكانت منافسة فكرية علمية[2]. في اختيار الكتاب والأدباء، والفقهاء وصلت إلى أشدها[3].

فهذه المنافسة جعلت ملوك تلمسان وتونس وفاس وكذلك بني الأحمر ملوك غرناطة من بلاد الأندلس يرحبون برجال العلم في عواصمهم ويتزلونهم المترل اللائق بأمثالهم ويبذلون لهم الهبات والعطايا ويرفعون من شأنهم[4].

سبق وذكرنا كيف أن ملوك وسلاطين الدولة الزيانية سعوا وبذلوا كل الجهد لاستقطاب أهم وأشهر العلماء في تلك الفترة فنفس الشيء كان يحدث في بلاط الدولة المرينية والحفصية، نجد أن السلطان أبو حمو الأول رحب بابني الإمام أعظم علماء عصره، فاختط لهم مدرسة تعرف

---

1 – المهدي البوعبدلي: "**أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ ونبذة مجهولة من تاريخ حياة بعض أعلامها**"، مجلة الأصالة،الجزائر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1395، 1975،ع:26، ص ص: 139،134.

2 – يحي بوعزيز، "**ماضي مدينة تلمسان وأمجادها الحضارية**،" مجلة: مآثر تلمسان ماضيا وحاضرا، جمع وتع: محمد بوزواوي، الجزائر، القافلة للنشر والتوزيع، 2011، ص: 17.

3 – خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن–دراسة تاريخية وحضارية 633–681هـ/1235–1282م، الجزائر، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط01، 2011، ص: 312.

4 – شاوش، المرجع السابق، ص: 396.

باسمهما، فكان من خاصته واعيان مجلسه ولما ملك أبو الحسن علي المريني تلمسان سنة 737هـ استدعاهما هو الآخر وأدى مجلسهما ورفع محلهما عن أهل طبقتهما، وزين مجلسه بهما، وكما استدعى العلامة الآبلي لبراعته في العلوم فنظمه في طبقة العلماء، فعكف على التدريس وملازمته السلطان إلى غاية وفاته، وبعدها طلبه أبو عنان فنظمه في طبقة أشياخه من العلماء[1]، لأنه كان يسعى إلى الاشتغال بالعلم والحضور في مجالس الفقهاء والقضاة ليرد إليهم ما تعلق بالأحكام الشرعية، فكان السلطان أبو عنان يعقد مجالس العلم كل يوم بعد صلاة الصبح بحضور الفقهاء، ونجباء الطلبة بمسجد قصره فيقرأ بين يديه تفسير القرآن الكريم وحديث المصطفى – صلى الله عليه وسلم– وفروع مذهب مالك[2].

كما اختار لمجلسه الشريف التلمساني الذي كان قريبا للسلطان أبو سعيد الزياني ورحل به إلى فاس، ولكن لما ملك أبو حمو موسى الثاني الحكم استدعاه إلى بلاطه من جديد وبنى له مدرسة يدرس فيها العلم[3].

والتنافس تعدى ذلك إلى بناء المؤسسات التعليمية والفكرية، فكما سبق الذكر عن السلاطين الزيانيين أنهم بنو المدارس للافتخار بها، فالحفصيون بالمغرب الأدنى قاموا كذلك بتشييد المدارس، فالسلطان أبو زكرياء الأول (625-647هـ/1228-1250م)[4]، كان من أهل العلم

1 – محمد الطمار، المرجع السابق ص ص: 210، 214.

2 – ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،دب، المطبعة الخيرية، ط01، 1322، ص: 220.

3 – محمد الطمار، المرجع السابق، ص: 214.

4 – **أبو زكرياء الأول:** مؤسس الإمارة الحفصية سنة 625هـ/1227م اتخذ من تونس عاصمة له بعد أن استقل عن الموحدين لاستيائه من المؤمون الموحدي الذي قام بقتل الموحدين وخاصة من هم من هنتاتة بمراكش ومن إلغائه مهداوية المهدي بن تومرت وتغير رسوم الدولة الموحدية، استمر عهده إلى غاية سنة 647هـ/1249م، ينظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج06، ص: 380.

والمعرفة، يجالس طلبة العلم ويشاركهم أحسن مشاركة[1] بنى مدرسة الشماعين التي تأسيسها عاصر أيام الانفصال عن الموحدين في حدود سنة 633هـ/1237م وهي مازلت قائمة[2].

كما كان بناء المدرسة التوفيقية في عهد أبي عبد الله محمد المستنصر[3] إضافة إلى جامع التوفيق ولا يمكن تأكيد تاريخ تأسيسها[4].

ونفس الشيء حدث في بلاط الدولة المرينية حيث بنيت مدرسة الصفارين التي تعتبر أول المدارس التي بناها سلاطين بني مرين في دولتهم، قام بتشييدها السلطان يعقوب بن عبد الحق[5]، وسميت بهذا الاسم لأنها أقيمت بالقرب من السوق الذي تصنع فيه أواني النحاس الأصفر، ولما تم بناؤها عين لها السلطان مدرسين وأجرى على طلبتها النفقة، وزودها بخزانة كتب وردت إليه من الأندلس[6].

---

1 – ابن القنفذ القسطنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص: 118.

2 – ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح وتق: الطاهر بن محمد المعموري، تونس، الدار العربية للكتاب، والشركة التونسية للفنون والرسم ، دط، دت، ص: 57.

3 – **أبو عبد الله المستنصر:** سلطان مريني تولى الحكم إثر وفاة أبو زكرياء وقد نصبه على العرش كبار الرجال الدولة والجيش في مدينة عنابة بايعه أهل مدينته وهو في عمر اثنين وعشرين سنة، واجه العديد من الثورات لتصحيح الأوضاع باتخاذ سياسة متينة لتسيير دولته، جلب إلى بلاطه العديد من العلماء من مختلف البلاد، ينظر: روبار برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تر: حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي ط01، 1988م، ج01، ص ص:69 ،72.

4 – ابن الشماع، المصدر السابق، ص: 63.

5 – **يعقوب بن عبد الحق المريني:** يكنى أبا يوسف لقبه القائم بأمر الله المنصور به في أول الأمر تلقب بالمؤيد بالله هو رابع الإخوة الأربعة الذين ولوا الأمر بالمغرب من بني عبد الحق، بويع سنة 650هـ ملك فاس سنة 657هـ، كان مقربا للعلماء ويستشيرهم في أمور البلاد، توفي سنة 685هـ، بالأندلس ينظر: تح وتع: جعفر الناصر ،محمد الناصر، الدار البيضاء، دار الكتاب، 1954مج03، ص: 65،20.

6 – محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ-1213م/869هـ-1465م) الكويت، دار القلم للنشر والتوزيع، ط02، 1408هـ/1987م، ص ص: 324.علي ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ،الرباط، د م، 1392-1972م، ص: 163. الناصري، المصدر نفسه، ص:65.

وابتنى أبو يعقوب يوسف مدرسة أخرى بمراكش[1]، وفي عهد السلطان علي بن أبي سعيد عثمان بنيت مدرسة غربي جامع الأندلس بفاس، فبنيت على أتم بناء، انفق لذلك أموالا جليلة، ورتب فيها الفقهاء للتدريس بها وأسكنها بطلبة العلم وقراء القرآن الكريم وأجرى عليهم الإنفاق[2]، استمر تأسيس المدارس مع سلاطين المرينيين واصل بتأسيس مدرسة الحلفائيين لمدينة فاس ومدرسة الصهريج إلى غير ذلك[3].

وكما بنى أبو عنان المريني المدرسة المتوكلية المعروفة اليوم بالمدرسة البوعنانية الكائنة في طالعة فاس بناها لقاضي حضرته[4] سنة 750هـ/1349م وتعتبر قيمة الفن المعماري المريني الخاص إذ ابتعدت عن تأثير الفن الموحدي، فاستغرق بنائها سبع سنوات وأقيمت أمامها ساعة لمعرفة الأوقات[5].

يبدو أن المرينيين من خلال إنشائهم للمدارس أرادوا التوسع في التعليم لمنافسة الحواضر الأخرى ببلاد المغرب الإسلامي[6].

1 – **أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق** بويع بالخلافة بمدينة فاس سنة 1258/658 بعد صلح تم بينه وبين ابن أخيه عمر، قام بمواصلة سياسة أخيه في الحكم بمد النفوذ المريني حيث واجه جميع الثورات الداخلية والخارجية، ينظر: ابن الأحمر، روضة النسرين، ص: 21 وابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس ،الرباط، مطبعة صور للطباعة والوراقة، د ط، 1972م، ص: 199.

2 – ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ، ص: 411. الأنيس المطرب بروض القرطاس، ص: 412–413.

3 – ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق، ص ص: 405–406.

4 – الجزنائي علي، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منظور، الرباط ،المطبعة الملكية، ط02، 1991،1411، ص: 53.

5 – محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص ص: 325–326.

6 – المرجع نفسه، ص: 326.

وبهذه المنافسة تعددت المناظرات العلمية وازدهرت الفنون في مختلف حواضر المغرب الإسلامي[1]، وكثرت المذكرات العلمية المناقشات المفيدة في مجالس الملوك[2].

ثانيا: التعليم في العهد الزياني ومنهجه:

كان التعليم ولا يزال الأساس الحقيقي لكل ثقافة ولأي تقدم في المجتمع الإنساني فالعلم من جملة الصنائع؛ التفنن فيه بالمعرفة والحصول على مبادئه وقواعده، والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله[3]، وكما أن تطوره في البلاد المغربية بظهور المؤسسات الدينية والتعليمية، وذلك منذ انطلاق الفتوحات الإسلامية بالمغرب الإسلامي في القرن01هـ/07م، ومثل المسجد النواة الأولى كمؤسسة ثقافية تعليمية ودينية في آن واحد[4]، وكانت كل المساجد في العهد الزياني ترتكز بالقرى والمداشر والمدن يحفظ بها القرآن الكريم والحديث في الأول ثم تدريس العلوم اللغوية والفقهية والأدبية، ومختلف العلوم الأخرى فتعرف بالمساجد الجامعة وهي على مثيل ما يجرى به التعليم في الجامع الأعظم بتونس أو بجامع القرويين بحاضرة فاس[5].

ثم بدأت تظهر مؤسسات أخرى مشاركة في تبليغ الرسالة الدينية مخففة عن المساجد الأعباء[6] لأنها بقاع الله سبحانه وتعالى اختطها بتشريفه وجعلها مواطن لعبادته يضاعف فيها الثواب وينمي بها الأجور[7]، لقوله تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ**

1 – زبيدة أقروفة، المرجع السابق، ص: 44.

2 – الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب، إش: أحمد حجي، المملكة المغربية ،وزارة الأوقاف والشؤن المغربية،د ط:1401هـ ـ1981م، ج06، ص: 361.

3 – ابن خلدون، المقدمة، ص: 543.

4 – قرمان، المرجع السابق، ص: 101.

5 – عثمان الكعاك، المرجع السابق، ص: 246.

6 – قرمان، المرجع نفسه، ص: 101.

7 – ابن خلدون، المقدمة، ص: 435.

لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[1]، ومن بين تلك المؤسسات توجد المدارس العلمية المتخصصة كما سبق التعريف بها وما تبعها من كتاتيب قرآنية إضافة للزوايا المنتشرة في البلاد، وقد مرت بمراحل قوة وضعف طبقا للأوضاع السياسية المحيطة بها[2].

والحديث عن الحياة الفكرية بتلمسان أيام العهد الزياني يقتضي أولا التعرض لمراحل التعليم ومناهجه آنذاك ومما له علاقة ماسة بالإطار الذي كان يقع فيه تكوين الطالب والبيئة الفكرية التي كانت تحيط به، ولقد كان التعليم منتشر في شتى مدن الدولة الزيانية ومعظم قراها.

ـــ مراحل التعليم في العهد الزياني:

أ- المرحلة الأولى: تعرف بمرحلة التعليم الابتدائية: تتوقف على تعليم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الكريم، وذلك في المساجد والكتاتيب[3]، إذا كانت أهم هذه المؤسسات التي تعتمد في تعليم الصبيان القرآن الكريم والعلوم الدينية والدنيوية الأخرى، ويقوم بهذه المهمة معلمون من حفظة القرآن يشترط فيهم الصفات الأساسية كالتجويد والكتابة ومعرفة الأحكام القرآنية[4].

ب- المرحلة الثانية: كان الطلبة يقبلون على دراسة النحو، واللغة والأدب والفقه فينالون بضاعة وافرة تمكنهم من بلوغ مستوى ثقافي لائق، ومن معرفة دينهم والإلمام بالعلوم اللسانية.

ج- المرحلة الثالثة: مخصصة للذين يريدون مواصلة دراستهم والتخصص في العلوم الدينية ينتقلون إلى هذه المرحلة التي تعتبر الأخيرة، فيدرسون العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه وتوحيد والعلوم العقلية والاجتماعية والأدب وغيرها بمزيد من التعمق والتفصيل[5].

---

1 – سورة النور، الآية: 36.

2 – محمد العربي حرز الله، تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة، الجزائر، دار السبيل، ط01، 2011، ص: 212.

3 – المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص: 137.

4 – خالد بلعربي، المرجع السابق، ص: 318.

5 – المهدي البوعبدلي، المرجع نفسه، ص: 138.

ويبدو أن التعليم في العهد الزياني كان متطور جدا بسبب العلاقات الوطيدة التي كانت تجمع بين سلاطين الدولة وملوك الأندلس وكان لابد أن يتأثر التعليم بالنمط الأندلسي الذي كان رائد في العالم اجمع، فقد كان التعليم ناهيك عن تناوله لعلوم اللغة والأدب والعلوم الدينية يتناول علوم تجريدية وتجريبية كثيرة ولاسيما الحساب والطب[1].

ـــ طرق التعليم :

أ- طريقة الإلقاء والإملاء:اعتمدت هذه الطريقة في الكتاتيب حيث كان المعلم يجلس وسط الكتاب والصبيان حوله،يقوم بتعليمهم وتحفيظهم السور القرآنية[2].

ب- طريقة اختيار الكتاب وشرحه: طريقة الإلقاء كان يعتمد عليها بداية ظهور الدولة الزيانية إذ يقوم أحد الطلبة بقراءة نص من كتاب مشهور في المادة المدروسة، فيتولى الأستاذ شرحه فقرة بعد فقرة، والطلبة يسجلون كل ما يستدعي انتباههم من شرح الأستاذ[3].

ج- طريقة المحاورة والمناظرة :هي طريقة جديدة لتلقين العلوم تتم بالتدريج شيئا فشيئا حسب قوة إدراك الطلبة وفهمهم لها وانتشارها، كان من خلال رحلة ابني الإمام إلى المشرق عام (720هـ/1320م) اخذ العلم هناك ثم رجع إلى تلمسان بعلم غزير وطريقة جديدة في التعليم مفيدة ومغايرة للطريقة القديمة امتازت باعتمادها بالدرجة الأولى على البحث والتفكير وعدم الاكتفاء بالحفظ والعمل بالمناظرة، فسار الأساتذة يخاطبون طلبتهم حسب ما عندهم من معلومات دون تقصير ولا مبالغة[4]، حسب قول ابن خلدون، "اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون

1 – محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص ص: 210، 211.

2 – محمد بوشقيق، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م) ،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط ، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1431هـ-1432هـ/2010-2011م، ص:72.

3 – خالد بلعربي المرجع السابق، ص: 315.

4 ــ شاوش، المرجع السابق، ص: 404.

مفيدا، إذ كان على التدريج شيئا فشيئا، وقليلا قليلا، ويراعي في ذلك قوة عقل الطالب واستعداده لقبول ما يرى عليه"[1].

فكان لذلك أثر محمود في تكوين أجيال صالحة من كبار العلماء الذين ساهموا مساهمة كبرى في تقديم الحركة العلمية الإسلامية في عصرهم في شتي العلوم والمجالات[2]، وهذا يؤكد أن التعليم بصفة عامة ظل مزدهرا طوال العهد الزياني[3].

1 – ابن خلدون، المقدمة، ص: 734.

2 – البوعبدلي المهدي، المرجع السابق، ص: 139.

3 – محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص: 213.

ثالثا: الرحلة العلمية ودورها في ازدهار حركة التأليف على العهد الزياني:

- **تعريف الرحلة وأنواعها:**

لغة: الترحل والارتحال، والانتقال، وهي الرِّحلة، والرَّحْلَةُ، الرحلة اسم للارتحال والمسير، يقال دانت رحلتنا، ورحل فلا وارتحل وترحلة[1].

اصطلاحا: إن الرحلة قديمة قدم الإنسان إذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هذا وإن اختلفت دوافع الرحلة، وتباينت وسائل السفر، وتنوعت مادتها، فالرحلة تعبر عن الحركة والمخالطة للناس والأقوام، لذا اعتبرت الرحلات أكثر المدارس تثقيف للإنسان وإثراء لفكره، وتأملاته[2]، من خلال اكتشاف أغلاط التواريخ، فكان المسير أفيد للحقائق لأنه تحصل به المشاهدة للحالة الحاضرة ثم في الأشياء الماضية[3]، وكما تعد الرحلة من أهم الوسائل لطلب العلم في أوائل العصر الإسلامي لاتساع رقعة الدولة الإسلامية وتعدد مراكز الثقافة في ديار الإسلام[4]، فانتشر أدب الرحلة بين العرب انتشارا كبيرا، وقد تعددت الغايات والأغراض من الرحلات فبعضها استطلاعي ذو طابع عسكري، وبعضها تجاري، وبعضها ديني، وبعضها علمي[5]، فتعد هذه الرحلات من سمات التطور الحضاري والتفوق العلمي وما زاد من ذلك وجود الأسفار للعلماء بين مراكز العلم في العالم الإسلامي، وذلك لتزود بالعلوم المختلفة واكتساب المعرفة[6]،

---

1 – ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط01، د ت، مج06، ص: 124.

2 – محمد نهيم حسين، آداب الرحلات، الكويت، عالم المعرفة، د ط، 1978م، ص: 15.

3 – السنوسي محمد، الرحلة الحجازية، تح: علي الشنوفي، تونس ،الشركة التونسية للتوزيع، د ط، 1396هـ/1979م، ص: 31.

4 – أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، جدة، دار البيان العربي، د ط، د ت، ص ص: 07، 12.

5 – علي بن سالم الورداني، الرحلة الأندلسية، تح: عبد الجبار الشريف، تونس، الدار التونسية للنشر، د ط، مارس 1984م، ص: 13.

6 – لامعة زكري، "**الرحلة العلمية ودورها في إثراء المجال العلمي: المفهوم والدوافع، والأنواع**"، مجلة كان التاريخية،الكويت ،دار ناشري، 1435هـ، 2013، ع: 22، ص: 157.

فقد تولد عن ذلك نشاط علمي كبير في الدولة الإسلامية، لذا تكمن أهمية الرحلة في أن لها دور كبير في تمتين العلاقات وتنشيط الحركة الثقافية والفكرية بين الدول ومن خلال مختلف الكتب والمصنفات التي كانوا يتداولها علماء الدول والطلبة فكانت الحركة الفكرية متواصلة بين البلدان باعتبارها من الأعمال الصالحة التي يقوم بها الإنسان[1].

وأما هدفها في تسلح المرء بالنظر الدقيق والرؤية الموضوعية للإنشاء حتى يستطيع استخلاص الدروس الحقيقية المتجردة والعبر الواقعية[2]. ولأهمية وصلاح الرحلة نجد الدين الإسلامي في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية يدعو ويحث على ممارستها كقول الله عز وجل: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾[3]، وقوله أيضا: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[4]، ومن هنا يتبين لنا قيمة الرحلة العلمية، التي يمكن أن نصنفها إلى نوعين؛ الرحلة لأداء فريضة الحج والرحلة لطلب العلم.

- **أنواع الرحلة :**

أ- الرحلة لأداء فريضة الحج:

لعل من أهم بواعث الرحلة وأعظمها شأنا عند المسلمين تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، لقوله تعالى: ﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾[5]. إذ يسافر آلاف من المغاربة في كل عام إلى الحجاز للقيام بهذه الفريضة، وبعد زيارة

1 – لامعة زكري، "المرجع السابق، ص: 157.

2 – عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، القاهرة ،مكتبة الدار العربية للكتاب، ط01، 1416هـ/1996م، ص: 18.

3 – سورة الملك، الآية: 15.

4 – سورة العنكبوت، الآية: 20.

5 – سورة الحج، الآية: 27.

الحرمين الشريفين كان الكثير منهم يقصدون المقامات المباركة بالمشرق كالمسجد الأقصى بالقدس وقبر إبراهيم الخليل عليه السلام، ثم يعرجون على دمشق، وطالما زاروا بغداد عاصمة العباسيين بالعراق، وفي رجوعهم يقفون برهة بمصر حيث جامع عمر- رضي الله عنه- بالفسطاط والجامع الأزهر حتى ينتهون إلى المغرب الإسلامي أو الأندلس[1].

وكان من هؤلاء الحجاج الطلبة والعلماء الذين كان هدفهم أبعد من رحلة الحج حيث توفر لهم بعد قضاء المناسك لقاء العلماء والاختلاط بهم وتبادل المعارف معهم، والأخذ عنهم والاستفادة من علومهم[2]، ومنهم من سجل مشاهداتهم والأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحلة وليس من شك في أن مدونات شاهد العيان أصدق وأقوى تأثيرا مما يسمع أو يقرأ[3].

فالرحلة هنا ذات هدف مزدوج حيث أنه أثناء أداء فريضة الحج يغتنمون الفرصة ليلتقوا الشيوخ والفقهاء في المدن التي كانوا يمرون بها ويأخذون منهم ما تيسر لهم من علوم مختلفة[4].

ب- الرحلة لطلب العلم:

من أبرز خصائص الفكر الإنساني أنه لا يؤمن بالحواجز السياسية، ولا يعرف الحدود الجغرافية التي من شانها منع الاتصال بين حقوله المعرفية، فالتلاقح الفكري بين الأمم ظاهرة معروفة خصوصا إذ حلت محل تلك الحواجز السياسية والطبيعية عوامل التقارب كوحدة الدين واللغة كما هو الحال في العالم الإسلامي بجناحه الشرقي والغربي في العصور الوسطى[5]، لأن طلب العلم من

1 – التيجاني أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التيجاني، قدم لها: حسن حسين عبد الوهاب، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، د ط، 1981م، ص: 1، 2 .

2 – لامعة زكري، المرجع السابق، ص: 158.

3 – أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص: 13.

4 – العبدري، المصدر السابق، ص: 11.

5 – نعيمة بوكريديمي، المرجع السابق، ص: 11.

الأمور المحمودة في العالم الإسلامي لتمتين الروابط فيكون سبيلهم للتحصيل العلمي[1]. فالرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال التعليم[2].

فكان طلاب العلم لا يكتفون بما يتلقونه من العلم في مدنهم بل يطوفون البلاد للقاء العلماء المشهورين للأخذ عنهم وكانت الرحلة تتم في دولة العالم الإسلامي من أجل البحث والتمعن في العلوم[3]، ومد جسور العلم والثقافة عبر الأجيال ويتمثل هذا الاتصال في تداول المعارف، والكتب وتبادل الإجازات[4] .

كما كان الاهتمام بالرحلة في طلب العلم نوعا من أنواع التحقيق العلمي، فلم يظهر كتاب لإمام ما إلا وسارع إليه طلاب العلم ليقرؤه عليه بغية إسناده ونسبته إليه [5].

فكان التجول في سبيل الدراسة والعلم أمرا شائعا بين طلاب العلم في المغرب الإسلامي ، وذلك للحرص على لقاء الشيوخ والأساتذة المشهورين والأخذ عنهم مباشرة، إذ تمثل أهمية كبرى في التعليم ويعتبر ثقة في مادته العلمية[6]، فيذكر ابن خلدون ذلك: «إن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل، تارة علما وتعليما، وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقين

---

1 – حلول هادي، "**الرحلة إلى طلب العلم في تلمسان في العهد الزياني القرن (7-9هـ/13-15م)**" مجلة: كان التاريخية،الكويت، دار ناشري، 1435هـ،2014، ع:25، ص: 134.

2 – ابن خلدون ، المقدمة، ص: 744.

3 – لخضر عبدلي، تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م)، الجزائر، دار الأوطان، ط01، 2011، ص: 484.

4 – **الإجازة:** تدل على المستوى العلمي الهام الذي وصل إليه الطالب بعد أن اخذ المعرفة والعلم وما يهيئه إلى إجازة التدريس الكتاب أو الكتب المجاز بها أو رواية الحديث المأذن له في روايته، ويكون المجيز عالما لما يجيز به وثقة في دينه وروايته، فيعرف بالعلم، والإجازة ضرورة علمية في الأوساط العلمية، يحرص عليها العالم لضمان نشر علمه سليما، خاليا من التحريف والأغلاط ، ينظر: عبد العزيز محمد عادل، التربية الإسلامية أصولها وتأثيراتها الأندلسية، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 1987م، ص: 35.

5 – المرجع نفسه، ص: 30.

6 – عبد العزيز محمد العادل،المرجع السابق، ص: 30.

بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة، والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها»[1].

فشد طلاب العلم من أهل تلمسان رحالهم إلى مختلف الحواضر المغربية والأندلسية والمشرقية، تدفعهم في ذلك الرغبة للاستزادة من العلم على كبار شيوخ هذه الحواضر[2]، هذا يظهر لنا العلاقات الفكرية القوية التي جعلت تلمسان على صلة وثيقة بغيرها، فلم يكن يظهر جديد إلا وكان لها نصيب فيه[3].

فتعدد حظائر العلم يدفع للتلاقح الفكري والنضج العقلي والإنتاج العلمي من خلال طلب لعلم الأقرب إلى الموضوعية والتفكير المنطقي السليم والبعد عن الغلو والتحجر على الذات والأفكار، إذ كلما كثر التواصل بين أهل العلم كما تفتحت العقول والملكات الذهنية والآفاق[4].

فعلماء تلمسان انتقلوا إلى تونس تدفعهم الرغبة في المزيد من الدرس والتحصيل على شيوخ الزيتونة، وإلى مدينة فاس للإجازة على علماء القرويين، أو الأخذ من فقهاء غرناطة وبجاية، ومدارس الإسكندرية والجامع الأزهر بالقاهرة، والانتساب إلى مركز التعليم بالمشرق الإسلامي لتعمق في دراسة الفقه وأصوله والعلوم الأخرى[5].

- الرحلة العلمية لعلماء المغرب الأوسط إلى المشرق الإسلامي:

كان التأثير الثقافي والفكري لدول المشرق واضحا على بلاد المغرب الأوسط من خلال مجموعة كبيرة من العلماء والفقهاء والأدباء التلمسانيين الذين تزودوا بمعارف المشرق لينقلوها إلى بلادهم فنذكر:

1 – ابن خلدون، المقدمة، ص ص: 744، 745.

2 – حلول هادي، المرجع السابق، ص: 136.

3 – عبد الحق حميش، سير أعلام تلمسان، الجزائر، دار التوفيقية، د ط، 2011، ص: 116.

4 – اقروفة زبيدة، المرجع السابق، ص: 45.

5 – فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ج02، ص ص: 312، 313.

– أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد العبدري التلمساني ويكنى أبو عبد الله واسمه محمد، عرف بالأبلي نسبة إلى ثغر أبلة من الأندلس.

ولد بمدينة تلمسان سنة 681هـ/1282م، ترعرع بربض سيدي أبومدين انتحل العلم وطلبه شرقا وغربا[1]، وعرف بالعلامة العمدة المحصل الفقيه الفهامة القدوة الكامل، سمع عن القاضي ابن غلبون وأخذ عن أبي الحسن التنسي وابن الإمام وانتفع بهم وغيرهم[2]. ثم رحل آخر المائة السابعة إلى المشرق فدخل مصر والشام والحجاز والعراق وقفل راجعا إلى المغرب بعد أن سمع عن العلماء هناك أقام بتلمسان مدة [3]،ثم دخل مراكش في حدود سنة 710هـ ونزل على شيخ المنقول والمعقول الإمام ابن البناء ولازمه وتضلع منه العلوم والتعاليم والحكمة، فعكف للتدريس والتعليم وبث العلوم العقلية بين أهل المغرب حتى حذق فيها الكثير منهم[4].

كما أخذ عنه جلة من العلماء منهم ابن خلدون وانتفع به ومحمد بن الصباغ المكناسي والشريف التلمساني والعلامة ابن مرزوق الجد وابن عرفة وغيرهم[5].

فهكذا يعتبر الآبلي رجل تشبه بالعلوم وتخرج على يده علماء أجلاء ولكن لم يترك لنا شيئا من المؤلفات، فلذا شحت أخباره من أهل السير والتراجم[6].

1 – ابن خلدون ، رحلة ابن خلدون، ص: 67.

2 – محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، القاهرة ،المطبعة السلفية ومكتبتها، د ط،1349هـ، ص: 221.

3 – المقري ، المصدر السابق، مج05، ص: 244.

4 – التنبكتي ، المصدر السابق، ص: 412.

5 – مخلوف محمد بن محمد، المصدر السابق، ص: 221.

6 – نقادي ،المرجع السابق،ص:16.

هكذا يكون هؤلاء العلماء قد رجعوا إلى المغرب الإسلامي بصفة عامة والأوسط بصفة خاصة، بعلم كثير وتعليم مفيد للجيل القادم ونقلوا الطرق التعليمية الجديدة التي لها صدى في ازدهار الحركة الفكرية والعلمية[1].

وقد كانت المغرب والأندلس تستقبل بعض الرحالين والعلماء من المشرق ولكن رحلة المغاربة والأندلسيين إلى المشرق كانت على وجه العموم أكثر من رحلة المشارقة إلى المغرب لأن مركز الحج بالمشرق ومدن العلم الأولى فيه[2].

- **التبادل علمي بين علماء تلمسان والمغربين الأقصى والأدنى:**

أ- مع المغرب الأقصى:

على الرغم من الصراع المحتدم والمستمر بين تلك الدول في المغرب الإسلامي، إلا أنه وجد تبادل ثقافي بين علماء المغرب الإسلامي، تدفعهم في ذلك الرغبة في الاستزادة في علم ما والتبحر فيه، ولقاء كبار الشيوخ، فيوجد في طلبة العلم التلمسانيين من شدوا الرحال إلى العاصمة العلمية فاس، طلبا لمزيد من الدراسة لإتمام معلوماتهم والإحراز على السند واكتساب مناهج علمية جديدة، وطرق متطورة في التعليم والحصول على الإجازات العلمية[3]، فيصبحوا شيوخا وأساتذة وعلماء ساهموا في المغربيين الأوسط والأقصى، فيكون قد جعلوا من العهدين الزياني والمريني من العهود المزدهرة ثقافيا وفكريا في تاريخ المغرب الإسلامي، وخاصة أهل تلمسان كآل مرزوق وآلتنسي وآل الإمام وآل المقري وآل الشريف التلمساني وآل النجار وغيرهم من البيوتات والأسر

1 – شاوش، المرجع السابق، ص: 404.

2 – القلصادي، المصدر السابق، ص: 65.

3 – نعيمة بوبكريديمي، المرجع السابق، ص: 41.

التي أنجبت العديد من العلماء والفقهاء حتى أن بعضهم في رحلتهم رفضوا المراتب والجرايات[1]. فنذكر أمثال:

-محمد بن يحي بن علي بن النجار التلمساني: شيخ التعاليم من أهل تلمسان، نشأ وأخذ العلم بها من كبار علمائها كالآبلي وبرز عليه، فأصبح من كبار العلماء في عصره، ثم ارتحل إلى المغرب فلقي بستة إمام محمد بن هلال شاح المجسطي[2] وأخذ بمراكش عن الإمام أحمد ابن البناء في علم النجامة وأحكامها، ورجع إلى تلمسان بهذا العلم الكثير، هلك بالطاعون سنة 749هـ[3]، فقال عنه العلامة الآبلي: «ما قرأ علي أحد حتى قلت له: لم يبق عندي ما أقول لك غير ابن النجار»[4]، وخلف نظم في الشعر وله فتاوى نقلها الونشريسي في كتابه[5].

- المقري الجد: أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القريشي التلمساني ، من الأدباء والفقهاء المتصوفين من علماء المالكية[6]، ولد بتلمسان وتعلم بها حيث اخذ عن ابني الإمام عبد الرحمن وعيسى وابن أبي عمران موسي بن يوسف المشدالي وسعيد بن إبراهيم بن علي الخياط وآخرون[7]، المعروف عنه أنه تولى قاضي الجماعة بتلمسان وفاس[8]، فأخذ بمختلف العلوم العربية والفقه والتفسير والتاريخ والأدب وشارك في الأصلين الجدل والمنطق[9]، رحل لمزيد من المعرفة إلى

1 - حاجيات عبد الحميد، "الحياة الفكرية بتلمسان في عهد بني زيان"، مجلة :الأصال المرجع السابق، ص: 275.

2 - المكناسي أحمد بن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس،الرباط، دار المنصور، د ط، 1973، ص: 302.

3 - السملالي العباس بن إبراهيم، الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مر: عبد الوهاب ابن منصور، الرباط، المطبعة الملكية، ط02، 1413هـ،1993م، ج04، ص: 357.

4 - التنبكتي ، المصدر السابق، ص: 404.

5 - النويهض عادل، المرجع السابق، ص: 82.

6 - الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002، ج07، ص: 37.

7 - المكناسي ، المصدر نفسه، ص: 498.

8 - ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة،ج02، ص: 195.

9 - المكناسي أحمد بن القاضي، المصدر نفسه، ص: 499.

المشرق وتونس وبجاية والأندلس فلقي جملة من الفقهاء والصلحاء الكبار أخذ منهم المزيد من العلوم، ثم توجه إلى فاس صحبة السلطان أبو عنان الذي بنى له مدرسة المتوكلية فعكف لتدريس بها إلى أن توفى سنة 759هـ/1359م[1].

كما نذكر أن ابن الخطيب لسان الدين وعبد الرحمن ابن خلدون أخذوا عنه، ومن جملة مؤلفاته نذكر كتاب القواعد اشتمل على 1200قاعدة وإنه كتاب غزير العلم، والطرف والتحف وعمل من طب لمن حب وغيرها [2].

ـأبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب ،ولد سنة710هـ ،ارتحل مع والده إلى المشرق سنة 718هـ، وبعدها عاد إلى تلمسان في الفترة التي عرفت فيها حصار السلطان أبا الحسن المريني فالتحق ببلاطه فنال مكانة عنده، لذا أخذه معه في سائر تنقلاته، وفي سنة 752هـ أجاز إلى الأندلس فخطب بجامع الحمراء بغرناطة لمدة ثلاث سنوات ودرس بمدارسها[3].

هكذا كان الإشعاع العلمي لعلماء تلمسان الذي امتد إلى غاية تلك البقاع، لذلك لم يكن غريبا من أبناء المغرب الأقصى أن يقصدوا تلمسان للتزود من علمها كعيسى بن أحمد أبو مهدي المواسي البطوي الفاسي، فقيها ومفتيا، وأستاذا خطيبا، أخذ العلوم عن شيوخ فاس وتلمسان هو من بيت علم فاس، نقلت عنه فتاوى في كتاب المعيار المعرب للونشريسي، وتوفي سنة 896هـ[4].

وكذلك عبد العزيز عبد الواحد اللمطي الفاسي الإمام العلامة المتفنن الفصيح الناظم الناثر له منظومات في الفنون، قرأ بفاس، حج أزيد من ثلاثين حجة، وزار مدينة تلمسان إلا أنه سكن

1 – الزركلي، المرجع نفسه،ج 07 ص: 37.

2 – المرجع نفسه، ص: 313.

3 – ابن مرزوق الخطيب، المصدر السابق،ص ص:32،23.

4 – التنبكتي ، المصدر السابق، ص: 299.

المدينة ومات بها، ألف الفية في النحو، وضمن ألفية ابن مالك، وله تقيد عل مختصر خليل، فكان آية في العلوم[1].

ب- مع المغرب الأدنى:

لم تتوقف الرحلات التلمسانية مع بلاد المشرق والمغرب الأقصى فقط، وإنما هناك من شد الرحال إلى دولة الحفصين غير مبالين بالصراع السياسي، فكان الذي يهمهم اكتساب معارف جديدة تضاف في رصيدهم المعرفي، كابن الإمام والشريف التلمساني الذي انتقل إلى تونس عام 740هـ/1339م[2]، ونذكر كذلك ابن مرزوق الخطيب قد دخل المغرب الأدنى ما بين سنة 733-735هـ/1332-1334م، أثناء عودته من الحجاز إلى تلمسان وكما ارتحل مرة ثانية إلى تونس بعد أن أخرج من السجن وهناك استقبله السلطان الحفصي وأكرم نزله[3]، ولا ننسى أن عبد الرحمن ابن خلدون وأخوه يحي قبل استقرارهما بتلمسان أن أصليهما من المغرب الأدنى فكانت ولادتهما بتونس، وهما من أسرة عريقة في الثقافة والعلوم وقد شغل بعض أفرادها مناصب سامية في الدولة الحفصية، وهكذا نشأ الأخوين في بيئة علمية ساهمة في تكوينهما الفكري [4].

1 – المنجور أحمد بن علي بن عبد الرحمن، فهرس أحمد المنجور، تح: محمد حجي، الرباط، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1396هـ،1976م، ص ص: 35-36.

2 – عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص ص: 120، 121.

3 – ابن مرزوق الخطيب،المصدر السابق، ص:23 ،25 ،28.

4 – يحي ابن خلدون، المصدر السابق،ج1،ص ص:7 ،10.

- **الحركة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط وأثرها في الازدهار العلمي:**

للحركة الأندلسية تأثيرات جديدة على المغرب الإسلامي[1]، وكان لتلمسان نصيب منها باعتبارها أهم المراكز الثقافية التي يقصدها العلماء والأدباء ليس فقط من الأندلس وإنما من مختلف الأقطار الإسلامية الأخرى[2].

وأثناء تنقلاتهم لطلب العلم أو لأداء فريضة الحج كما سبق الذكر كانت أثنائها تلمسان معبرا لهم إلى البلاد الشرقية[3]، وبدوافع اقتصادية واجتماعية وخاصة سياسية وجودة مرحلتين لهذه الحركة:

الرحلة العلمية بين الأندلس وتلمسان: وهي الممتدة من قيام دولة بني زيان إلى غاية سقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م في رحلات متتابعة ، فكان تأثيرهم على تلمسان في مختلف أنواع العلوم والفنون ودعم الحركة الفكرية بها لما يميز هؤلاء الأندلسيين من رفعة مستواهم الحضاري[4]، ويوجد من هؤلاء الوافدين من احتضنهم البلاط الزياني بحفاوة وقلد بعضهم خطط الكتابة والحجابة كبنو وضاح الوافدين من شرق الأندلس في بداية عهد أبي يحي يغمراسن، وأسرة بني ملاح من بيوت مدينة قرطبة[5] وأسرة الآبلي التي أنجبت بتلمسان عالما جليلا[6] إبراهيم الآبلي، وحتى السلطان أبو موسى الثاني مجدد الدولة الزيانية فإنه أندلسي ولادة[7].

1 – الحسن السائح، الحضارة الإسلامية بالمغرب، الدار البيضاء ،دار الثقافة، ط02، 1406هـ،1986م، ص: 300.
2– عبد الحميد حاجيات، "**تلمسان مركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط**"، مجلة: الحضارة الإسلامية، وهران،1993م،ع:01، ص: 35.
3 – القلصادي، المصدر السابق، ص: 59.
4 – نقادي ، المرجع السابق، ص: 50.
5 – عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص: 131.
6 – شاوش، المرجع السابق، ص: 402.
7 – المرجع نفسه، ص ص: 401–403.

لم تكن الرحلة تقتصر على الوفود الأندلسي إلى تلمسان فقط وإنما متبادلة فهناك من أبناء تلمسان من كانوا يرحلون إلى الأندلس ويستوطنون فيها حيث يبنون فيها علمهم ومعارفهم ومن هؤلاء العلماء نجد التلمساني عبد الله بن محمد المتوفي 707هـ/1309م نشأ بتلمسان وتعلم بها في أواخر سنة 703هـ، دخل الأندلس واستقر بمدينة غرناطة حيث جلس للتدريس وما لبث أن ذاع صيته وما يدل على شهرته في عصره أنه كثير التداول من قبل المؤرخين والمهتمين بالتراجم والسير، وكذلك نجد التلمساني أبو عبد الله بن محمد بن أحمد الادرسي الحسني المتوفي سنة 792هـ/1390م من كبار العلماء في وقته رحل إلى الأندلس ودخل غرناطة وجلس مدة بها للتدريس[1].

وأما الثانية تتمثل في الهجرة الأندلسية حيث كثر عدد المهاجرين في العهد الزياني إلى تلمسان بعد أن استولى الأسبان على مدن وقواعد البلاد الأندلسية[2]، إلى غاية سقوط آخر معقل للمسلمين بالأندلس غرناطة سنة 897هـ/1492م فما كان على المسلمين إلا أن يهاجروا الأندلس نازحين إلى المدن الإسلامية الأخرى[3].

كان لتلمسان نصيب وافر في استقطابهم خاصة بعد استقرار ملك بين زيان فبدأ هؤلاء الأندلسيون يهاجرون إليها نظرا للمكانة العلمية والحضارية التي امتازت بها[4] حاملين معهم فنونهم وعلومهم وآدابهم[5].

فلا يخفى التفوق الأندلسي على سواهم في العلوم بصفة عامة وفي الفنون والأدب بصفة خاصة، فاستفاد أهل تلمسان من معارفهم العلمية والأدبية ومن خبرتهم الفنية والصناعية[6]، فكان

1 – عبد الحق حميش، المرجع السابق، ص: 125.
2 – محمد الطمار، المرجع السابق، ص: 208.
3 – المقري، المصدر السابق، مج01، ص: 452.
4 – محمد بوشقيف، المرجع السابق، ص: 30.
5 – محمد الطمار، المرجع نفسه، ص: 208.
6 – شاوش، المرجع السابق، ص: 401.

تأثيرهم أكثر في التعليم حيث نقلوا طريقة جديدة في التعليم بدلا من الطريقة القديمة القائمة على التحفيظ، فنشر الأندلسيون طريقة المناظرة والجدل، ولقد تقلدوا مناصب التدريس في معاهد تلمسان[1] الذين تخرج على يدهم العديد من العلماء فوجد عدد لا يحصى منهم ساهموا بإنتاجهم الفكري ولكن منهم ما بلغنا إنتاجهم ومنهم من لعبت بإنتاجه أيدي الزمان[2].

إن كتب التراجم والسير تعج بأسماء هؤلاء الأعلام الذين أنجبتهم أرض المغرب الذين جابوا البلاد الإسلامية لتحصيل المعارف حتى ألفت كتب في الرحلات والنوازل والمرسلات تؤرخ لسيرهم[3].

ولقد امتاز الترحال في بلاد المغرب الإسلامي أنه هناك من العلماء من يقصد مكان ما لطالب العلم فيتوطن في تلك البلاد التي نزل بها، ويبقى فيها إلى غاية وفاته، كالقاضي أبي عبد الله المقري الجد المتوفي بفاس[4]، ومنهم من بقي هناك لتولي المناصب والوظائف الإدارية كالشيخ الآبلي الذي مارس التدريس بمدينة فاس[5].

أحيانا كان المثقفين من العلماء في مواقف حرج حيث أن بعضهم كان مهددا بالاعتقال والعقاب، ولكن لم يكن القاعدة وكان التنقل بين تلمسان وفاس وتونس والأندلس والمشرق أو العكس لطلب العيش أو الهروب من العقاب ليس نادرا أو معزولا[6].

---

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي في القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، د ط، 1981م، ج01، ص ص: 35–36.

2 – شاوش، المرجع السابق، ص: 401.

3 – اقروفة زبيدة، المرجع نفسه، ص: 45.

4 – شاوش، المرجع نفسه، ص: 406.

5 – نعيمة بوكريديمي، المرجع السابق، ص: 56.

6 – أبو القاسم سعد الله "**تلمسان قطب الأفكار والعلماء في العهد الزيان**"، تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ملتقى دولي تاريخ حاضرة تلمسان ونواحيها، أيام 20–21–22 جامعة تلمسان، فيفري 2011، ص: 35.

ومنه وبالقياس إلى كتب الرحلات المغاربة كان علماء المغرب قليلي الإنتاج ولعل ذلك راجع إلى أن عدا من العلماء الذي توزعوا في العالم الإسلامي لم يعُودُ إلى مواطنهم ليكتبوا بها[1]، ولكن هناك من أصحاب الرحلات من يَدْعُوهُ تقديره للعلم وأهله والرغبة في إثبات سنده العلمي إلى تصنيف كتاب يجمع فيه شيوخه ويترجم لهم ويذكر الكتب التي أخذ عنها والطريقة التي أخذ بها...إلخ[2].

فيكونوا تركوا آثارهم في مدوناتهم التي وصل إلينا بعضها وما تزال الأيام لم تكشف عن الباقِ منها، وكان تواجد المثقفين المحليين والنزلاء قد أحدث حركية في مجال الفكر والثقافة والفن والأدب، ونشطت حركة التصوف من خلال المناظرات بتبادل الآراء الفقهية والفتاوى[3].

ولكن يوجد بعض المؤرخين من وصفوا حركة التأليف في ربوع المغرب بالضعف، وعاد تقصير المغربة في التأليف إلى إخلائهم إلى بيوتهم وقلة رحلاتهم العلمية خاصة وأن موسم الحج مؤقت لا يكفي لنشاط علمي واسع، وهذا الرأي يؤكد أن الرحلات العلمية التي تتيح الاتصال بالأعلام العلمية والعرفية تكون خير حافز لدعم حركة التأليف والتصنيف والإنتاج العلمي[4]، فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال[5].

1 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي في القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16–20م)، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 02، 1405هـ،1985م، ج02، ص: 396.

2 – القلصادي، المصدر السابق، ص: 68.

3 – أبو القاسم سعد الله، "**تلمسان قطب الأفكار والعلماء في العهد الزياني**"، ص: 35.

4 – القلصادي، المصدر السابق، ص: 66.

5 – ابن خلدون ، المقدمة، ص: 745.

الفصل الثاني

حركة التأليف التاريخي بتلمسان الزيانية

أولا: الإنتاج التاريخي

ثانيا: دراسة نقدية للكتابة التاريخية

أولا: الإنتاج التاريخي:

نشطت الحركة الفكرية بتلمسان الزيانية وظهرت عدة مؤلفات تاريخية تعد مرجعية للبحث التاريخي.

- **المؤلفات التاريخية:**

1-**كتاب تاريخ تلمسان:** لمؤلفه أبو عبد الله بن منصور بن علي بن هدية القريشي التلمساني من ولد عقبة بن نافع الفهري [1]، نزل تلمسان نشأ وتعلم بها، هو قاضي وأديب، فقيه مالكي من الكتاب البلغاء [2]، إذ يعتبر عالم خير من أئمة اللسان والأدب، مشهور بالفضل والدين، له تآليف جمة في فنون شتي وكتب رسائل الملوك الأوائل من بني يغمراسن بن زيان[3]توفي سنة 735هـ/1335م، وتاريخ تلمسان من أهم آثاره وللأسف يعد في حكم المفقود [4].

2- **كتاب زهر البستان في دولة بني زيان** :لمؤلف غير معروف كان حيا خلال القرن 8هـ/ 14م، يؤرخ للعهد الزياني في أزهى عصوره، يتضح من الكتاب أن المؤلف كان من بين الذين خدموا في بلاط السلطان أبو حمو موسى الثاني لأنه على عمق إطلاع بالأحداث، ودقة وصفه لما يجري في البلاط من أحداث [5].

أما عن سنة تأليفه للكتاب يبرز من خلال ذكره في كتابه، قدوم يحي بن خلدون إلى تلمسان، مما يدل أنه سبقه إلى البلاط الزياني، وكذا تأليف للكتاب.

---

1 – المقري، نفح الطيب، ج5، ص:234.

2 – عادل النويهض، المرجع السابق، ص:336.

3 – الحفناوي، المصدر السابق، ص: 550.

4 – الزركلي، المرجع السابق، ج:7، ص: 112.

5 – عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج :2، ص 468.

أُلِف الكتاب في ثلاثة أجزاء و لم يصلنا إلا الجزء الثاني، الذي يؤرخ لمرحلة هامة من عهد أبي حمو موسى الثاني أي بين سنتي (760ــ765هـ/1358ــ1363م)، ويعتبر من أهم مصادر العهد الزياني في تلك الفترة لما يحتويه من معلومات مهمة ومفصلة، كما اكتسب أثارا أدبية وفكرية [1].

2- **كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد:** أو بغية الرواد في أخبار بني عبد الواد وما حازه مولانا أبو حمو من الشرف الشاهق الطواد: لمؤلفه أبو زكرياء يحي بن خلدون الحضرمي الاشبيلي المولود بتونس 734هـ/1333ــ1334م، وهو الأخ الأصغر للمؤرخ عبد الرحمن بن خلدون، نشأ في أسرة عريقة من أصل عربي بالأندلس وهاجروا إلى المغرب العربي سنة 630هـ، استقروا بسبتة أول الأمر ثم ارتحلوا إلى البلاط الحفصي سنة 640هـ، وعاش يحي بن خلدون يعمل بطابع الجد والعناية والاهتمام الكبير بالعلوم الدينية، والتفتح إلى الأدب والشعر [2].

تلقى العلم عن علمائها أمثال عبد المهيمن الحضرمي، ومحمد بن إبراهيم الأبلي وأبو منصور الزواوي[3] وغيرهم.

عرف حياة البلاط في خدمة الدولة المرينية سنة761هـ من عهد السلطان أبي عنان المريني، وتولى منصب الحجابة في الدولة الحفصية سنة 766هـ وفي سنة 769هـ التحق ببلاط أبي حمو

1- مجهول، زهر البستان، ص ص:7-9.

2 - يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج 2، ص:7-10.

3 - **منصور الزواوي:** أبو علي منصور بن علي بن عبد الله الزواوي، يكنى أبا علي الأستاذ الجليل الكامل الفقيه العالم النظار، المشاور به، ولد ببجاية سنة 710هـ نشأ وتعلم بها، عن أبيه وعن الشيخ أبي علي ناصر الدين أحمد المشدالي، والشيخ العالم أبي علي بن حسين البجائي، والقاضي أبي عبد الله محمد بن أبي يوسف الزواوي وغيرهم ممن انتفع بهم،نبغ في مختلف العلوم النقلية والعقلية، والأصول والمنطق وعلم الكلام وله في الحساب والهندسة وغير ذلك مما رفع من رتبته العلمية فروى عن أبي البركات ابن الحاج وأبي جعفر الطنجالي وغيرهما توفي سنة 770هـ/1368م، ينظر: يحي بن خلدون،المصدر نفسه، ج 1، ص:234، التنبكتي، المصدر السابق،ص:234، محمد بن مخلوف، المصدر السابق، ص: 234.

موسى الثاني، الذي عينه على ديوان الإنشاء إلى أن ارتحل رفقة السلطان المريني عبد العزيز رفقة أخيه وبن الخطيب، لكنه عاد مرة أخرى إلى تلمسان سنة776هـ وفي هذه الفترة ألف كتابه المذكور [1].

أَلَف كتابه بطلب من السلطان أبي حمو موسى الثاني، وهو ما يبرزه في مقدمة كتابه: "...وكنت ممن يأمره أعلى الله مقامه بذلك ثم رأيت أنّ امتثال أمره العزيز علَّي فرض"[2].

قسم كتابه إلى ثلاثة أقسام يندرج تحتها ثلاث أبواب ثم فصول، خص القسم الأول لتعريف بقبيل بني عبد الواد، وأتم فيه وصف تلمسان وذكر صلحائها وعلمائها.

أما القسم الثاني فقسم إلى ثلاث أبواب، تناول فيه ذكر السلاطين بني زيان، بينما القسم الثالث عالج فيه ما حازه السلطان أبو حمو موسى الثاني بدأ تأليفه بأحداث سنة 760هـ/1359م، وينهي أخباره سنة777هـ/1379م، وكان يتطلع إلى إتمام الكتاب لولا مقتله سنة 780هـ/1378م [3].

يعتبر هذا الكتاب من المصادر الهامة التي أرخت لدولة الزيانية في عزها وذبولها وضمحلالها، وتزداد أهمية الكتاب فيما تضمّنه من إشارات إلى الحياة الفكرية من خلال ذكره للعلماء والأولياء والصلحاء الذين ساهموا في دفع النهضة قدما إلى الأمام [4].

3- كتاب العبر وديوان المبتدأ في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر:

لمؤلفه ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي الأشبيلي الأصل قاضي القضاة

1 – التنبكتي، المصدر السابق، ص:143.

2 – يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج 1، ص: 80.

3 – عبد القادر بوباية، مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط خلال العهد الوسيط، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،د ط، 2014، ص:213.

4 – صالح بن قربة، المرجع السابق، ص:110.

العلامة الحافظ المؤرخ، ولد في رمضان سنة 732هـ، بتونس تلقى تعليمه الأول بها، على يد والده وعلماؤها، ثم غادرها إلى إفريقية، ثم رحل إلى تلمسان، وبعدها توجه إلى فاس رفقة السلطان أبي عنان ،وبها أتم تحصيله العلمي على يد الشيخ أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي وأبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأبلي وغيرهم فأخذ مختلف العلوم النقلية والعقلية [1]، ويعرف بمؤسس علم الاجتماع بناءاً على الاستنتاج والتحليل في قصص التاريخ وحياة الإنسان [2].

تقلد بن خلدون في حياته مناصب سياسية عدة حتى استقر في خدمة السلطان أبي حمو موسى الثاني، إلاّ أنه فيما بعد انسحب واختلى أربعة سنوات من سنة 772هـ/1370م، إلى غاية 780هـ/1378م، في قلعة بني سلامة وهناك شرع في إكمال المقدمة وتاريخه العام العبر[3].

يتألف كتابه من سبع مجلدات أولها المقدمة وهي المشهورة بمقدمة ابن خلدون، وتمثل ثلث هذا الكتاب كما تعد مدخلا موسعا له وفيها يؤصل لأدائه في الجغرافيا والعمران والفلك وأحوال البشر، والمؤثرات التي تميز بعضهم عن الآخر[4] فسُحر به الخاص والجمهور إذ اخترع فيه مذهبا عجيبا وفريقا مبتدعا في كتابه التاريخ [5]، و به ظهر تميزه عن معاصريه أمثال أخيه يحي ولسان الدين ابن الخطيب وبن مرزوق الخطيب وغيرهم بالأعراض عن مدارات الملوك وتملقهم، وعن المبالغة في مدحهم إذ لم يكن مؤرخ بلاط وحاول قدر الإمكان التزام الإنصاف والنزاهة والموضوعية [6].

1 – ابن خلدون،التعريف بابن خلدون و رحلتة غربا و شرقا(1352_1401)، تح: محمد بن تاويت الطنجي،الامارات العربية،دار السسويدي، بيروت،المؤسسة العربية،2003، ط1، ص ص:49ـ61.

2 – عيسي الحسن، أعظم شخصيات التاريخ، مرا: تد عبد الله المغربي، الأردن دار الأهلية، ط 1، 2010م، ص: 464.

3 – الحفناوي، المصدر السابق، ص:213.

4 – عيسي الحسن،المرجع السابق، ص:464.

5 – الحفناوي، المصدر نفسه، ص: 213.

6 – عبد الحميد حاجيات، دراسة حول التاريخ السياسي والحضاري، ج 1، ص:426.

كما أولى عبد الرحمن أهمية في كتابه لبلاد المغرب الإسلامي دون غيرها من أقطار العالم وتعرض إلى الأحداث التي وقعت في بلاد المغرب الأوسط وخاصة العهد الزياني، لمعاصرته لهم.[1]

4- نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضى من الزمان: لمؤلفه أبو عبد الله بن عبد الجليل التنسي التلمساني، ولد بمدينة تنس، ونشأ بتلمسان توفى سنة 899هـ/1494م[2].

لم يقتصر التنسي على بيان شرف بني زيان وجلْب الدلائل لإثبات رأيه؛ بل أدرج في تصنيفه جزءًا ضمنه تاريخ دولة بني زيان من يوم بزوغ نجمها إلى الوجود على أنقاض الدولة الموحدية، إلى زمن السلطان محمد المتوكل معاصر المؤلِف الذي تول الملك سنة 866ـ873هـ/ 1461ـ1468م)[3]، و انتهى من تأليفه سنة 868هـ/1464م، وجعله في خمسة أقسام مع مقدمة وخاتمة، إذ بدأ مقدمته بمدح تقدم به إلى السلطان أبي ثابت محمد المتوكل.

أما القسم الأول فجعله في سبعة أبواب خصص الأخير منها لتاريخ بني زيان، وعنوانه في بيان شرف بني زيان وتتبع دولتهم إلى دولة المتوكل فخر الزمان وقد بدأه بولاية جابر بن يوسف، وستعرض فيه الحكام الزيانيين، الذين جاءوا بعده إلى غاية أبي عبد الله المتوكل[4].

أما عن براعة أسلوبه فيمكن القول أن التنسي قد بلغ في نثره ونضمه مرتبة التفوق بالمغرب في القرن التاسع؛ وأن أسلوبه بالرغم من لجوئه في بعض الأحيان إلى السجع قد امتاز باختيار

1 – عبد الحميد حاجيات، دراسة حول التاريخ السياسي والحضاري، ج 1، ص:465.

2 – التنسي، المصدر السابق، ص ص:10، 11.

3 – المصدر نفسه، ص:38.

4 – عبد القادر بوباية، مصادر ومراجع، ص: 264.

الألفاظ المناسبة، وصقل العبارات وتهذيبها وقد بلغة البراعة بالكتاب أن جعل سجعه خاليا من التصنع والتكلف [1].

- المؤلفات السياسية :

6- كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك: لمؤلفه أبو حمو موسى الزياني الثاني ولد سنة 723هـ/1323م بالأندلس، نشأ وتعلم بتلمسان على علمائها وواصل تعليمه بفاس [2]، وهو محي الدولة الزيانية ومؤسس الفرع الثاني الذي استمر في الحكم زهاء قرنين من الزمن بداية من سنة (760هـ/1358م-960هـ/1552م)، توفي سنة 791هـ/1388م.[3]

وخلال فترة حكمه ألف كتابه المذكور، وهو عبارة عن نصائح وإرشادات خص بها السلطان ولده أبي تاشفين أولا وسائر الملوك ثانيا فبين من خلاله سلوك الملوك العظام في تسير الملك بذكر القواعد المهمة التي تحفظ النظام السياسي[4].

أما عن محتوى كتابه فيذكر:"و رتبناه ترتيبا وبوبناه تبويبا وجعلناه على أربعة أبواب"[5] فالباب الأول عالج فيه مجموعة من النصائح يصلح بها الملوك حياتهم الدنيوية والأخروية وتكمن في الاتصاف بالعدل، وتغليب العقل، وملازمة التقوى، وحفظ المال والعناية بالجيش، والثاني خصصه لأركان الملك وقواعده وهي أربعة : العقل ،السياسة والعدل وجمع المال والجيوش، وفيما يخص الباب الثالث فتمحور حول الأوصاف التي يتصف بها الملك لتستقيم سياسته وهي الشجاعة الكرم والحلم والعفو، وفي الباب الرابع عرضَ أهم نقطة مكملة لنظريته السياسية وهي الفراسة.

---

1 – التنسي، المصدر السابق، ص ص: 71، 72.

2 –JEAN Jozephe Heandre Bargés,Complement de l'histoire des Beni zeiyan rois de tlemcen,révision,et presentation:molés amine, alger , dar alife , 2011,p: 147.

3 – الزركلي، المرجع السابق، ج 7، ص: 321.

4 – العربي محمد حرز الله، المرجع السابق، ص:177.

5 – أبو حمو موسي الثاني الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك. تح وتع: محمود بو ترعة ، الجزائر، دار الشيماء، دارالنعمان، د ط، 2012، ص:47.

والخاتمة في هذا الكتاب اشتملت على الوصايا والنصائح بإتباع طريق الحق والابتعاد عن الظلم في تصرفاته وتعاملاته [1].

- مؤلفات التراجم والمناقب :

التراجم من بين الكتب التي حفظة لنا جزءًا كبيرا من تاريخ العلمي والاجتماعي للمغرب الأوسط، إذ تطلعنا على العديد من التفاصيل.

7- كتاب المجموع أو المناقب المرزوقية: لمؤلفه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق المعروف بالخطيب وبالجد وبشمس الدين الذي ولد سنة 710هـ/ 1310م، نشأ وترعرع بتلمسان حيث أخذ مختلف العلوم عن علمائها وعلماء المغرب والمشرق الإسلامي [2].

تضمن كتابه السيرة الذاتية لأسرته:الجد الأكبر الولد الأم وسيرته الخاصة بذاته إضافة إلى ضمِه تراجم كثيرة من شيوخ والده وجديه[3]،بقوله:" رأيت بحول الله أن أصل بذكر الجد، ومن عاصره وعاشره من علماء زمنه، على سبيل الاختصار، وكذلك لمولاي الوالد رحمه الله، ذكرا جُمليا"[4].

كما نجد كتابه يتحدث عن أهم أحداث عصره من قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، ومنجزات عمرانية بتلمسان وغيرها من حواضر المغرب والمشرق، خلال القرنين السبع

1 – أبو حمو موسى، المصدرالسابق، ص:31.

2 – ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، در وتح: مأمون بن محي الدين الجنّان، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط 1، 1417، ص :396.

3 – ابن مرزوق الخطيب، المناقب المرزوقية ، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري ،الدار البيضاء، مطبعة النجاح الجديدة،ط 1، 1429 2008 ، ص:97.

4 – المصدر نفسه، ص:143.

والثامن هجريين،[1] يتكون الكتاب من أربعة أبواب رئيسية اندرجت تحتها فصول: أولها الذي خصصه عن النسبة والقبيل الذي يرجع إليه؛ ويضم فصلين أرخ فيه لسلفه،أما الباب الثاني فخصصه لترجمة جده لأبيه محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق المتوفى سنة 691هـ/1282م ويتكون من عشرين فصلا، وخص الباب الثالث للحديث عن أبيه أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن مرزوق المتوفى سنة 741هـ/1340م، ويعد أكبر الأبواب المكونة للمؤلَف إذ يحتوي على ثمانية عشر فصلا، بينما الباب الرابع فخصصه للحديث عن جده لأمه وفيه اثنا عشر فصلا وخاتمة خصصها لترجمته الذاتية[2]،ويعتبر هذا الكتاب نموذج لدارستنا التطبيقية أنظر الفصل الثالث.

8- **مناقب الشيخ المصمودي**: "لابن مرزوق الحفيد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العجيسي التلمساني الإمام المشهور العلامة الحافظ المحقق الكبير شيخ الشيوخ وآخر النظار الفحول صاحب التحقيقات البديعة والاختراعات الأنيقة والأبحاث الغريبة والفوائد الغزيرة، أحد الأفراد العلية في جميع الفنون الشرعية ذو المناقب العديدة والأحوال الصالحة العتيدة، المتوفي سنة 842هـ/1438م"[3].

أخذ العلم عن جماعة من العلماء وغيرهم كالشريف التلمساني والسعيد العقباني والولي الصالح أبي إسحاق المصمودي الذي أفرد له ترجمة في كتاب مناقب شيخه المصمودي عرف فيه بالشيخ الشهير أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الصنهاجي المصمودي، نزيل تلمسان والمتوفى سنة 805هـ/1402م[4]؛ وربما يكون الكتاب في حكم المفقود[5].

1 – عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج 2،ص: 468.

2 – ابن مرزوق، المناقب، ص ص:98، 99.

3 – التنبكتي، المصدر السابق، ص ص:499– 504.

4 – المقري،المصدر السابق،ج 5، ص:424.

5 – أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، المرجع السابق،ج 1، ص:57.

9- النجم الثاقب لأولياء الله من المناقب: لابن الصعد محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن سعيد بن صعد الأنصاري التلمساني من أكابر العلماء، الفقيه العلامة المحصل عرف بعلمه الوافر وصلاحه توفى في الديار المصرية سنة 901هـ/1396م [1]،أخذ من الإمام خاتمة العلماء محمد بن العباسي والحافظ التنسي والإمام السنوس[2].

صنف كتابه هذا في التراجم[3]،لأهم الأعلام والفقهاء والمتصوفة في تلمسان وحتى للمغرب الإسلامي حسب قوله في مقدمته :"أما بعد فهذا كتاب النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب، يضم أعلامهم وينشر مآثرهم وأيامهم ..."[4].

رتب التراجم حسب حروف المعجم كما هو واضح، حيث أنه اقتصر في الجزء الأول على من يبدأ اسمه بحرف ألف[5] واستمر في الترجمة إلى آخر حرف، احتوي المخطوط على ثمانية أجزاء بعضها موجود وآخر مفقود[6].

ألف ابن الصعد كتابه هذا بطلب من السلطان الزياني أبي عبد الله محمد المتوكل 866هـ/873هـ، ويتضح ذلك بقوله: أشار بجمعه وانتقائه من دواوين هذا وأجزائه ... علامة أمراء المؤمنين المخصوص بعناية رب العالمين أمير المسلمين المتوكل على الله أمير المسلمين، تاج الملوك والسلاطين محمد بن مولانا المتوكل على الله..."[7]. وأنهى تدوينه في سنة 890هـ/

1 – ابن مريم، المصدر السابق، ص:271.

2 – التنبكتي، المصدر السابق، ص:575.

3 – المصدر نفسه، ص:575. ابن مريم، المصدر السابق، ص:271.

4 – ابن الصعد محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن الصعد، النجم الثاقب، فيما لأولياء الله من مناقب، مخطوط بالدار البيضاء، مكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز، رقم:1910 ج 1، ص: 01.

5 – عبد القادر بوباية، المؤنس، المرجع السابق، ص:258.

6 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص:65.

7 – ابن الصعد، المصدر نفسه، ص:2 ،3.

1485م، ويعتبر هذا المصدر مهم في ترجمة المتصوفة في المغرب والمشرق الإسلاميين حيث لا يمكن الاستغناء عنه في هذه الفترة الوسيطة[1].

10- روضة النسرين في ذكر مناقب الأربعة المتأخرين : لنفس المؤلِف ويعتبر اختصارًا لكتاب النجم الثاقب لأربعة شيوخ عاصرهم وهم محمد بن عمر الهواري، والحسن أبركان وإبراهيم التازي، وأحمد العماري، فيعتبر من المصادر الأساسية لترجمة الأشياخ الأربعة المذكورين، وذكر مكانتهم العلمية والثقافية وكذا المرتبة الصوفية التي احتلوها في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن التاسع الهجري[2].

ويدل هذين المؤلفين على انتماء ابن الصعد إلى نوعين من فروع المعرفة وهما الترجمة والتصوف[3].

11- كتاب دباجة الافتخارفي مناقب أولياء الله الأخيار: لمؤلفه موسي بن عيسي بن يحي أبو عمران المازوني (القرن9هـ/10م)[4]. وهو والد صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة الفقيه الأجل المدرس المحقق القاضي الأكمل[5].

12- المواهب القدسية في المناقب السنوسية: لمؤلف محمد بن عمر بن إبراهيم التلمساني المعروف بالملالي، الذي كان على قيد الحياة في سنة 897هـ/1492م، ولقد ترجم فيه لشخصية الإمام محمد بن يوسف السنوسي[6]. وتكلم فيه على جميع نواحي حياته العلمية والأخلاقية وغير ذلك مما لا يوجد في غيره من الكتب، وذلك حسب قول صاحبه:"وبعد فإني عزمت في هذا التقيد

1 – عبد القادر بوباية، المؤنس، ص:259.
2 – عبد القادر بوباية، مصادر ومراجع، ص: 271.
3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص:64.
4 – عادل النويهض، المرجع السابق، ص: 218.
5 – التنبكتي، المصدر السابق، ص:605.
6 – المنوني، المرجع السابق، ص:127.

المفيد ...أن أذكر فيه جُملا من فضائل شيخنا الإمام البالغ في التحقيق والورع منتهى المرام ...أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي الحسيني"[1].

رتب كتابه على عشرة أبواب، ثبت في الباب الأول ترجمة موسعة لأبي إسحاق إبراهيم التازي نزيل وهران ومترجمها، وفي البابين الثالث والرابع، قصائد ومنشورات لابن يجيش التازي، أما الباب العاشر قصيدة لمحمد بن أبي البركات بن أبي يحي بن أبي البركات الغماري[2].

ومن خلال هذا الكتاب يظهر اتجاه الملالي نحو التصوف لأنه ركز على جانب التصوف عند السنوسي، والراجح أنه ألف في سنة 897هـ/1491م.

13- **كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان:** لمؤلفه محمد بن محمد بن أحمد الملقب ببن مريم أبو عبد الله الشريف المليانى نسبا المديوني أصلا التلمساني نشأة ، هو مؤرخ شارك في عدة علوم، من فقهاء المالكية، أخذ العلم عن الكثير من العلماء، فأخذ عن والده وسيدي محمد بن فارس وعبد الرحمن بن تاغريت وغيرهم[3].

ألف نحو ثلاثة عشر تأليفا وكتاب خاص في المناقب ذكر في مقدمته:"فسميته البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان"[4]، ويشير أنه كتبه بطلب من أحدهم فيقول:"ولقد طلعة من أشرتم به علي من ذلك التأليف الأبرك المتضمن جميع أولياء تلمسان وعمالتها فأسعفتكم فيما طلبتم"[5].

1 – عبد القادر بوباية، المؤنس، المرجع السابق، ص: 249.

2 – المنوني، المرجع السابق، ص: 127.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص ص:66–68.

4 – عادل النويهض، المرجع السابق، ص : 299.

5 – ابن مريم، المصدر السابق، ص :63.

أنهى كتابه هذا سنة 1011هـ/1602م، إذ يقول:"ها هنا انتهى العرض فيما قصدناه على الوجه الذي بيناه ولا حول ولا قوة إلا بالله وفي سنة أحد عشرة وألف بمدينة تلمسان."[1]

أعتبر هذا الكتاب من بين أبرز المؤلفات ترجم فيه لأثنين وثمانين ومائة عالم ولدوا بتلمسان أو عاشوا بها، وترجم لأربعة عشر ترجمة لعلماء وأولياء لم يولدُ في تلمسان ولم يزوروهَ ولم يعيشُ بها، في المقابل هناك العديد من العلماء والأولياء ذوي الأصول التلمسانية أو من الذين عاشوا فيها أو زاروها لم يرد لهم ذكر في الكتاب مثل أبي زكريا المازوني صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة[2].

ثم إنه ترجم الكتاب على حروف الهجاء مبتدءًا باسم أحمد ، ويختلف حجم الترجمة من عالم لآخر، وجعل ابن مريم كتابه هذا في مقدمة وعشرة أبواب[3].

رغم أن الكتاب يمدنا بترجمة للعديد من العلماء والأولياء؛ إلاّ أن ما يعاب على مؤلفه أنه لم يفصل بين النصوص المنقولة من المصادر التي أخذ عنها كالتنبكتي أحمد بابا ويحي بن خلدون وبين ما أضافه إلى درجة أنه يصعب على القارئ التميز فيها، وكما أنه استعمل في الكثير من الأحيان اللغة العامية في كتابه ومن ذلك على سبيل المثال هو ما جاء في ترجمة محمد الأدغم السويدي: "...ننظر أش يعمل لي، أخذ ضربة برصاصة[4].

1 - ابن مريم، المصدر السابق، ص:518.

2 - المازوني أبي زكريا يحي بن موسى التلمساني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، درا وتح قندوز ماحي، الجزائر، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف، ط 1، 1433ه/2012، ج 1، ص: 93.

3 - ابن مريم، المصدر نفسه، ص ص: 21-23.

4 - المصدر نفسه، ص:24.

- كتب الفهارس[1]:

14- عُجالة المستوفز المستجاز في ذكر من أجازني من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز[2]: لابن مرزوق الخطيب محمد بن أحمد بن محمد العجيسي التلمساني المتوفى بالقاهرة 781هـ/1379م.

و هي عبارة عن ثبت بأسماء الشيوخ الذين سمع منهم المؤلِف بالجهات التي يسميها في العنوان، حيث ذكري نحوي الألفين منهم[3].

وبقي لنا من هذا العمل بعض النماذج التي اقتبسها ابن الخطيب وبن فرحون وأحمد بابا التنبكتي وابن حجر والمقري واتبع فيه أسلوب الفهرسة؛ إذ عرض فيه قائمة عريضة بأسماء كل الشخصيات ـــ رجال ونساء ـــ الذين تتلمذ عليهم بصفة دائمة أو متقطعة[4].

- مؤلفات النوازل[5] الفقهية:

15- الدرر المكنونة في نوازل مازونة : لمؤلفه أبي زكريا يحي بن موسي بن يحي بن المغيلي المازوني الإمام الفقيه توفى عام ثلاثة وثمانين وثمانية بتلمسان 883هـ/ 1478م.

أخذ العلم عن الأئمة كابن مرزوق الحفيد وقاسم العقباني وابن زاغو وابن العباس وغيرهم[6]، ويعرف بالمازوني نسبة إلى مازونة وهي مدينة في جبال الظهرة بين وادي شلف والبحر

---

1 - **الفهارس:** مفردها الفِهْرِس، وهو الكتاب الذي تجمع فيه الكتب قال الأزهري:وليس بعربي محض، ينظر: ابن منظور، المصدر السابق، ج 11، ص: 234.

2 - المقري، نفح الطيب، ج 5، ص: 392.

3 - المنوني، المرجع السابق، ص: 86.

4 - ابن مرزوق، المسند، ص:50.

5 - **النَّوازِل:** مفردها النازِلة، وهي الشِّدة من شدائد الدهر تنزل بالناس، ينظر: ابن منظور،ج 14، ص: 238،اصطلاحا: هي كل ما يَعرض لناس من مستجدات في حياتهم، يطلبون لها دليلا شرعيا من أهل الاختصاص، ينظر: المازوني، ج 1، ص:121.

6 - التنبكتي، المصدر السابق، ص: 637.

المتوسط، وينسب إلى تلمسان لأنه قضي بها ودفن فيها[1]، برع وألف نوازله المشهورة المفيدة في فتاوى المتأخرين أهل تونس وبجاية والجزائر وتلمسان وغيرهم في سفرين ومنه استمد الونشريسي مع نوازل البرزلي، وأضاف إليهما ما تيسري أي من فتاوي أهل فاس والأندلس[2].

يعتبر هذا الكتاب من المصادر النوازلية التي تكتسي أهمية كبرى إذا ما رمنا التأريخ للحياة الاقتصادية والاجتماعية لبلاد المغرب الأوسط؛ وبخاصة مدينة تلمسان إذ يعرفنا بالنظام الاقتصادي الذي كان سائدا آنذاك منه التنظيم الزراعي،وتوزيع اللأراضي، وأهم المحاصيل الزراعية، إضافة إلي الإنتاج الصناعي، كما يتعرض لأهم التنظيمات الاجتماعية والتقاليد التي اشتهرت بها المنطقة[3].

ثانيا: دراسة نقدية للكتابة التاريخية.

- **مسار الكتابة التاريخية خلال الفترة الزيانية :**

إن حركة التأليف في مجتمع ما ظاهرة جديرة بالاهتمام والدراسة لأنها تعبر عن ثقافة المجتمع، ورصد حقيقي لمؤلفات العصر بكل ما تحتويه من كثرة أو قلة ، ضعف أو قوة، تقليد أو اجتهاد، إذ أن التصانيف القوية تعبر عن المستوي القوي الذي تشهده الساحة الثقافية التي ساهمت في تكوين المؤلفين؛ فإن المؤلفات الضعيفة تعكس انحطاط المستوي العلمي والثقافي الذي نشأت فيه[4].

الإنتاج التأليفي التاريخي للفترة الزيانية لم يسر وفق وتيرة واحدة ، ويعتبر ضئيلا إذا ما قرناه بإنتاج بني مرين وبني حفص وبني الأحمر، إذ أن الفكر التاريخي لم يرقَ إلى درجة معتبرة من التطور.

1 – المازوني، المصدر السابق، ص: 92.

2 – التنبكتي، المصدر السابق، ص: 637.

3 – عبد القادر بوباية، مصادر ومراجع، ص:251.

4 – قريان عبد الجليل، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، الجزائر، جسور لنشر والتوزيع، ط 1، 2011، ص: 293.

ويرجع الباحثين حكم الكتابة التاريخية التي لم تسر وفق وتيرة واحدة إلى عدة عوامل وأول ما يلاحظ منذ عهد تلمسان الموحدية هو سيطرة العلوم الدينية وانصراف أغلب العلماء في هذه الفترة عن العلوم اللسانية والاجتماعية، فلم يشتهر فيها إلاّ القليل من العلماء وذلك أن اتجاه العلماء في دراسة العلوم الدينية تأثر إلى حد بعيد بالإصلاح الديني الذي دعا إليه الموحدون، والذي كان يؤكد ضرورة الرجوع إلى الأصول من الكتاب والسنة وترك الفروع فأغلب علماء هذه الفترة يولون علوم القرآن والحديث أهمية كبري، ويخصصون لها معظم إنتاجهم أضف إلى ذلك خضوع تلمسان لسلطة الموحدين خلال القرن السابع، الأمر الذي أدى إلى استدعاء كثير من العلماء واستعمالهم في مختلف الوظائف الإدارية وكان شأن هذا الحال أن يقيد تطور الحياة الفكرية؛ إذا كان هو السائد على عقول الناس[1].

ونجد بن الخطيب في حديثه عن دولة بني زيان يشير إلى قلة الكتابة التاريخية بقوله:"...وربما ندرت المساجلة"[2].

أما في القرنين الثامن والتاسع الهجريين14، 15م، عرف المغرب الأوسط العديد من المؤرخين، ومن العلماء الذين كان لهم ولع بالتاريخ وحفظ أخباره الفقيه أبو عبد الله المقري المتوفي سنة 758هـ/1357م الذي كان يقوم أتم القيام على التاريخ[3]، والمؤرخ يحي بن خلدون المتوفي سنة 780هـ/1387م، الذي كان كاتبا للإنشاء لدي السلطان أبو حمو موسى الثاني، وهي

1 – عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج 2. ص: 435.

2 – ابن الخطيب ابي عبد الله الخطيب السلماني، رقم الحلل في نظم الدولة، تونس، المطبعة العمومية بحاضرة تونس المحمية، د ط ، 1361م، ص: 72.

3 – نبيل الشريخي، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين14 ،15م، إش: خالد كبير علال، الجزائر، المدرسة العليا للأساتذة، قسم التاريخ،2009–2010م، ص:181.

المناصب التي ساعدتهم على أن يكونوا قريبين، من مصدر الخبر والأحداث وفي متناولهم، أرشيف بني زيان ووثائقهم[1].

قد أشار الأبلي أن كثرة التآليف الرديئة غمرت الحياة الثقافية وجعلتها عرضة لكل رديء بل وساهمت في إفساد العلم الشرعي خاصة وإنما أفسد العلم كثرة التآليف وإنما أذهبه بناء المدارس[2]،فلم يحصل من العلم إلاّ الترر القليل برغم من ذلك المجهود المادي والمعنوي[3]، ولقد نادت هذه الصيحة إلى تغير الوضع وإصلاح منهجية التأليف والتعليم على حد سواء وترقيتها لإنتاج علم صحيح بعيدا عن التقليد[4]، والذي نريد التأكيد عليه أنه لا ينبغي أن نستنتج انحطاط المستوي الفكري والثقافي من هذا الرأي وإنما الإنتاج التأليفي كان في مرحلة ازدهار نوعا ما خاصة إن كان من البارزين في علم التاريخ علماء ذو الوزن، ومن أكبر الكُتاب السنوسي وبن مرزوق الخطيب التلمساني المتوفى سنة 781هـ/1379م[5]، ومن ناحية أخرى نعثر على مقومات التجديد الذي يبقى دون شك فكر بن خلدون، ونظريته التاريخية والاجتماعية أبرز عناوين[6] هذا العهد وإنْ قلت الكتابات التاريخية. فتاريخه ذو القيمة العظيمة، إذ فيه استن طريقة جديدة جميلة، سهلة التناول والفهم، ومن خلاله عرف بمؤسس علم الاجتماع في العالم كله[7].

وبفضل العديد من المؤرخين ومناصبهم الإدارية نشطة حركة التأريخ بمدينة تلمسان ما يتناسب مع مقام بني زيان العلمي وطُموحاتهم في المجال السياسي والحضاري والعسكري، ولكن

1 – عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج2، ص:467.

2 – قريان، المرجع السابق، ص:294.

3 – نقادي، المرجع السابق ، ص: 193.

4 – قريان ، المرجع نفسه، ص: 294.

5 – يحي بوعزيز، مدينة وهران عبر التاريخ و يليه مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة في الغرب الجزائري،الجزائر ،عالم المعرفة ،ط خ،2009، ص: 257.

6 – ابن مرزوق ، المناقب ، ص: 51.

7 –يحي بوعزيز ، مدينة وهران ، ص: 257.

رغم وجود هذه التآليف القوية ذات القيمة العلمية، غير أنها لم تكن بكثرة بل يمكن حصرها[1]، (أنظر الملحق رقم (3).

يمكننا القول أن الوضع تميز بنوع من الازدواجية حيث نعثر في آن واحد على ما يشير إلى التقهقر والتراجع العلمي، بما في ذلك شيوع التقليد والتحجر ورفض التجديد، ومن ناحية أخرى نعثر على مقومات التجديد الذي يبقى دون شك في فكر بن خلدون ونظريته مما يستوجب التحرز من الحكم على هذه الفترة، ولكن يجب الإقرار بأن القرن الذي ازدهرت فيه المدارس العلمية، وبرز نوابغ وقادة الفكر من بينهم ابن خلدون[2].

والملحوظ أن الحركة العلمية بالمغرب الأوسط بقيت نشطة في القرن التاسع ويشهد ذلك العدد الكبير من العلماء الذين أنجبهم هذا العصر[3] كمحمد بن عبد الجليل التنسي[4] ومحمد بن عبد الكريم المغيلي المتوفي 909هـ/1503م[5]وغيرهم.

غير أن الحياة الثقافية في هذا القرن أصبحت تعمل في ثناياها عناصر التدهور والانحطاط، وذلك بسبب تعلق العلماء بالماضي فقد كانوا يقلدون تقليدا كل ما خلفه أسلافهم من إنتاج علمي وأدبي وتاريخي، واقتصرت مساهمة أكثرهم في حركة التأليف على مصنفات متداولة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي[6]، لهذا فإن علماء هذه الفترة لم يتميزُ بالابتكار في

1 – عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق،ج 2، ص:467.

2 – ابن مرزوق، المناقب، ص:51 ،52 .

3 – محمود بوعياد، المرجع السابق، ص: 57.

4 – التنسي، المصدر السابق، ص:11.

5 – ابن مريم، المصدر السابق، ص:440.

6 – محمود بوعياد، المرجع نفسه، ص:57.

أفكارهم ولا في إنتاجهم، ويتضح أن سوق الأدب والتاريخ والجغرافيا لم تكن رائجة وخاصة علم التاريخ الذي لم يكتب فيه غير التنسي[1].

حصلت استثناءات واضحة في تاريخ بن زيان، حيث أن ظروف الحرب التي فرضها التنافس الزياني المريني الحفصي من أجل بسط السيطرة على المدينة كانت تؤثر تأثيرات مباشرة في سيرها الحضاري وسير نشاط مدارسها ومس حيوية وعطاء العلماء الذين كانوا فيها[2].

ومن مظاهر هذا الصراع بين الدويلات الثلاثة هو احتلال تلمسان من طرف بن مرين سنة 753هـ/1352م، ثم استرجاعها سنة760هـ/1359م، يصفه صاحب زهر البستان في قوله:" في ذكر رجوع الخلافة الزيانية بعد تدهورها وطلوع شموسها بعد الأفول، وتجديد نورها على يد أبي حمو موسى"[3].

بالإضافة إلى التدخل الحفصي المريني، فإن الصراعات الداخلية على السلطة بين فروع الأسرة الحاكمة بتلمسان، بل وحتى داخل الفرع الواحد زادت من عدم استقرار السياسي والأمني بالمغرب الأوسط من ذلك الصراع الطويل بين أبي حمو موسى الثاني وبن عمه أبي زيان بن سعيد، والذي عرفته الفترة الممتدة ما بين (762- 783م) [4].

وبطبيعة الحال ينعكس الوضع الأمني الغير مستقر على الإنتاج التأليفي والإبداع العلمي، يصف العبدري الوضع المتراجع بقوله:"ثم وصلنا إلى مدينة تلمسان، فوجدناها بلدا حلة به زمانة الزمان أخلت به حوادث الحدثان ، فلم تبق به علالة، ولا تبصر في أرجائه للظمآن بلالة، ...أما

1 – محمود بوعياد، المرجع السابق، ص: 57.

2 – حاجيات، "الحياة الفكرية بتلمسان في العهد الزياني. "، ص: 26.

3 – مؤلف مجهول، زهر البستان، ص: 3، 4.

4 – ابن مرزوق، المناقب، ص ص: 43، 44.

العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد، وغاضت أنهاره فزدّحِم على الثماد، فما ضنّك بها وهي رسم عفا طلله،ومنها جفا وشله [1].

كما شهدت الدولة الزيانية خلال القرن العاشر كثرة التدخلات الإسبانية في شؤونها الداخلية والتلاعب بأقدارها ومصيرها، ومحاولة الإحاطة بها من كل جانب تمهيدا للاستيلاء عليها ، وتسبب التدخل الإسباني في حدوث حروب طاحنة بين عرش تنس وعرش تلمسان، سالت فيها دماء ، و لم يستفد من ذلك سوى الإسبان[2].

وللكوارث الطبيعية تأثير بالغ على مسار الكتابة التاريخية، يعد وباء الطاعون من أشد الكوارث الطبيعية وأكثرها فناء وأشد فتكا للبشر، وقد عرفت تلمسان هذا الوباء الجارف عدة مرات خلال العهد الزياني، الطاعون الأسود (750ـــ751هـــ/1349ـــ1350م)،والذي توفي به الفقيه، أبو عبد الله محمد بن يحي النجار، خير علماء عصره في العلوم العقلية من العلماء والأهالي[3].

وعاد مرة ثانية بعد مرور أربع سنوات من حكم السلطان أبو حمو موسى الثاني 763ـــ765هـــ، ثم طاعون سنة 835هـــ/1332م وكانت عاصمة الزيانيين أكثر دول المغرب تضررًا منه، حيث أتي على الكثير من سكانها.[4]

وقد أدى حدوث هذه الكوارث إلى موت أعداد كبيرة من العلماء والفقهاء، وحصر الحركة العلمية، والمجاعات هي الأخرى كان لها التأثير في تعطيل في تعطيل عجلة التدوين التاريخي منها

1 – العبدري، المصدر السابق، ص ص: 47 –49.

2 – يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ص ص:233، 234.

3 – ابن مرزوق، المناقب، ص: 292.

4 – خالد بالعربي، "المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني(698ـــ845هـــ/1299ـــ1442م)". مجلة كان التاريخية ، ص ص: 23– 24.

مجاعة (698 ــ706هـ/ 1279ــ 1306م)، وسببها الحصار الذي فرضه السلطان أبو يعقوب يوسف المريني[1].

- **طبيعة الإنتاج التاريخي.**

الإنتاج التاريخي للفترة الزيانية ميزه تنوع في الكتابة التاريخية؛ فهناك التاريخي السياسي والمناقب والتراجم والسير والفهارس وهذه الأنواع كلها فروع لها ميزاتها الخاصة حسب غرض التدوين إذ تساهم في التأريخ لهذه الفترة.

أ – منهج الكتابة وتأثيره في طبيعة الإنتاج التأليفي:

انتشر التأريخ للدولة والسلاطين الذين حكموا بلاد المغرب الإسلامي، والسعي لإظهار أعمالهم وبطولاتهم وإلحاق نسبهم بالنسب الشريف وإثبات ذلك، وسار بعض علماء تلمسان على هذا النحو وسخّروا أقلامهم لتقديم خدمات للسلطة السياسية، بتأليفهم مؤلفات ترضي السلطان عنهم وتزيد من حبِّ الرعية والناس له[2].

أولى الأخوين يحي بن خلدون في كتابه بغية الرواد وعبد الرحمن بن خلدون في كتابه العبر أهمية لتاريخ بن عبد الواد، وقبلهما صاحب زهر البستان، وفي القرن التاسع برز التنسي[3].

وما شجع هؤلاء على هذا النوع من الكتابة خدمتهم في البلاط الزياني؛ واهتمام الحكام بالتأريخ لأمجادهم والحث على التدوين وهو ما يوضحه يحي بن خلدون في مقدمة كتابه:"...فكان مما وقف ركاب عنايته عليه، وهدي رائد الكمال سرح آماله إليه تخليدا ما لدولته الكريمة من معال، وبأس ونوال، ...و ما جمعته سيرته الكريمة من حرب وسلم، وتفريق ولمٍّ وحِكمة وحُكم،

1 – خالد بالعربي، المرجع السابق، ص ص: 22– 24.

2 – نبيل الشريخي، المرجع السابق،ص:102.

3 – التنسي، المصدر السابق، ص: 95.

وتدوين ما اشتملت عليه أيامه من أخلاق وجدّة وإيمان وردة وفرج من بعد شدة، ليكون ذلك أسوة في الفخر اللباب، وعضة وذكر لأولي الألباب[1].

و يكمل قوله بإبراز عزمه على تلبية رغبة السلطان بعزٍ وافتخار:"رأيت أن أمتثل أمره العزيز فرض فانتدبت لأمره هذا الكتاب راكبا فيه لرضاه لأخطار ومسطرا بهذا القوافل والأسجاع الأسطر"[2]، يتضح من هذا القول أن يحي بن خلدون وجد نفسه من خلال طلب السلطان يخوض تجربة التأليف التاريخي وهو متخوف لميوله الأدبية.

واللافت للانتباه أن علماء تلمسان رغم إفرادهم مؤلفات لعرض سيرة بعض السلاطين المغرب ودولهم، فإنهم لم يتعرضُ لمنافسيهم في الدول الأخرى بالانتقاص أو إلحاق المعرّة بهم كما فعل ابن الأحمر[3] المتوفى 807هـ/1404م، مع الزيانيين في مؤلفه تاريخ الدولة الزيانية والذي وصفهم بـ "المحقرين، الأذلة، المصغرين"، كخدمة قدمها للمرينيين بذلك[4].

من الفروع الأخرى لعلم التاريخ والتي مدتنا بمادة تاريخية وسلطة الضوء على جوانب كثيرة من حياة العلماء والفقهاء التراجم والمناقب.

ويقصد بالتراجم المؤلفات التي تشتمل على أكثر من ترجمة لشخصية ما من الناحية الذاتية حول عصره والعلماء الذين أخذ عنهم إضافةً إلى نشاطه وعلاقاته وآثاره ومؤلفاته التي تشمل

---

1 – يحي بن خلدون، العبر، ج1، ص: 78.

2 – المصدر نفسه، ص: 80.

3 – **ابن الأحمر:** إسماعيل بن الأمير يوسف ابن السلطان محمد بن الرئيس الأمير أبي سعيد فرج أمير مالقة ابن الأمير إسماعيل بن يوسف المعروف ببن الأحمر من ذرية سعيد بن عبادة الأنصاري، الخزرجي(ت بفاس 807ه/1404م)، مؤرخ أديب ونسابة، كان من بني مرين في جندهم أخذ عن جماعة منهم ابن رضوان وأبي سعيد بن عبد المهيمن الحضرمي وغيرهم، له عدة تآليف أدبية منها حديقة النسرين في دولة بني مرين وآخر سماه روضة النسرين في أخبار بني عبد الواد وبني مريين ونثير الجمان فيمن ضمه وإياه الزمان من أهل النظم،ينظر: التنبكتي، المصدر السابق، ص، ص: 145، 146.

4 – نبيل الشريخي، المرجع السابق، ص:104.

علي أكثر من ترجمة تسمي كتب الطبقات ثم تطور هذا النوع ليبلغ ذروته خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وعرفت بكتب المناقب.

وأهم الكتب التي ألفت في هذا النوع من الكتابة التاريخية ابن الصعد التلمساني الذي ترك مؤلفين في المناقب الأول النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب[1]، والثاني روضة النسرين في مناقب الأربعة المتأخرين، وكذا المؤلِف محمد بن عمر بن إبراهيم الملالي التلمساني كان حيا سنة897هـ/1492م، يعتبر هذا المؤلف مصدرًا هاما في التعريف بالشيخ محمد بن يوسف السنوسي المتوفى سنة895هـ/1489م، أحد أبرز علماء المغرب الأوسط في هذا القرن[2].

كما تشكل النوازل الفقهية مادة مصدرية هامة للمؤرخ والباحث فقد اهتم الفقهاء بالفتاوى لحل المشاكل[3]، وتكمن أهميتها بالإضافة إلى تنوع قضاياها؛ فيما توفره للباحث من التعرف على مصدر النازلة، وأسماء بعض الملوك والأمراء وعامة الناس الذين استفتوه في مسألة ما، وعلى أسماء القضاة الذين استشاروه بشأن قضايا كانت معروضة عليهم، وعلى المكان التي تصدر منها النوازل.

يتجسد هذا في كتاب الدُّرر المكنونة في نوازل مازونة الذي يعكس بشكل دقيق أوضاع المغرب الأوسط زمن ضعف السلطة الزيانية وعجزها عن توفير الأمن والاستقرار، وهكذا تفيدنا النوازل في التعرف على أحوال مجتمع نظرا لما توفره من أسئلة تتعلق بتفاعل مكوناته ونشاطه هذا بالإضافة إلى قضايا تتصل بالحياة الدينية والروحية والعلمية للمجتمع[4].

1 – ابن مريم، المصدر السابق، ص ص:27، 28.

2 – المصدر نفسه، ص: 33.

3 – صالح بن قربة، المرجع السابق، ص: 15.

4 – المرجع نفسه، ص ص:17، 18.

كما أنتج علماء المغرب الأوسط في علم السياسة فساهموا في إثراء الجانب التاريخي، والكتابة السياسية لدى المفكرين المسلمين من غير الفقهاء بدأت في وقت مبكر من التاريخ الإسلامي إذ يعود الاهتمام بهذا الفن إلى القرن الثامن للهجرة، وسلك الفكر السياسي عند العلماء السابقين عن عصر أبي حمو موسى الثاني منهجين، أولهما قام على توجيه النصائح للملوك حول ما يجب أن يتحلوا به من الأخلاق وبيان القواعد التي يقوم عليها الملك، أما الثاني فقد سلك المنهج الفقهي القائم على بيان الأحكام الشرعية التي تبنى عليها الخلافة والوزارة وغيرها من المناصب الشرعية[1].

اختار أبا حمو المنهج الأول في تأليف كتابه واسطة السلوك في سياسة الملوك إذ جاء عنوانه على نفس سياق الكتب السابقة، وفي مقدمته يوضح سبب تأليف كتابه هذا إذ يقول:"...فرأينا أول ما نتحف به ولدنا وارث مجدنا والخليفة إنشاء الله من بعدنا وصايا حكيمة، وسياسة عملية مما تختص به الملوك وتنظم به أمورهم انتظام السلوك في سياسة الملوك."[2]

كما ظهرت كتب الفهارس التي يجمع فيها المؤلف أسماء شيوخه وما قرأ عليهم من كتب، وأسانيدهم في تلك الكتب المروية عن شيوخهم باتصال سندها إلى مؤلفها، وبدأ هذا التأليف ببلاد المغرب يتسع من بداية القرن السادس الهجري إلى أن يصل لذروة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين.

ومن المؤلِفين في هذا النوع من الكتب ابن مرزوق الخطيب، في مؤلَفه عاجلة المستوفر المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز[3].

برز في علم التاريخ كتاب وأدباء وفقهاء من أبناء مدينة تلمسان سخروا أقلامهم في هذا الاتجاه وتخذوا لهم أسلوبا فنيا، يعتني بتأليف في العبارة وإظهار الحادثة في ثوب من الصياغة الجميلة

1 – أبو حمو موسي، المصدر السابق، ص ص:32، 36.

2 – المصدر نفسه، ص ص: 47.

3 – ابن الخطيب، الإحاطة ج 3، ص: 76.

المعبرة، بحيث جمعوا بين الأدب والتأريخ، لأن أغلب رجاله يعدون من صفوة الكتاب الذين تولوا مناصب سامية في دواوين الدولة[1]. كالمؤرخ يحي بن خلدون الذي كان كاتبا للإنشاء لدى السلطان أبي حمو موسى الثاني، وهي المناصب التي ساعدتهم على أن يكونوا قريبين من مصدر الخبر والأحداث، وفي متناولهم أرشيف بني زيان ووثائقهم.

و اختلف أسلوب الكتابة إذ نجد صاحب كتاب زهر البستان في دولة بن زيان يؤرخ لدولة الزيانية في أزهى عصورها، تلك الدولة التي رسمت حدود المغرب الأوسط آنذاك، ويتضح أن مؤلِفه كان من بين الذين خدموا في بلاط أبي حمو موسى الثاني، على غرار كتاب آخرين ويُستدل على هذا من عمق إطلاعه ودقة وصفه لما يجري في ذلك البلاط من أحداث وآثار، وأسلوبه يميل إلى أساليب الرواة في عرض الأحداث[2].

ويمكننا القول من ناحية تطور الأسلوب الأدبي، بتمادي التيارات التعبيرية التي ظهرت منذ القرن الرابع الهجري في الأدب العربي بالمشرق، و لم تفتأ تزداد انتشارًا ورسوخا لما وجدت من إقبال لدي جمهور الأدباء الذين بلغوا في تطبيق اتجاهاتها القائمة علي الإسراف في اللجوء إلى التشبيه والاستعارة وغير ذلك من صور البلاغة، الأمر الذي أثقل الإنتاج الأدبي نثرًا وشعرًا، وطبْعِه بطابع التكلف والتصنع.

وقد عرفت هذه الاتجاهات انتشارا كبيرا في الأندلس وأقطار المغرب، وخصوصا بين كتاب مختلف البلاطات السلطانية، وعمَّ استعمال السجع في المراسلات الرسمية والخاصة التي امتازت بوفرة التعابير المسجَّعة القليلة المعني.

1 – عبد العزيز الفيلالي، الرجع السابق، ج 2، 467.

2 – عبد الحميد حاجيات، "يحي بن خلدون وكتابه بغية الرواد."مجلة عصور الجديدة،الجزائر، جامعة وهران، ع: 3-4. ص: 8.

أما يحي بن خلدون فإنه سلك الطريق التي عبدها سابقوه في هذا الميدان، ولا شك أنه تأثر بالكتابة والأدباء المشهورين في عصره أمثال لسان الدين بن الخطيب[1] الذين قاموا بدور رئيسي في تكوينه وحصوله علي ملكة هذه الأساليب التعبيرية المثقلة بالمحسنات البديعية ، هذا ويمتاز أسلوبه بدقة الوصف وبراعة التصوير، وسعة الخيال، والتوفيق في اختيار المفردات.

والجدير بالملاحظة أنه لا يبالغ في استعمال السجع؛ فهو يلجأ إليه ليبرهن على صدق قريحته ونبوغه في فنون الأدب، ولإجادة الأمير وعاصمته والتعبير عن عواطف والإخلاص والوفاء ، ولكنه إذا من صرف إلى ذكر الأخبار أو عالج مسائل تاريخية ، فإنه يفضل النثر المرسل، ويتوخى في أسلوبه البساطة والدقة[2].

والجدير بذكر أن بعض هذه الأعمال قد كتبها علماء تغلب عليهم تخصص آخر غير التاريخ مثل التنسي الذي اشتهر بدراسة الحديث والفقه والأدب وغيره ومع ذلك فإن آثار هؤلاء التاريخية لا تزال تحتفظ بقيمتها[3].

1 – **ابن الخطيب:** محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني أبو عبد الله لسان الدين، يعرف بابن خطيب ذي الوزارتين، ولد سنة 713هـ بلوش، نشأ في بيت علم وفضل وجاء بغرناطة أين أخذ عن علمائها مختلف العلوم، فأصبح من أعظم الشخصيات الأندلسية، خلال القرن 8هـ، فهو طبيب وفيلسوف وكاتب وشاعر وزير سياسي له علاقة جيدة مع سلاطين بني مريين احتضنوه عندما فرّ من الأندلس بتهمة الزندقة والإلحاد، له العديد من المؤلفات منها الإحاطة في أخبار غرناطة، ريحانة الكتاب، ينظر: البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، بيروت ، دار إحياء التراث العربي، د ط، 1955، مج 2، ص:480.

2 – عبد الحميد حاجيات، "يحي بن خلدون وكتابه بغية الرواد". ص ص: 33، 34.

3 – أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص :50.

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية لنموذجي المناقب والسياسة

أولا: كتاب المناقب المرزوقية لابنه مرزوق الخطيب (710-781هـ/ 1310-1379)

ثانيا: كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسى الثاني (723-791هـ/1323-1389م)

تعددت مصادر الحقيقة التاريخية فمنها ما وجد في كتب التراجم والسير والمناقب، وهناك ما استخرج من كتب السياسة والنوازل الفقهية، وحسب هذا التنوع اختلفت المناهج والأساليب المعتمدة إذ لكل فرع من فروع التاريخ نمط يمتاز به ومنهج يتماش وطبيعة الموضوع، وهذا ما سيتضح من خلال النموذجين المعتمدين.

أولا: كتاب المناقب المرزوقية لابن مرزوق الخطيب

(710–781هـ/1310–1379).

- **التعريف بابن مرزوق الخطيب.**

من أعظم الشخصيات المغربية التي ربطت بين دول المغرب والمشرق برباط ثقافي متين، إذ يعد أنموذجا من نماذج الهوية المغربية في العصر الوسيط أخذ من هذه البيئة وأعطاها؛ واتصل بعلمائها وفقهائها فأفاد وستفاد.

1-مولده ونسبه: هو محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق ابن الحاج القيرواني العجيسي التلمساني، يكنى أبا عبد الله ويلقب من الألقاب المشرقية بشمس الدين[1] ولكنه يعرف باسم ابن مرزوق الجد أو الخطيب لوقوفه على المنبر دون حرج أو خوف[2]، ومولده فيما أخبر كان سنة عشر وسبعمائة[3] 710هـ/ 1310م في تلمسان. ينحدر من عائلة هاجرت من القيروان، كان أجداده يقومون بخدمة ضريح الشيخ سيدي بومدين[4] بالعباد متوارثين خدمة تربته،من لدن جدهم خادمه في حياته[5].

1 – المقري، المصدر السابق، ج 5، ص : 391.

2 – fatima Zohra Bouzinz, tlimcen capitale musulmane le siecle d'or du maghreb central, alger, Editions, Dalimen,2011,p:300.

3 – ابن خلدون، الرحلة، ص: 93.

4 – j josephe , op.cit , p:103.

5– ابن خلدون، نفسه، ص: 93.

تلق تعليمه الأول في الكتاتيب القرآنية وكان واحدا من أبناء جيله المميزين خاصة فيما يتعلق بالتَّميز واللطف وله سعة معرفية واسعة.[1]

2-وفاة ابن مرزوق الخطيب: قضى ابن مرزوق حياته كرجل سياسي إذ بلغ شأنا كبيرًا، وهذا الميدان يعرض صاحبه لسعاية والتقولات، ولذا لم يعش طويلا في كنف أبي عنان الذي شك في إخلاصه، فلجأ كرجل فكر حر إلى المشرق، والإنسان العربي والمسلم لم يكن يجد كبير العناء في خدمة المعرفة حيثما حل بالأرض الإسلامية، وهكذا أتيح له أن يشتغل بالتدريس، والقضاء في مصر[2]، وكانت وفاته هناك في شهر ربيع الأول لعام 781هـ/1379م، وفي أيام حياته الأخيرة عاد إلى حياة الراحة وحسن الحال وعلوا المكانة، وذلك بعد حياة طويلة مليئة بالنشاط السياسي حيث عمل في بلاط ثمانية ملوك:فاس وتلمسان وغرناطة وتونس والقاهرة، ومليئة كذلك بالجهود الثقافية والروحية[3].

3-حياته العلمية :

أ – رحلته العلمية ومشايخه:الرحلة العلمية واحدة من العوامل المساعدة والضرورية لذلك الزمان لاكتساب العلم، وبن مرزوق من العلماء الذين لم تُثنهم رغبة طلب العلم عن الترحال والسعي وراء مقصده، إذ رحل مع والده صوب مشرق سنة ثمانية عشر وسبعمائة 718هـ[4] وأثناء سفره مكث في مدينة بجاية لبعض الوقت مما سمح له متابعة دروس الشيخ نصر الدين الذي كان عالما ومفسرا للقرآن [5].

1 – f zohra Bouzina , op.cit ,p: 300.

2 – إبراهيم حركات ، "الصلات الفكرية بين تلمسان والمغرب." مجلة الأصالة ، ع 26، ص: 187.

3 – ابن مرزوق، المسند ، ص:30.

4 – التنبكتي، المصدر السابق، ص: 450.

5 – j.josephe , op.cit, p: 103.

وبالمشرق: "حج وجاور ولقي الجِلَّة مع والده، ثم فارقه وعرف بالمشرق فضله، أخذ بالمدينة المشرفة فضله، أخذ بالمدينة المشرفة عن خطيبها عز الدين الحسن بن علي الواسطي، وعن جمال الدين محمد بن أحمد بن خلف المصري،" ...وغيرهم.

وبمكة:"عن الشيخ شرف الدين عيسى بن عبد الله الحجي المكي ...وعن خليل بن عبد الله القسطلاني التوزري، وعن الشيخ عثمان النويري المالكي، وعن شهاب الدين أحمد بن الحرازي اليمني، وعن الربيع بن يحي المراكشي[1]، ...وغيرهم كثر.

وبدمشق: درس علي برهان الفركاح، والشمس بن مسلم قاضي الحنابلة، وبالإسكندرية :أحمد المرادي بن العشاب، وأبو القاسم بن علي بن البراء، والناصر بن المنير[2].

وبالديار المصرية: الشيخ علاء الدين إسماعيل بن يوسف الغزنوي وتقي الدين محمد بن أبي بكر بن عيسي السعدي، والشيخ المصنف قاضي القضاة جمال الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني، وشهير الذكي، رفيع القدر، وقاضي القضاة برهان الدين بن أبي عبد الله محمد بن عبد الحق الحنفي.[3]

وبتونس: المحدث النسابة أبي عبد الله محمد بن الحسن الزبيدي وقاضي الجماعة أبي إسحاق بن عبد الرفيع، والقاضي أبي محمد بن عبد السلام، وأبي محمد بن راشد القفصي، وإمام جامع الزيتونة أبي موسي هارون.[4] هذا وغيرهم من الشيوخ احتك بهم، فأخذ عنهم العلم الغزير وستوسع في الرواية عنهم بتمكين وإتقان،[5] فكان عدد شيوخه يفوق الألفين وقد أودعهم كلهم

1 – المكناسي، المصدر السابق، ص: 226.

2 – المقري، المصدر السابق، ج 5، ص:395.

3 – ابن فرحون، المصدر السابق، ص: 395.

4 – المصدر نفسه، ص: 398.

5 – سعيدي عياد، موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي والإسلامي، الجزائر، بن مرابط، ط1، 2011 ، ص: 328.

فهرسته "عجالة المستوفر المستجاز في ذكر من سمع من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز.[1]

ب ــ وظائفه: تقلد ابن مرزوق العديد من الوظائف لحنكته وذكائه الحاد فكان الخطيب بمسجد السلطان أبي الحسن ، وأقعد للإقراء[2] كما تولى القضاء وكتابة السِّر والحجابة والسفارة ، فكان أنموذج زمانه في الحذاقة والفطنة، أيام السلطان أبي سالم المريني" فأُنفذ الأمر والنَّهي، لَحْظًا أو سِرارًا أو مكاتبة ...وغاية الحُجَّاب..."،[3] وله تلاميذ ذاع صيتهم أمثال ابن الخطيب السلماني ذو الوزارتين، وسنتطرق لهم لاحقا.

بعد طول مكوث علمي في المشرق قرر العودة صوب بلاد المغرب فرجع سنة خمس وثلاثين[4] 735هـ/1334م، إذ وجد مدينة تلمسان محاصرة من قبل السلطان أبو الحسن 733هـ/1332م، الذي شيد مسجد العباد أين كان محمد بن مرزوق عم عبد الله إمامًا[5]، واشتمل عليه السلطان أبو الحسن اشتمالاً خصه بنفسه وجعله محل سره وإمام جماعته وخطيب منبره وأمين رسالته، ورحل بعد أبي الحسن إلي الأندلس، فاجتذبه سلطانها، وأجراه على تلك الوتيرة، فقلده الخطبة بمسجده، أقعده لإقراء بمسجد حضرته عزيز الرحلة[6].

بذلك تكون وظيفة الإمامة والخطابة أول ما كان من وظائفه بداية من العباد حيث ولاه السلطان أبا الحسن خطابة ذلك المسجد مكان عمه بعد وفاته إلى جامع الحمراء دار ملك السلطان

---

1 – عبد الرحمن الجيلالي ، تارريخ الجزائر العام،الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية،ط7 ،1994،1415 ج 2، ص:132.

2 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج03، ص: 75.

3 – المصدر نفسه، ج03، ص: 76.

4 – ابن خلدون، الرحلة ص:94.

5 – J. Josephe, op.cit, p:103.

6 – ابن فرحون، المصدر السابق، ص: 398.

أبي الحجاج وجامع غرناطة في سنتي(753ـ754ه/1353ـ 1354م)، كما تولى الخطابة بجامع الموحدين بتونس[1].

وصفه يحي بن خلدون" بالخطيب المصقع، ذو الوجاهة عند السلاطين"[2]،و يقول مؤلِفنا عن نفسه " ارتقيت خمسين منبرا من حواضر الإسلام ما هو معلوم عند أهل العصر من الخاص والعام"[3]. ومن مهامه الأخرى التي قام بها التعليم فدرس بداية بمدرسة العباد[4]. واشتهر بعلمه الواسع الوفير في علوم الأصول والعقائد والمذاهب والتاريخ والفقه وغيرها من العلوم، وقد أخذ عنه ما لا يحصى من العلماء والمشايخ رجال المغرب والأندلس[5]، ضف إلى ذلك مصر التي اشتغل فيها بتدريس والقضاء إلى أن توفى[6].

ج ــ تلامذة ابن مرزوق:خرَّج ابن مرزوق العديد من الطلبة، يقول تلميذه ابن القنفذ: "وشيخنا الفقيه الجليل الخطيب كان له طريقة واضحة في الحديث، ولقي أعلاما من الناس وأسمعنا حديث البخاري وغيره في مجالس مختلفة، ولمجالسه جمال ولين معاملة"[7].

نجد من بين تلامذته لسان الدين بن الخطيب(713-776هـ/1313-1374م)، وبدأت علاقتهما في الأندلس وذلك أثناء الحملة التي انتهت بوقعة طريف والتي بدأها بنو مرين في صفر من عام 741هـ/1340م.[8]

1 – ابن خلدون، الرحلة، ص: 97.
2 – يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج 1، ص: 115.
3 – ابن مرزوق الخطيب، المناقب، ص ص: 139 ،140.
4 – نصر الدين بن داود، المرجع السابق ، ص:61.
5 – سعيد بوعياد، المرجع السابق، ص: 328.
6 – إبراهيم حركات، الصلات الفكرية ، ع 26، ص: 187.
7 – ابن قنفذ، الوفيات، ص: 373.
8 – ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص: 45.

ومنهم أيضا أبو القاسم البرزلي(740-842هـ/1339-1438م)على إثر انتقال ابن مرزوق الخطيب إلى تونس واقامته بها من سنة(764إلى772ه)فدرس عليه البرزلي وغيره شرح ثلاث كتب من الحديث هي عمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي الجماعيلي، والشفا للقاضي عياض، والأحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيلي[1]، وعبد الله بن محمد الشريف التلمساني (748-792هـ/1347-1390م) ومحمد بن أحمد بن علوان المصري التونسي المتوفي 827هـ/1423م، ومحمد بن يوسف الصريحي بن زرمك(733-795هـ/1333-1393م) كان كاتب في البلاط النصري بدأ علاقة التلمذة خلال عام 753هـ/1352م، حيث مكث بن مرزوق الخطيب في غرناطة وعين خطيبا رسميا، ولقد حضر ابن زرمك درسا له في التصوف، وإبراهيم بن محمد بن علي التازي الذي يعتبر واحدًا من كبار متصوفة عصره وهو كذلك عالم مبرز[2].

د –أهم تصانيفه: اشتغل ابن مرزوق بالتأليف فترك مصنفات في شتى أصناف العلوم والفنون الأمر الذي جعل المهتمين بتراثه يعتبرونه شاهدًا استثنائيا علي عصره، وأن مؤلفاته هي أصدق مرآة للمجتمع الذي عاش فيه[3]، وهو الذي قيل فيه: "مشارك في فنون من أصول وفروع وتفسير يكتب ويُشعر ويقيد ويؤلف؛ فلا يعدو السداد في ذلك[4] ونذكر من تصانيفه ما يلي:

1 – البرزلي أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي ، فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام ما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تع تح محمد الحبيب الهيلة، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط 1، 2002،ج 1، ص: 10.

2 – ابن مرزوق، المسند، ص: 47.

3 – نوال بلمدني، "ابن مرزوق الخطيب وكتاب المناقب المرزوقية ." مجلة عصور الجديدة، الجزائر، جامعة وهران، ع 3، 4، خريف 1432هـ ـ 2011م/ 1433ه 2012م ،ص: 89.

4 – المقري، المصدر السابق، ج 5، ص: 391.

1- "**المناقب المرزوقية**"، وهو موضوع دراستنا التطبيقية.

2- "**المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**"[1]: ألفه في رمضان سنة 772هـ/1371م، حينما كان بتونس وليس كما ذكر ابن القاضي بالأندلس، وهو كتاب نفيس يؤرخ لسلطان المريني أبي الحسن من خلال سيرته وصفاته وأعماله[2].

3- "**عجالة المستوفر المستجاز في ذكر من أجازني من المشايخ دون من أجاز من أئمة المغرب والشام والحجاز**"[3]: أحصي فيها شيوخه الذين درس وتعلم عليهم ومنهم 250شيخا درس عليهم علم الحديث فقط[4].

4- "**جني الجنتين في فضل الليلتين**" : أي ليلة القدر وليلة المولد الشريف وهو كتاب عظيم يُنْبِي عن الإطلاع الواسع الذي يتمتع به مؤلِفه[5].

وله عدة شروح منها:

5- **شرح كتاب الشفا في التعريف بحقوق المصطفي ولم يكمل**[6]: للقاضي عياض المتوفى سنة 544هـ/ 1149م، ورغم أنه لم يكمل هذا العمل إلاّ أنه قد ستبحر فيه وكان الإقبال عليه كبيرًا من أهل العدوتين، وقد أهداه لسلطان أبي الحسن المريني، منهم لسان الدين بن الخطيب الذي قال فيه[7]:

1 – المكناسي، المصدر السابق، ص: 226.
2 – نصر الدين بن داود ، المرجع السابق، ص: 65.
3 – المقري، المصدر نفسه، ج 5، ص:392.
4 – يحي بوعزيز، مدينة وهران، ص: 108.
5 – نصر الدين بن داود، المرجع نفسه، ص:66.
6 – المكناسي، المصدر نفسه، ص: 227.
7 – نصر الدين بن داود،المرجع نفسه، ص: 66.

أَأَزْهَـــارُ الـــــرِياضِ أَمْ شِفَا العَيَاضْ

سَدَدَ الله ابْن مَرزُوقْ إلىَ تِلْكَ المَرَاضِي.

6- **شرح العمدة** :في خمسة مجلدات[1] والعمدة كتاب في الحديث معروف ألفه الإمام عبد الغني المقدسي وهو شرح نفيس[2] جمع فيه بين شرحي الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، وتاج الدين الفكهاني وأضاف إلي ذلك كثيرا من الفوائد الجليلة النفيسة[3].

7- **إزالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب:** شرح علي ابن الحاجب الرفاعي[4] وهو أبو عثمان بن عمر الكردسي علامة مصري نحوي وفقية ولد سنة 570ه وتوفي سنة 646ه[5]

8- **وله تعليق علي الشافعية لمعالجة الفقه الشافعي**[6].

9- **تحفة الطرف إلي الملك الأشرف**[7]: وهي العديد من الروايات في كلمات معبرة وقوالب رائعة وقصص مثيرة أهداها لسلطان المملوكي أشرف حفيد قالون؛ بطريقة كلاسيكية كانت مفضلة لديه[8].

1 – ابن فرحون ، المصدر السابق ، ص: 399.

2 – محمد بن احمد بن شقرون ،مظاهر الثقافة المغربية_دراسة في الادب المغرب في العصر المريني، دار البيضاء، دار الثقافة، دط، 1406 ،1985، ص: 128.

3 – ابن فرحون، المصدر نفسه، ص: 399.

4 – محمد شقرون، المرجع نفسه، ص: 128.

5 – نصر الدين بن داود، المرجع نفسه، ص: 68.

6 – f . zohra B, op.cit , p:301.

7 – يحي بوعزيز ، مدينة وهران ، المرجع السابق، ص: 109.

8 – f. zohra B, op. cit. p: 301.

وله ديوان خطب وقصائد، شرح لصحيح البخاري في الحديث النبوي الشريف، كتاب في الصبر، كتاب في التنجيم.[1]

4. مرجعية ابن مرزوق الخطيب المساهمة في تكوين شخصيته.

1- تكوين ابن مرزوق الاجتماعي :

يؤثر التكوين والنشأة الاجتماعية للفرد على مسار حياته وفترات عمره، وتتحكم في تكوين شخصية ابن مرزوق :

أ- مساهمة أسرته في تكوين شخصيته: فهو من أب وأم من أهل دين وورع إذ يقول في والده أبو العباس أحمد بن مرزوق(681ـــ 741ه/1282ـ 1340م)" كان رضي الله عنه، من يومه الذي عقلت فيه وميزت، إلى يوم فارقته، رضي الله عنه يختم ختمة من كتاب الله عز وجل، بين يومه وليلته...وكان إذا أصبح حضر ما يحضر من مجالس العلم..."[2]

وأمه ابنة شيخ ورع أبو إسحاق التنسي[3] من العلماء الصالحين من أهل تنس، واحد عصره علما ودينا، له كرامات عديدة عرَّف بها ابن مرزوق في كتابه المناقب وقبره بالعباد[4].

ب – الحالة الاقتصادية ومصادر الكسب : تنبئ مصادر الكسب عن الحالة الاقتصادية والمستوي المعيشي،كما تبرز جانبا من شخصية الفرد، وتختلف مصادر العيش فهناك من كان مصدره من أعمال يومية ومنهم من توظف عند الدولة، فوالد مؤلفنا أبو العباس أحمد بن مرزوق

---

1 – يحي بوعزيز، مدينة وهران ، ص: 109.

2 – ابن مرزوق الخطيب، المناقب، ، ص:212.

3 – **أبي إسحاق التنسي:** هو أبو إسحاق بن يخلف بن عبد السلام التنسي المطماطي انتهت إليه رياسة التدريس والفتوي في أقطر المغرب كله، وهو من العلماء الصالحين، كبير القدر حيا وميتا، زاهدا ورعا ذو الكرامات الشهيرة، ومكانة عند الملوك عظيمة،ألف في العلم كثيرا ، حج وعاد إلى تلمسان ، فتوفي في حدود الثمانية وستين، قبره رحمه الله بالعباد، ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق،ج 1، ص:114.ابن مريم، المصدر السابق، ص: 158.

4 – ابن مرزوق ، المناقب، ص:127.

المتوفي سنة 741هـ/1340م كان زرعه من فدانه الذي ورثه عن أبيه،[1] كما أن أسرة المرازقة كانت ذات منزلة اجتماعية ومادية راقية فقد دلت الأعمال التي قام بها جده لأبيه من توسعة على أهل منزله في النفقة، وتصدقه على الفقراء فيكتال بين يديه للفقراء والمحتاجين[2].

ج – المميزات السلوكية والخلقية :قد تعكس سلوكيات الأخلاقية سيرة الأفراد ورقيهم ومكانتهم داخل مجتمعهم؛ كما تكون مرجعية وأسوة لنشئهم فيقتفون سيرة سلفهم، وهو ما كان من تواضع أسرة المرازقة وتماسكهم ببعضهم ومن نماذج ذلك ما كان يقوم به والد بن مرزوق إذ يقول: "...ويتوجه لزيارة خالته وخالة والده، وبعض قرابته"[3].

كما تميزوا بالتواضع الذي يظهر من خلال الأنشطة والأعمال التي كانوا يقومون بها إذ كان والد مؤلِفنا أشد الناس تواضعًا، وإذا مرى بطريق فيه حجر أزاله أو شوكا أماطه، وكان في خدمة أهله يحمل العجين إلى الفرن ويشتري بنفسه ما يحتاج من فحم وغيره، ويخيط ثوبه بيده، وكان كثيرًا ما يدعُ الخادم ليأكل معه[4].

ويصف المؤرخ لسان الدين بن الخطيب ابن مرزوق بأنه كان كثير التودد لطيف التأتي، طلق الوجه، طيب الحديث ممزوج الدعابة بالوقار والحشمة إلف مألوف[5].

د – معاملتهم لأفراد مجتمعهم: جمعت أسرة المرازقة علاقة حسنة مع أفراد مجتمعهم إذ كانوا يقدمون خدمات لأفراد المجتمع من خلال توسطهم والسعي لقضاء حوائجهم عندهم

1 – ابن مرزوق ، المناقب ، ص: 222.

2 – المصدر نفسه، ص: 160.

3 – نفسه، ص:212.

4 – نفسه، ص: 245.

5 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص:75.

ويرشدون الناس ويعلمونهم، يقول ابن مرزوق الخطيب: "وأما الصالح الولي العارف كبير القدر، أبو عبد الله جدي هو بركة هذا البيت ووسيلتهم، وإمام أهل وقته وقدوتهم"[1].

أما والد مؤلفنا فسخي في معاملة الناس حتى في أشد حالته، إذ كان مريضًا أشد مرض وبعد أن قُدِم له الدواء، قدمه بدوره إلى من يعلم أنه بحاجة إلى الدواء أكثر منه، فخاطب ابنه ابن مرزوق قائلا: "يا ولدي أعرف فلانة المسكينة مريضة بهذه العلة، وهي لا تقدر علي الوصول لهذا الدواء، فلعلك يا ولدي توجهه إليها، وستعمل هو دواءً غيره[2].

وتبعهم خلفهم ابن مرزوق الخطيب فكان إلفا مألوفا منقادًا للدعوة عظيم المشاركة لأهل وُدهِ والتعصب لإخوانه، كثير الأتباع والعلق، مسخر الرقاع في سبيل الوساطة[3].

5- علاقة ابن مرزوق بسلاطين مغربا ومشرقا:

جمعت مؤلِفنا علاقات مع سلاطين المغرب الإسلامي وحتى الأندلس، إذ كان دربا علي صحبة الملوك والأشراف متقاض لإيثار السلاطين والأمراء، يَسْحرُهم بخلابة لفظه[4]، فكان ذو وجاهة عند السلاطين، نبذ طريق أبيه وجده ظهريا وخدم الملوك[5].

أ-علاقته مع بني مرين : اعتبر ابن مرزوق من أهم علماء تلمسان الذين ربطتهم علاقات وطيدة بالسلطان المريني؛ مما جعله يرتقي أعلى المراتب، وبدأت هذه العلاقة بعد عودته من المشرق إذ اشتمل عليه السلطان أبو الحسن اشتمالا خلطه بنفسه وجعله مفضي سِرِّه[6].

1 - ابن مرزوق، المناقب ، ص:149.
2 - المصدر نفسه، ص: 224.
3 - ابن الخطيب، الإحاطة ، ج 3، ص:75.
4 - المصدر نفسه، ص: 75.
5 - يحي بن خلدون ، المصدر السابق،ج1، ص: 115.
6 - ابن الخطيب الإحاطة ، ج 3، ص: 75.

ثم نجده يعود إلي تلمسان لبعض الأشهر بعد ذلك يعيد تواصله مع بن مرين؛ يقول : "وردت على باب السلطان الكبير العالم أبي عنان فبلوت منه مشاركته [1].

وكان له نشاط حفل في بث المعرفة، بقدر ما كان له نشاط دبلماسي في أقطار المغرب الإسلامي[2]، ومما يدلنا علي المكانة الرفيعة التي احتلها في حضرة أبي سالم أنه دفن أحد أبنائه في الضريح الملكي في الجامع الكبير بفاس، وكان ابنه هذا قد مات بعد تنصيب أبي سالم بأيام قليلة[3].

ب ــ علاقته مع بني زيان: تبرز علاقته هنا بعد رجوعه من فاس إلى تلمسان حيث أقام بالعباد، واتصل ببني زيان وصار في خدمتهم؛ إذ اجتمع بالسلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن معصدا بأخيه أبي ثابت، وبين كل هذه الأحداث وضع أبو الحسن رحاله في الجزائر مستعدا لمهاجمة تلمسان، ولهذا كلف السلطان الزياني ابن مرزوق في السّرِ بأن يخرج إلي جانبه لتوقيع اتفاق ولم يوافق أبي ثابت وأتباعه علي هذه الخطة ولهذا اعترضوا طريقه واقتادوه أسيرًا للمرة الأولي، ثم أستبدل عقاب الأسر بعد ذلك بالنفي الإجباري إلى الأندلس سنة 752هـ/1351م[4].

ج ــ علاقته بسلطان الأندلس: بدأت علاقته بالسلطان الأندلسي بعد نفيه إلى الأندلس، إذ نزل علي السلطان أبي الحجاج بغرناطة فأدناه واستعمله في الخطابة، بجامع الحمراء، فلم يزل خطيبا إلى أن استدعاه السلطان أبو عنان سنة أربع وخمسين، 754هـ/ 1353م، بعد مهلك أبيه[5].

د ــ علاقته بالبلاط الحفصي: بعد وفاة السلطان أبو عنان 762هـ/1361م، سجن ابن مرزوق للمرة الثالثة وبعد عامين خرج من سجنه، ورحل إلى تونس وهناك استقبله السلطان أبو

1 - ابن الخطيب الإحاطة ، ج 3، ص:75.
2 - المصدر نفسه، ص: 75.
3 - إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص: 187.
4 - ابن مرزوق، المسند، ص:28.
5 - عبد الرحمن بن خلدون، الرحلة، ص:96.

إسحاق إبراهيم (751هـ/1350م ـــــ 770هـ/ 1368م) بكل حفاوة وولوه الخطابة بجامع الموحدين[1].

هـ – علاقته بسلطان مصر:بدأت علاقته بالبلاط المصري بعد هجرته من تونس قاصدا القاهرة، إذ رحل بحرا إلي الإسكندرية سنة 773هـ/1372م، ثم تحرك لتوه إلى القاهرة حيث استقبله الملك الأشرف[2] ناصر الدين شعبان ابن الحسين الذي أكرمه كثيرا، بتعينه قاضيا وخطيبا ومدرسا في مساجد صلاح الدين الثلاثة: الشخنية والصرغتشة والقمحية.

وألف بدوره كتابا أهداه للملك الأشرف عنوانه تحفة الطرف إلى الملك الأشرف[3]وبعد ثماني سنوات من خدمة العلم في القاهرة توفي ابن مرزوق، سنة781هـ/1379م[4].

ـــ دراسة كتاب المناقب المرزوقية .

1ـــ عناوين الكتاب:يعتبر كتاب المناقب المرزوقية من أهم مؤلفات ابن مرزوق الخطيب إلا أنه ظل مجهولا لدى الباحثين والمهتمين بتاريخ المغرب ومصادره[5] وحمل عدة عناوين موضوعة"المجموع" أو "الديوان" [6]أو "سواطع الشروق ولوامع البروق في مآثر ومفاخر ابن

1 – عبد الرحمن بن خلدون، الرحلة، ص: 97.

2 – **الملك الأشرف:**(754ـ 778هـ) شعبان بن الحسين بن محمد بن قالون الملك الأشرف ابن الأمير الأمجد ابن الناصر بن منصور، قرر في السلطنة سنة764هـ، بعد خلع ابن عمه الملك المنصور بن المظفر حاجي، وكان في أول أمره لا تصرف له وإنما الحكم لبيغا فلما قتل بلبغا استقل بالحكم، لقب الملك الأشرف وعمره عشرين سنة، ينظر: شهاب الدين أحمد بن علي محمد بن محمد بن علي بن أحمد الشهير ببن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، بيروت، دار الجيل،د ط، د ت، ج 2،ص:190، عبد الرحمن بن خلدون، الرحلة، ، تهميش، ص:98.

3 – يحي بوعزيز، مدينة وهران ، ص: 109.

4 – ابن مرزوق، المسند، ص:30.

5 – المصدر نفسه،مقدمة المحقق، ص: 16.

6 – عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص: 468.

مرزوق"[1]؛ إذ أن الكتاب وجد من دون عنوان، لا في مقدمته ولا خاتمته، وليس في متنه ما يدل على عنوانه الصحيح والدقيق[2].

يتضمن السيرة الذاتية لأسرته: الجد الأكبر، والوالد، ووالد الأم، وسيرته هو نفسه وما حدث في عهدهم من قضايا سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، ومنجزات عمرانية بتلمسان وغيرها من حواضر المشرق والمغرب خلال القرنين السابع والثامن الهجريين[3].

2ـ تاريخ تأليف الكتاب:من المحتمل أنه تم تأليف الكتاب مابين شهر ربيع الأول من سنة 763ه/نوفمبر 1362م، أو بعده بقليل.[4]

أما مكان التأليف –داخل السجن أو خارجه– فلم يشر إليه بطريقة مباشرة لكن سلوى الزاهري محققة الكتاب، ومن خلال القرائن التي تعتمد عليها تشير إلى أنه شرع في تأليفه مباشرة بعد إيداعه السجن، أو على أكثر تقدير خلال الأشهر الثلاثة التي تلت حبسه، مع العلم أن المصادر لا تشير إلى المدة التي قضاها ابن مرزوق مسجونا ماعدا ما تشير إليه ماريا خيسوس بيغرا،[5] أنه سجن للمرة الثالثة وبعد عامين خرج من سجنه ورحل إلى تونس[6].

3– **دوافع تأليف الكتاب**:كل عمل وليد ظروفه ويمكن تحديد تلك الظروف من طبيعة معلومات المؤلَف ومحتوياته وأول ما يظهر لنا هو رغبته في الاحتفاظ بالسيرة الذاتية لسلفه الصالح، الذين كانوا أهل زهد وأصحاب كرامة، وتميزوا بالقيم والمبادئ الدينية ونبذ حياة الدنيا

1 – عبد القادر بوباية، المؤنس، ص:194.
2 – ابن مرزوق، المناقب، ص:96.
3 – عبد العزيز الفيلالي، المرجع نفسه، ج 2، ص: 468.
4 – ابن مرزوق، المناقب جزء التحقيق، ص: 116.
5 – نوال بلمدني، المرجع السابق، ص: 90.
6 – ابن مرزوق، المسند، ص:28.

وزينتها،[1] للاعتبار ورفع المعنويات،إذ يقول "...رأيت أن أثبت في هذا المجموع سيرة من سلف لي من الصالحين،...ليتزاح الاحتقار بالاعتبار"[2].

ثم إن هناك دواعي تربوية دفعت ابن مرزوق لتأليف هذا الكتاب الذي أراده أن يكون مرشدًا لأبنائه الصغار، ونبراسا لمعرفة مكانة أجدادهم يقول في مقدمة كتابه:"ورزقت أبناءً صغارًا لا يَعرفون، ولا يُعرفون ولا يألفون ولا يولفون، ورأيت أنهم إنما عرفوا بما عرفت به من الظهور الدنيوي، وفي الذي تنقطع المعرفة بانقطاعه، تأكد عندي أن اثبت لهم من ذلك ما يَعرفون به من سلف لهم[3].

تنضوي هذه الدوافع تحت دافع حقيقي أو رئيسي إن صح التعبير، ألا وهي محنته وسجنه بعد وفاة السلطان المريني أبي سالم الذي حظي علي عهده بمكانة و لم يستأثر عنه ببثه لا يقطع شيء إلى عن رأيه ولا يمحوا وثبت إلاّ واقفا عند حدِّه،[4] وهذه المكانة حركة حساده إلى السعاية والوشاية "والحقد بين بني آدم قديم، وقَبيلُ الملك مباين لمثله، فطويت الجوانح منه على سل، وحنيت الضُّلوع على بَثٍّ وأغمضت الجفون على قَذَى، إلى أن كان من نكبته ما هو معروف[5]. وبعد خروجه من السجن آثر التشريق بأهله وجملته، واستقر بتونس خطيب الخلافة، مقيما على رسمه من التجلة، ذائع الفضل هنالك[6].

وهذه النكبة تركة آثارًا في نفس ابن مرزوق وهي الدافع الأول للكتابة، حيث كان يمر بظروف عصيبة من حياته عند تأليفه لكتاب المناقب، إذ إنه لا يتوقف في مختلف فصول الكتاب

1 – نوال بلمدني، المرجع السابق، ص: 91.
2 – ابن مرزوق، المناقب، ص: 140.
3 – المصدر نفسه، ص:140.
4 – ابن الخطيب، الإحاطة، ج3، ص:86.
5 – المصدر نفسه، ص ص:86، 87.
6 – نفسه، ج 3، ص: 87.

عن التعبير عن ضيقه ومعاناته، ودعوة مولاه لإسدال رحمته عليه، وتخليصه من محنته وكشف كربته[1] منها مثلا "وأنا في حالة لا يعلمها إلا من قضاها، ولا يكشفها إلاّ خالق الخليقة ومولاها، وهو علي كل شيء قدير، لا إلـــه إلا هو ولا معبود سواه"[2].

وفي موضع آخر يقول:" ومن الله أسل بنور وجهه الكريم، وحرمة مولانا محمد صلى الله عليه وسلم، الرؤوف الرحيم، ذي الخلق العظيم، أن يمنّ عليّ ...ويخلصني من الامتحان وتقلبات الزمان"[3].

ويشتد في الدعاء وطرق باب الرحمن في قوله:" اللهم إني رفعت أمري إليك، وعولت في إصلاح حالي عليك، يا من لا يعجزه شيء ... ويا ناصر من لا ناصر له، ويا راحم من لا راحم له، يا ذا الجلال والإكرام، يا الله ، يا الله ، يا الله وصلي الله على سيدنا محمد"[4].

4- منهجية الكتابة التاريخية عند ابن مرزوق:

عن المنهج الذي سار عليه في تدوينه فيحدده قائلا:" ورأيت، بحول الله أن أصل بذكر الجدِّ، رحمه الله ومن عاصره وعاشره من صلحاء وقته، وعلما زمانه، على سبيل الاختصار، وكذلك لمولاي الوالد رحمه الله، ذكرا جملياً.

بذلك يكون تأليفه يدور حول ترجمة جده ووالده فهما الهدف الأساس من الكتاب، لذلك نجده يطنب في ترجمتها إطنابا، أما ما يورد من تراجم تخص معاصريهما أو شيوخهما، فقد ذكر "ذكرا جمليا"، أي باعتبارهما مجرد "ذيل" و"تكملة"أو "صلة"وصل بها موضوع تأليفه الأساسي إلاّ

1 - ابن مرزوق، المناقب، ص:120.
2 - المصدر نفسه ، ص:143.
3 - نفسه، ص:142.
4 - نفسه، ص:221.

أن "المناقب المرزوقية" سرعان ما تحول إلى كتاب تراجم، حينما يبدأ مؤلِفها في إيراد أسماء وتراجم شيوخ والده وجديه[1].

ما يميز كتاب المناقب هو بساطة الأسلوب الخالي من تعقيدات المحسنات ومن التكلف اللغوي والبديعي[2] وجاءت لغته نثرية مرسلة مبسطة، ولا غرابة في ذلك فموضوع الكتاب يدخل ضمن الأدب المناقبي وهو أدب يتوخي أسلوب البساطة عموما[3].

5ــ مصادر كتاب المناقب المرزوقية: إن ما يلفت الانتباه إلي مصدر المادة التاريخية التي اعتمدها؛ أنها في أغلبها رواية شفوية إذ لم يتسن لابن مرزوق الاعتماد علي المصادر الكتابية في تأليفه هذا باستثناء كتاب الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي الذي أشار إليه في ثلاث مرات[4]، فأغلب ما دونه هو رواية لأحداث عايشها أو سمعها أو شارك فيها مشاركة مباشرة ولعل هذا ما يبرر توظيفه لضمير المتكلم (أخبرني، حدثني، قال لي، اجتمعت به، شاهدت عاينت...)[5]، ونورد منها مثلا أقواله: " أخبرني شيخنا، أبو العباس ابن القطان، وعمي رحمه الله."[6]

– "أخبرني شيخنا ابن القطان والشيخ المؤرخ الثقة أبو محمد الشريشي والشيخ المعظم أبو محمد عبد الله بن عثمان بن يغمراسن بن زيان..."[7]

1 – ابن مرزوق، المناقب، ص:97.

2 – عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق، ج: 2. ص: 468.

3 – سلوي الزاهري،"المناقب المرزوقية لابن مرزوق التلمساني"، مجلة: عصور الجديدة، الجزائر، جامعة وهران، ع 6ــ7، 2005م ــ1426م، ص: 149.

4 – سلوى الزاهري، المرجع نفسه، ص: 149.

5 – المصدر نفسه ، ص: 149.

6 – ابن مرزوق، المناقب، ، ص:150.

7 – المصدر نفسه، ص:153.

- "أدركت الشيخ الصالح، أبا الحسن علي بن ميمون، وكان شيخا كبيرًا قد عمّر وسمعته يحدث ويقول..."[1]

- "... حدثني، رضي الله قال..."[2]

- "وكنت مرة بمكة أقرأ للناس كتاب البخاري.[3]

6-مضمون الكتاب :

يحتوي الكتاب سيرة سلف بن مرزوق من نسب أسرتهم وأجداده أعمامه وسيرته الذاتية أي إلى غاية بداية سنة 763هـ، وهي الفترة التي كان فيها بسجن فاس، ويتضمن الكتاب تراجم لشيوخ جديه ووالده ويقتصر علي المهم من الأخبار.

والعمل هذا لم يكن مبوب وإنما كتب علي عجل وهو في السجن[4]، ما عدا المقدمة والفصل الأول جاءَا معنونين؛ إذ يتحدث الفصل الأول عن النسبة والقبيل الذي يرجع إليه، ولم يعنون حتى الباب الذي خصصه لوالده أبي العباس أحمد بن مرزوق وهو أطول باب في الكتاب، وقد اختلف طول الفصول، فهناك ما لم يتجاوز الفقرة الواحدة، وعلى سبيل المثال: فصل لباس جده لأبيه وأيضا فصل صفته[5]، وفصل قوته وطعامه ضمن باب والده[6] وآخر في مركبه[7]وفصل في صفته[8]

1 - ابن مرزوق، المناقب، ص:165.
2 - المصدر نفسه ، ص:230.
3 - نفسه ، ص:233.
4 - نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص: 65.
5 - ابن مرزوق، المناقب، ص ص:158، 159.
6 - المصدر نفسه، ص:159.
7 - نفسه، ص:222.
8 - نفسه، ص:280.

وهناك من الفصول ما زاد عن عشر صفحات كفصل مشايخة وأصحاب جده لأبيه[1]

وفصل مشايخ أبيه ، وآخر في سيرته بطول النهار[2].

اعتمادا على ترتيب المحققة يمكن تقسيم الكتاب إلى أربعة أبواب رئيسية، تندرج تحتها فصول متعددة، وهذه الأبواب هي:

الباب الأول: في نسبة القبيلة التي يرجع إليها في فصلين.

الباب الثاني: يتضمن حياة جده لأبيه محمد بن مرزوق المتوفي 681هـ في عشرين فصل متفاوتة الطول.

الباب الثالث: عن أبيه أحمد المتوفى سنة 741هـ/ 1340م، وهو أكبر أبواب الكتاب وأطولها من الناحية التاريخية، ويضم ثمانية عشر فصلا.

الباب الرابع: خصصه للحديث عن جده لأُمه إبراهيم بن يخلف التنسي، المتوفي سنة 680هـ/ 1281م في اثني عشر فصلا[3].

أما الخاتمة فخصصها لترجمته الذاتية من مولده إلى غاية 763ه/1361م تاريخ رحلته واستطانه، وبعض ممن لقيه من الأولياء، ووردت هذه الخاتمة محتوية على معلومات كثيرة عن حياته[4].

ولم ينحصر مضمون مجموع الجد الخطيب في التعريف بآل مرزوق فحسب بل امتد إلى عكس صورة المجتمع المغربي ككل، ذلك أن المؤلف يمزج بصفة تكاد تكون تلقائية بين الأحداث العامة والترجمة الشخصية، مقحما ضمنها طبيعة الثقافة، والعادات التي كانت سائدة، قبل وخلال

1 – ابن مرزوق، المناقب، ص ص: 170 –188.

2 – المصدر نفسه، ص ص: 212 –221.

3 – نوال بلمدني، المرجع السابق، ص: 92.

4 – محمد بوشقيف ، المرجع السابق ، ص:225.

العصر الذي عاش فيه، فإذا ما حولنا الوقوف عند الملامح الكبرى لهذا المجموع وجدناه ينفتح على آفاق رحبة وعميقة، فهو في سياق التعريف بسلف ابن مرزوق يعكس كذلك البعد السياسي والثقافي والاجتماعي وكذلك الديني لبلاد المغرب[1].

7- دراسة نقدية لكتاب المناقب المرزوقية:

أثرى كتاب المناقب المكتبة الإسلامية بمادة علمية لتاريخ المغرب الإسلامي عامة والأوسط خاصة، حيث أورد معلومات عن أوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذالك المنشآت المعمارية بتلمسان وغيرها من حواضر المغرب والمشرق الإسلامي خلال القرنين(8-9هـ/ 14-15م)[2].

ولعل قيمة المعطيات الجديدة التي يقدمها عن تاريخ الغرب الإسلامي نابعة من المصادر التي اعتمدها وهي مصادر شفهية بالدرجة الأولى؛ فإذا كان قد اعتمد على ما يربو عن خمسين مصدرًا كتابيا في مسنده الصحيح، فإن أغلب ما دونه في المناقب المرزوقية هو رواية لأحداث عايشها بنفسه أو استقاها مما كان يدور على ألسنة معاصريه، مما كان يحكيه بعض شيوخه وأقاربه[3].

وتكمن أهمية هذا التأليف أولا في كونه يقدم ترجمة ذاتية لمؤلفه ولأجداده، ولعلها أوثق ما نتوفر عليه، وأصحها وأصدقها[4].

ثانيا: يضم إشارات تاريخية ذات قيمة كبيرة لما تضمنه من معلومات جديدة عن العلاقات دول المغرب.

1 - سلوى الزاهري، المرجع السابق ، ص:152.
2 - محمد بوشقيف، المرجع السابق ، ص:225.
3 - سلوى الزاهري، المرجع نفسه ، ص:152.
4 - المرجع نفسه، ص:153.

ثالثا: يقدم المخطوط لوحات رائعة عن الأنشطة الدينية والثقافية لفقهاء تلمسان وفاس، ويطلعنا على انتشار الفكر الصوفي عبر تعدد رجالته، ومختلف الأدوار التي انيطت بهم داخل مجتمعاهم وعلاقتهم داخل السلطة المركزية[1].

رابعا: يعد الكتاب وثيقة حية من الناحية الاجتماعية ترصد لنا من الداخل ما كان يعتمل داخل مجتمعات الغرب الإسلامي من صراعات ومكان يسوده من قيم دينية أخلاقهم، وما تعرض له من محن، وما كان سائدًا علي مستوي أنماط الغذاء والأطعمة، وأشكال اللباس، كما يقدم شهادة عن تدهور الأوضاع الأمنية بالمغرب الأوسط ، وانعكاس ذلك على الحياة العامة لسكان[2].

لكن هناك ما يثير انشغال في هذا الكتاب وهو ما وقفت عليه محققة المناقب المرزوقية في مصادر ابن مرزوق؛ بخصوص تراجم علماء وصلحاء متقدمين عليه زمنيا لم يزامنهم، وبتالي لم يسمع منهم وخاصة أولئك الذين كانوا شيوخ لجده ولأبيه، ثم تطرح إشكالا تبقيه مفتوح خوف المجازفة بتقديم إجابة عنه.

من أين استقى أخبارهم وحصل على عناصر حياهم؟

و نظرًا لتطابق معلوماته عنهم وما أورده يحي بن خلدون في كتابه بغية الرواد حتى في الصياغة والأسلوب يزيد من الغموض؛ فمن من الكاتبين يمكن اعتباره أصل الآخر؟

أم أنهما ينقلان عن مصدر ثالث مجهول لدينا ؟

1 – سلوى الزاهري، المرجع السابق، ص:153.

2 – المرجع نفسه، ص:154.

وإن كان الأمر كذلك، فهل وقفا علي كتابي ابن الأصفر وابن هدية؛ وعنوان كليهما "تلمسان"؟ أوعلى زهر البستان؟[1]

8_المغرب الأوسط من خلال كتاب المناقب المرزوقية :

يزودنا كتاب المناقب بقيمة تاريخية هامة ومادة علمية جديدة عن التاريخ الاجتماعي والعادات اليومية من مأكل ومشرب وملبس إذ يمكننا من تصور الحياة التي عاشها أهل المغرب خلال عصر المؤلف ، وسنحاول استخراج بعض النصوص الواردة في الكتاب والتي تمدنا بصورة عن الحياة في المغرب الأوسط.

أ- الجانب السياسي: يشير ابن مرزوق من خلال مصدره لحالة التفكك السياسي التي عرفها المغرب الأوسط[2]، منها "حصار تلمسان الطويل الذي بلغ مقدار تسع سنين".[3]

وصفه المؤرخون بأنه أشد حصار إذ تضاعف بتلمسان الجهد، ونفذت الأقوات، وانتهت قلوب المحصورين إلى الحناجر[4].

ويشير إلى تدهور الأوضاع الأمنية منها مثلا تلمسان أيام زحف جيش الأمير يوسف بن تاشفين على تلمسان سنة 468هـ، إذ كان أمير تلمسان العباس بن يحي المغراوي أمير زناتة إذ يقول:" وكان ورودهم علي تلمسان أيام حصران لمتونة لها ... وبنوا بها حين بني الناس بالبلد العليا محاصرين لتلمسان القدمي"[5].

1 - سلوى الزاهري، المرجع السابق، ص ص: 149، 150.
2 - نوال بلمدني، المرجع السابق، ص:95.
3 - ابن مرزوق، المناقب، ص:194.
4 - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص:210.
5 - ابن مرزوق، المناقب، ص ص:146، 147.

وهذا ما يورده ابن عذارى في ذكره فتح مدينة تلمسان حيث يقول أنها فتحت في مهلة وحال هدنة[1].

ب ــ الجانب الاجتماعي: النصوص التي تخص هذا الجانب جاءت تحاكي عدة تفاصيل من الحياة الاجتماعية في تواضع أهلها وتكافلهم الاجتماعي، إلى لباس، وأعمال يومية وعلى العموم سندرج نماذج منها:

-من صور تصرفات الرجل المغربي في بيته:

1:ومن نماذج ما قدمه ابن مرزوق في كتابه ما ذكره عن جده لأبيه يقول:" كان رحمه الله حسن الخلق، لين الجانب، يبسط أهل مترله ويؤنسهم ويسألهم عن أحوالهم، ويوسع عليهم في نفقاتهم"[2].

2: فيما يخص اللباس: يقول: " كان رضي الله عنه والده وأولاده يتجملون ويلبسون أحسن الثياب في أيام المصيف البياض، والملاحف التونسية والأحارم"[3].

3: من النشاط الحرفي الذي يكسبون به رزقهم، كان منهم التاجر والمصحفي والناسخ والحائك...، من نصوصه الواردة في هذا المجال يقول:"... كان مصحفيا، يكتب المصاحف، التي كان الناس يتنافسون فيها على طريقة أهل الأندلس."[4]

ويقول أيضا:"... وكان مع ذلك تاجرًا... له في حداثته حانوت، ينسخ فيها القرآن ويبيع السلع[5].

1 – ابن عذاري المراكشي ، المصدر السابق، ج4، ص:29.

2 – ابن مرزوق، المناقب، المصدر السابق، ص: 156.

3 – المصدر نفسه، ص: 158.

4 – نفسه، ص:148.

5 – نفسه، ص:148.

-من نماذج الحياة الأسرية:

1ــ في التماسك والترابط: يقول: " ونشأ في خير وعبادة وكان وسيما يضرب به المثل... وكيف كانت زوجته ملازمة للعبادة مع زوجها...مقتصرة على ما يقتصر عليه من القوت، متورعة عن أكل طعام أبيها مباعدة لأهلها"[1].

2- في مستوي القوت اليومي وتواد الناس بتلمسان:

إذ يقول:"... يتودد -والد بن مرزوق- لكل من يدخل إليه لزيارته بما تيسر من الطعام، حتى أني يدركني الخجل أحيانا من يسارة ما يقدمه، أو قلة اعتباره فكان يقول لي: يا بني! التكلف يؤدي إلى البخل[2].

3- في زينة المرأة :

تضمن الكتاب أيضا نصوصا من العادات والتقاليد الخاصة بزينة المرأة؛ يقول: "... قالت وكنت خضبت يدي ورجلي بالحناء المنقوشة"[3].

-من الكوارث التي عصفت بالمجتمع:

يرد في الكتاب صورا من فترات المحن والمجاعات إذ يقدم لنا واحدا ممن راحوا ضحية الطاعون الذي ضرب بالمدينة، وهو خال ابن مرزوق الفقيه العدل أبا عبد الله كان خيارًا... ثقة ، عدلا توفى في الطاعون[4].

1 - ابن مرزوق، المناقب، ص:150.

2 - المصدر نفسه، ص:225.

3 - نفسه، ص:166.

4 - نفسه، ص :292.

ج ــ الجانب الاقتصادي:

1 -الانتاج الداخلي: يرد في الكتاب صورا عن التاريخ الاقتصادي من خلال الإنتاج الداخلي وكذا التجارة وتبادلاتها، فمن المنتوج الداخلي يأتي على ذكر المزارع والجنان والفواكه التي تنوع ذكرها من إجاص[1] ورمان وسفرجل[2]...

ومن نصوصه في هذا الباب عن والده يقول:"كان لا يأكل عند أحد إلا عرف مكسبه من تجارة أو فلاحة، فكان زرعه من فدانه الذي ورثه عن أبيه... والسمن الذي يأكله من بقرات عنده"[3].

2 ــ الصناعة بتلمسان: يثني ابن مرزوق علي براعة أهل تلمسان في مجال الصناعة فيقول: "...وملوك إفريقية والمغرب إنما يلبسون حينئذ ما كان يعمل بتلمسان من رفيع الصوف، فإنها اختصت بذلك"[4].

3 ــ التبادل التجاري: من صور التبادل التجاري يورد نص جاء فيه"...قافلة وردت تلمسان من تونس، وكانوا يجلبون ثياب الكتان، ويحملون ثياب الصوف، فباعوا واشتروا..."[5]

د ــ الجانب الثقافي: من النصوص المصورة للحياة الثقافية.

1- نموذج الرحلة العلمية: إذ جاء في كتابه عن رحلته العلمية التي بدأت من بجاية أولا يقول:"... وكانت الرحلة الأولي سنة أربع وعشرين في شهر ربيع الأول في ركب... ودخلنا بجاية المحروسة، فلقينا بها من الأولياء خلائق، أبا علي ناصر الدين، وقرأت عليه[6].

1 - ابن مرزوق، المناقب، ص: 163.
2 - المصدر نفسه، ص: 164.
3 - نفسه، ص:122.
4 - نفسه، ص: 149.
5 - نفسه، ص:190.
6 - نفسه، ص:301.

2- تشجيع السلاطين للعلم والعلماء: كما نجد في كتاب ابن مرزوق ما يدل على تشجيع وتنافس السلاطين علي العلم والعلماء يقول:" و لم يزل السلطان أبو يحي يغمراسن ابن زيان، يحظه للورود على حضرة تلمسان، وهو يمتنع إلا أنه كان يرد زائرا، ويقيم الأشهر يدرس فيها، ثم ينصرف إلى تونس. وهذا فيما يخص جده لأمه إبراهيم بن يخلف التنسي[1]، ...وما لبث أن وصل الخبر إلى السلطان فجاء إليه... وقل له... جئتك راغبا منك أن تقيم ببلدنا، لتُحْي بها العلم... فأقام مستوطنا بتلمسان[2].

ه ــ الجانب المعماري:تضمن الكتاب بعض المعطيات حول أسماء منشآت عمرانية لبلاد المغرب الأوسط، كالأبواب (باب الجياد، وباب الدرب، باب العتبة)، الحارات والدروب (حارة الرماة، درب ملالة ، درب شاكر)[3].

يقول في نص له: "...فكانت له تربيعات بموضع من درب شاكر، وكان أكثر هذا الدرب له ولعماله ولخدامه، وكان له داخل الدرب، درب يختص به، فيه دوره ودور بنيه والدور التي عين لأبنائه ..."[4]

ويقول في نص آخر: "وقبره بالمقبرة المعروفة بمسند صالح، تحتي الباب المعروف بباب زيري، عن يمين المار بتلمسان القدمي"[5].

وــ الجانب الديني: كل ما أوده ابن مرزوق في كتابه يخص الجانب الدين وهو أهم ما ركز عليه إذ يذكر جده ومعاصريه من الفقهاء والكثير من الكرامات ومنها كرامة جده لأبيه والتي من خلالها اشْتُهرَ وعرف بين العامة والسلاطين [6].

1 – ابن مرزوق، المناقب، ص:274.
2 – نفسه، ص:275.
3 – نوال بلمدني، المرجع السابق، ص:95.
4 – ابن مرزوق، المناقب، ص:189.
5 – المصدر نفسه، ص:148.
6 – نفسه ، ص:151.

وأخيرًا من خلال هذه القراءة لكتاب المناقب المرزوقية تتجلى لنا أهمية هذا الكتاب في معرفة جوانب عديدة من الحياة في المغرب الأوسط، وإبداع أضيف لتراثنا التاريخي بأسلوب بارع إن دل فإنما يدل على حراك ونشاط تاريخي علمي بارع إذ خاض مؤلفه عدة تجارب مختلفة الأنماط..

ثانيا:"كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسي الثاني

(723–791هـ/1323–1389م)"

- نبذة عن حياة أبي حمو موسى الثاني :

1ــ **نسبه:** رزق الله عز وجل المغرب الأوسط شخصية مهمة في منتصف القرن الثامن الهجري، فاحتل مكانة خاصة في تاريخ دولة بني زيان، لأنه أول من تولي السلطة في الدولة الزيانية بعد فترة سيطرة المرينيين و لم تخرج السلطة من بيته بعده حتى انقضاء الدولة الزيانية[1]، فكان خطرها كبير في السياسة والنهضة في العلوم والأدب وتتجلى في:

موسي بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحي بن يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن يندوتسن بن طاع الله بن علي بن يمل بن يزجن بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم[2]، المعروف بأبي حمو موسى الثاني الزياني[3] ،ويقال له أبي حميم[4] .

مُحيي دولة بني زيان ومؤسس الفرع الثاني الذي استمر في الحكم زهاء القرنين من الزمن من (760هـ/1358م إلى غاية 962هـ/ 1554م)[5] .

1 – وداد القاضي، "النظرية السياسية لسلطان أبي حمو موسى الزياني الثاني ومكانها بين النظريات السياسية المعاصرة لها"، مجلة مآثر تلمسان ماضيا وحاضرا ،المرجع السابق، ص: 8.

2 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص:15.

3 – خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ج7، ص: 321.

4 – البغدادي، المصدر السابق، ص: 480.

5 – عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ص: 105.

يتصل نسبه بيغمراسن بن زيان مؤسس الفرع الأول (633هـ-681هـ)، حيث أن هذا الأخير عقد ولاية العهد لابنه يحي[1] الجد الأول الأبي حمو بقوله إذ ما رآه:" بعقب ولد هذا تحي دولة بني عبد الواد وفيهم يبقي ملكنا إلى آخر الدهر"[2] ،لكنه لم يعش طويلا وتوفى في حياة أبيه بتلمسان سنة 660هـ/1261م،فعادت ولاية العهد بعده إلى أبي سعيد عثمان الأول(681ـ703هـ) فأبقاها في أسرته[3] .

أما عبد الرحمن بن أبي يحي بن يغمراسن جد أبو حمو ابن يحي ابن يغمراسن فنفي إلى الأندلس سنة 694هـ/1294م[4] ،وبقي بغرناطة يحارب النصاري إلى أن توفي سنة 756هـ/1355م، تاركا أولادا أكبرهم المولي أبو يعقوب وأخويه أبو سعيد وأبو ثابت [5] ،الذين عادوا إلى تلمسان في نفس السنة التي ولد فيها أبو حمو سنة723هـ/1323م[6] ،بدعوة من أبا تاشفين فوفدوا عليه، فرحب وسهل، وأعز وأكبر، وأعظم الجرايات[7] .

2ـ **نشأته:** هكذا كان مولد أبو حمو بمدينة غرناطة بالأندلس عاصمة بني الأحمر في سنة 723هـ/ 1323م، وبعدها اصطحبه أبوه إلى تلمسان فنشأ بها[8] ، وتلقى العلم وشغف بالأدب

1 – **يحي بن يغمراسن:** هو بن زيان بن زيان العبد الوادي(639ـ 660هـ/1241 ـ1292م)، مولده بتلمسان كان ولي عهد أبيه فمات في حياته فلم ينل الملك، ولي إمارة سجلماسة وهو فتي يتدرب علي الحكم، فأقام بها سبع سنين وكان فيه فضل وإقدام، ينظر: عادل نويهض، المرجع السابق، ص: 228.

2 – التنسي، المصدر السابق، ص:160.

3 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص: 15.

4 – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص: 70.

5 – يحي بن خلدون، المصدر انفسه، ج2، ص:16.

6 – توات الطاهر، شخصيات تلمسان ومظاهر من الثقافة الإسلامية، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2011، ص: 64.

7 – يحي بن خلدون، المصدر نفسه، ج2، ص:17.

8 – ابن الأحمر، روضة النسرين، ص: 55.

وفروعه وأحب الشعر، فنال من العلم حضًا وافرا من تحصيل اللغة العربية والعلوم الدينية[1] ،إلا أنه لم نجد في المصادر أي إشارات حول أسماء من تتلمذ عليهم من العلماء[2].

عاش في دائرة ساد فيها الصراع بين القوي السياسة القائمة آنذاك[3] ،فعرف آلام الاغتراب سنة 737هـ/ 1336م، بفاس صحبة أبيه وقضي قسطا وافرا هناك[4] .

وفي سنة 750هـ/1349م،استقر رفقة والده بندرومة، فولد له بها سنة 752هـ/1351م، أبا تاشفين وهو أكبر أبنائه[5].

وبعد فترة رحل من ندرومة إلى تونس بعيدا عن الأنظار، وكان يجتمع بالوافدين من قومه، متطلعا إلى أخبار مدينة تلمسان وأهلها وأوضاعهم في ظل الحكم المريني وخاصة أن حلم استعادة العرش بدأ يراوده[6] .

كما أنه لا يستبعد عودته مرة ثانية إلى بلاط غرناطة في مرحلة الصبى لتلقي تربية البلاط بها وهي في أوج عظمتها وازدهارها وما تشتمل عليه من أبهي للاستفادة منها لاحقا ببلاطه الخاص في تلمسان[7] .

1 – الزركلي، المرجع السابق،ج7، ص:321.

2 – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص: 72.

3 – محمد الأمين بلغيث، دراسة في تاريخ الغرب الإسلامي، الجزائر، دار التنوير، ط1، 2011، ص:189.

4 – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص: 72.

5 – المرجع نفسه، ص:73.

6 – أحمد موساوي، "الأمير الأمازيغي أبو حمو موسي الثاني رحلة سلطان ورحلة الشعر،"مجلة الأثر، الجزائر،جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2008،ع:07، ص: 87.

7 – شارل بروسلار، شواهد وقبور سلاطين وأمراء بني زيان الملتقطة في روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان، تر وتع: شرقي الزرقي، الجزائر، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون، 2011، ص، ص: 73 ــ 74.

3 - **أوصافه:** عرف أبو حمو موسي الثاني بأنه ورث العديد من الصفات والمميزات والسير من آبائه وأجداده من شجاعة وإقدام وحزم وعزم وثبات في الشدائد وعند المصائب والخطوب[1] ،يتمتع بدهاء سياسي كبير حيث كان يعرف كيف يناور ويماطل أعداءه والتملص في المواقف الصعبة بشكل مباشر ومهارة عالية فتمتع بشعبية كبيرة بين أهالي العاصمة الزيانية[2] ،ويرجع هذا إلى اتصاله برعيته إذ كان يستمع بنفسه إلي تظلماتهم ومشاكلهم، فتولى مهمة القاضي العادل في حل الخصومات والخلافات العالقة بين الأفراد والجماعات، فلم يكن سلطانا عاديا[3].

4- حياته السياسية:

أ - **حركة أبي حمو موسى الثاني لاسترجاع تلمسان عاصمة دولة بني زيان:** بقيت تلمسان وبلاد المغرب الأوسط تابعة لسلطة بني مرين مدة سبع سنوات إلى أن انتزعها منهم وتجدد ملك أجداده سنة 760هـ/ 1359م[4] ،واستمر فيه مدة ثلاثين سنة، واعتمد في استرجاع الملك على خلفاء أقوياء[5] من الحفصين وسلطانهم أبي إسحاق إبراهيم بن أبي يحي الحفصي، وبمساعدة عرب بني عامر الراغبين بالثأر من المرينين[6] .

لم تكن عملية استعادة الملك أمرًا سهلا بل ذاق فيه أبو حمو ويلات كثيرة ومصائب شديدة[7]، فكانت انطلاقته سنة 759هـ/ 1358م نحو تلمسان مواجها المرينين في كل منطقة يمر بها بالمغرب الأوسط،[8] حتى وصل تلمسان وافتتحها عنوة في اليوم الرابع من ربيع الأول سنة

1 - توات الطاهر، المرجع السابق، ص: 65.
2 - شارل بروسلار، المرجع السابق، ص:74.
3 - محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص:177.
4 - عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ص: 107.
5 - شارل بروسلار، المرجع نفسه، ص:74.
6 - ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 128.
7 - قريان ، المرجع السابق،ص: 57.
8 - مجهول، زهر البستان، ص: 20.

760هـ/ 1359م ،وبويع بالخلافة من جميع الأمصار التابعة لدولته، ولقي دعم القبائل المجاورة على رأسهم قبيلة المعقل وعرب العامرية[1] .

وبعد أن قضي على النفوذ المريني أعاد تنظيم إدارة الدولة بكفاءات اختارها بفضل تجاربه، واهتم بتدعيم سلطته على أنحاء كامل المغرب الأوسط، إذ امتدت سلطته من تاوريرت غربا إلى الجريد شرقا [2] .

ب - صراعه مع المرينيين: لم يمض على أبو حمو شهر ونصف شهر في سدة الحكم حتى وجد نفسه غير قادر علي فصل دولته من الصراعات السياسية الدائرة في أرجاء المغرب خاصة أن بلاده تتوسط القوي المتنافسة في المغرب آنذاك المرينيين والحفصيين[3] .

فنجد أنه خاض حروبا لا هوادة فيها مع منافسيه من المرينين الذين لم يبقُ مكتوفي الأيدي حيال المستجدات، إذ سرعان ما شنوا حروبهم على السلطان فلم يتركوا له وقتا لاسترجاع الأنفاس ولا لعقد هدنة مؤقتة[4] ،فعرف أبو حمو أربع خرجات عن تلمسان ملتجئا إلى الصحراء لدى قبيلة بني عامر، كانت الأولى سنة760هـ/ 1358م[5]، والثانية سنة 761هـ/1359م، أما الثالثة في شهر محرم من سنة 771هـ/1369م واستمرت إلى غاية سنة 774هـ/1372م، وكانت أشد خرجاته لما عَنَاه من تشرد في البوادي وفقدان الحليف وأشرف على الهلاك[6]، وخرجته الأخيرة كانت من سنة784هـ/1382م إلى سنة 786هـ/ 1384م[7] .

1 – سعيدي عثمان، الجزائر في التاريخ، الجزائر، شركة دار الأمة، د ط، 2013، ص ص: 342 ،344.
2 – عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ص:109.
3 – وداد القاضي، المرجع السابق، ص: 15.
4 – شارل بروسلار، المرجع السابق، ص:76.
5 – ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص:55.
6 – السلاوي، المصدر السابق، مج 2، ص: 137.
7 – ابن خلدون، العبر، ج 7، ص: 147.

ج ــ علاقته مع الحفصين :علاقته مع الحفصين كانت مختلفة على ما كانت عليه مع المرينيين، إذ كان الحفصيون يشتركون معه في عدائه للمرينين بحيث ظهر تعاطفهم معه في وقت مبكر أيام إقامته عندهم، إلى أن الأمور تغيرت بعد اعتلائه العرش بإظهاره الرغبة في توسيع دولته على حساب الدول المجاورة له[1].

د ــ صراعه مع أبو زيان: كان من الممكن أن يظل مجال المواجهة في المغرب الأوسط محدودا، لولا ظهور أبو زيان بن عثمان منافسا على الحكم لأبي حمو بدعم من طرف المرينين، ودام هذا الصراع بينهما مدة عشرين سنة بداية من سنة 761هـ/1359م واستمرت إلى غاية سنة 781هـ/ 1379م بعدها انسحب أو زيان إلى تونس[2] .

هـ ــ علاقته مع القبائل العربية: كانت العلاقة بينه وبين القبائل العربية في المغرب الأوسط بين مد وجزر[3] ،قضي مرحلته الأولى من حروب مع بني عامر، وفي المرحلة الثانية اعتمد على قبائل السويد ،وذلك مع العلم بوجود عداوة بين القبيلتين فيكون هذا سبب في امتداد الصراع[4].

و – صراعه مع ابنه أبي تاشفين ووفاته:على الرغم من تحقيق الأمن والاستقرار لمدة من الزمن،غير أن طموح بكره أبا تاشفين واستعجاله في استخلاف والده قضى على هذا الاستقرار

1 – ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 134.

2 – المرجع نفسه، ص:131.

3 – وداد القاضي، المرجع السابق، ص:20.

4 – توات الطاهر، المرجع السابق، ص: 65.

وجرى الدولة إلى المزالق والأهوال التي لم تعرفها الدولة حتى في ذروة حروبها[1] ،مستعينا في ذلك بالمرينيين أعداء الدولة سنة788هـ/1386م[2] .

فحدث لقاء بينهما في موضع يقال له الغيران يبعد نصف يوم من تلمسان[3] ،وعلى إثره توفى السلطان أبو حمو من طرف محمد بن يوسف بن علال وزير المولى أبي العباس المريني ،وذلك يوم الثلاثاء الرابع لذي الحجة سنة 791هـ/1388م، عن عمر يناهز 68سنة، وبعث برأسه إلى السلطان المريني[4] .

بذلك تحولت دولة بني زيان إلى ولاية من ولايات المرينين، يخطب لهم على المنابر وتبعث لهم الضرائب كل سنة، فصار سلطانها أبو تاشفين عاملا لدى بني مرين[5] .

5- إنجازاته العلمية:

لقد برز الجانب الثقافي في عهد الدولة الزيانية بروزا واضحا من خلال الحركة الفكرية والعلمية التي عرفتها هذه الدولة وخاصة بعد إحياء الدولة في عهد أبي حمو الزياني الذي اهتم بهذا الجانب، رغم اشتغاله بالأوضاع السياسية التي عرفها عهده ويظهر ذلك من خلال ما قام به من أعمال وإنجازات، التي جذبت رجال الفكر والعلم والثقافة إلى حاضرة تلمسان، ومن هذه الإنجازات ما يلي:

1 - شارل بروسلار، المرجع السابق، ص:88.

2 - المزاري الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود- في أخبار وهران والجزائر وإسبان وفرنسا إلي أواخر القرن التاسع عشر-، تح ودرا: يحي بوعزيز، بيروت، دار الغرب الإسلامي، دط، 1990، ج1، ص:182.

3 - السليماني أبو عبد الله الأعرج،تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الامير عبد القادر-عن كتاب الشماريخ-،تح:حساني المختار،الجزائر،المكتبة الوطنية الجزائرية،دط، د ت،ج2و3، ص:167.

4 - ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، ص:56.

5 - عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بن عبد الواد، ص: 111.

أ – شخصيته إذ كان جوادا فاضلا يحب الفنون والأدب ويهتم بالقائمين عليها[1] ، وذلك دفعه إلى إقامة دولة فكرية وإعزاز جوانبها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وباعتباره من العلماء العقلين[2] ، كان اعتنائه بالعلم وأهله أشد وأقوى من ذي قبل فقام بالإلمام بالعلوم والمساهمة في النشاط الأدبي ونظم الشعر، فحضي العلماء والطلبة بعطفه وتشجيعه ونال الكتاب والشعراء من عطائه وكرمه [3] .

ب – أعماله في المجال العمراني الذي يدعم الجانب الثقافي إذ يعتبر الرقي الحضاري عنصرا مهما لتوسع وتطور المجال الفكري، فسعى إلى تشيد مجتمع ديني ثقافي منذ اعتلائه العرش، فعمد إلى بناء مختلف المؤسسات التعليمية والفكرية، كبنائه لمسجد سيدي إبراهيم المصمودي[4] .

جـــ – وبنائه لروضة الملكية دفن فيها أبيه وأمر بنقل جثمان عمه أبي سعيد وأبي ثابت من مدفنهما بالعباد إلى جوار أخيهما بالروضة قرب باب إيلان[5]، ومن حينها شرع في بناء

زاوية ومدرسة على قبورهم وهي المدرسة اليعقوبية نسبة لأبيه كما سبق التعريف بها [6] .

د – ميز أبو حمو ولعه بجمع الكتب، فأسس لذلك مكتبة في سنوات ملكه الأولي[7]، إذ أن تزويد تلمسان بهذه الخزانة المرموقة وقع في ظرف سياسي متميز عقب الفترة المرينية الثانية[8]، وأودع فيها نفائس المخطوطات والكتب العلمية القيمة[9].

1 – بوخالفة العربي، المرجع السابق، ص: 244.

2 – قريان ، المرجع السابق، ص:58.

3 – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص:159.

4 – براهامي نصر الدين وسيدي محمد النقادي، تلمسان الذاكرة، الجزائر، منشورات ثالة، ط2، 2010، ص:68.

5 – يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج:2، ص:100.

6 – المصدر نفسه، ص:100.

7 – فلاق محمد ،المرجع السابق، ص:66.

8 – الجيلالي صاري، تلمسان الزيانية – إرهاصات ظهور الدولة الجزائرية في العصر الحديث–، تر: مسعود حاج مسعود، الجزائر، دار القصبة للنشر، 2011، ص: 68.

9 – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص:183.

هـ ـ كما كان يحتفل بليلة مولد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- غاية الاحتفال، بطريقة انفرد بها عن سلفه من سلاطين آل زيان والدول المجاورة له[1] ،ومن جملة احتفالاته ما وصفه صاحب الدر والعقيان[2]،وخلال الاحتفال ينظّم السلطان قصيدة في مدح النبي- صلى الله عليه وسلم- وهي أول ما ينشد في الحفل، ثم تنشد بعدها ما رفع إلى مقامه في تلك الليلة من قصائد[3]، ويستغل المناسبة لعرض مقتنياته منها مثلا المنجنة[4]الشهيرة وهي ساعة ذكية استحدثها الساعاتي عالم الرياضيات التلمساني ابن الفحام[5]،وتعتبر ساعة عجيبة مصنوعة بطريقة أنيقة[6].

ولقد مكن اهتمامه بالثقافة من ظهور شخصيات تلمسانية لمعت في سماء المغرب مثل الشريف التلمساني وسعيد العقباني[7] وابنه قاسم[8] وبن مرزوق الخطيب

---

1 - براهامي نصر الدين، المرجع السابق، ص 68.

2 - التنسي، المصدر السابق، ص:162.

3 - شاوش، المرجع السابق، ص:497.

4 - **المنجانة:** أو المنقانة أو المنكنة معناها الساعة ،وأصل الكلمة بنكان وهي فارسية معناها آلة القدامى كانوا يقيسون بها الزمن ،وما زال أهل تلمسان يسون ساعة الحائط الكبيرة مكانة، ينظر:التنسي، المصدر نفسه، ص:162.

5 - ابن الفحام: هو أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الفحام العالم الرياضي أعلم أهل زمانه بفنون التعاليم،ظهر على يديه من الأعمال الهندسية المنجانة المشهورة بالمغرب فأثار بها إعجاب الملوك، تتلمذ على يد يحي بن خلدون، ينظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص: 119.

6 - عبد العزيز فراح، تلمسان المحراب، تر : إنعام بيوض وآخرون، الجزائر، منشورات أيبك، ط1، 2011 ،ص: 280.

7 - **سعيد العقباني:** هو أبو عثمان سعيد بن محمد بن محمد العقباني التجيني التلمساني، ولد بتلمسان سنة 720هـ/1320م، إمام عارف فاضل فقيه،متفنن في العلوم،سمع من ابني الإمام ،وأخذ الأصول عن الآبلي وآخرون،وله في ولاية القضاء ما يزيد عن أربعين سنة، من مؤلفاته: العقيدة البرهانية، الفرائض علي مذهب مالك ،توفي سنة811هـ/1408، ينظر ابن فرحون، المصدر السابق،ص:204، عبد الحق حميش، وبن ساعد محفوظ بوكراع، موسوعة تراجم علماء الجزائر-علماء تلمسان و توات-، الجزائر، دار زمورة ،2011، ص ص: 239، 242.

8 - **قاسم العقباني:** هو قاسم بن سعيد بن محمد العقباني المفتي العلامة الحافظ العارف المجتهد،أخذ عن والده وحصل العلوم حتى وصل درجة الاجتهاد، رحل إلى الحجاز في سن الثلاثين سنة، حضر بمصر إملاء ابن حجر وأجازه، عكف على تعليم العلوم، أخذ عنه ابن مرزوق الكفيف،وأبو العباس الونشريسي وآخرون، توفي سنة 854هـ/1450م، ينظر: القلصادي،المصدر السابق، ص:106، السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الضوء اللامع الأهل القرن التاسع، بيروت، دار الجيل، ط1، 1412هـ ـ 1992م، ج6، ص:181.

والحفيد[1] وعمران موسي المشدالي البجائي نزيل تلمسان ومنصور بن علي الزواوي، وقد أقبل على هؤلاء طلبة العلم من كل جهات العالم الإسلامي[2].

واعتناؤه بالعلم وصل إلى حد انتدابه للمؤرخ ابن خلدون ليكون من كبار دولته والمقدم في أهل العلم والرأي والمشورة إلا أنه اعتذر إلى السلطان ورفض دعوته، ولما ألح عليه أرسل عبد الرحمن إليه أخاه يحي ليكون في ديوانه، لكن أبو حمو لم يكتف بهذا فقط بل حرص على إدامة التواصل والاستعانة به ولو بالمراسلة[3].

وهكذ كانت تلمسان في عهد أبي حمو الثاني بفضل المقومات الحضارية والعمرانية والعناية بالعلم وأهله ومؤسساته مركزا ثقافيا هامًا، وبلد إشعاع علمي يضاهي أهم مراكز المغرب الثقافية، فلا شك أن هذا أرقى ما وصل إليه العلماء الزيانيون، مما أدى إلى تكوين كبار العلماء، وإنتاج مؤلفات عديدة يحق للمغرب أن تفتخر بها[4].

1 – **ابن مرزوق الحفيد:** هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن مرزوق أبو عبد الله العجيسي التلمساني المالكي، المعروف بالحفيد ابن مرزوق، ولد سنة 766هـ/1364م، رحل إلى الحجاز والمشرق ورجع سنة تسعين، كان عالما بالفقه والأصول والحديث والأدب له كتب وشروح كثيرة منها المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال واستخراج الخبايا الخزرجية وأنوار الداري في مكررات البخاري،توفي سنة842هـ/1438م ودفن بتلمسان، ينظر: السخاوي، المصدر نفسه، ج7، ص:50، الشوكاني محمد بن علي ،البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د ط، د ت ،ج2، ص: 119، الزركلي، المرجع السابق،ج5، ص:331.

2 – محمد الطمار، المرجع السابق، ص: 206.

3 – محمد فلاق، المرجع السابق، ص:66.

4 – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص ص:160، 161.

- **دراسة كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك.**

أ ــ موضوع الكتاب: لم يكن أبو حمو موسي سلطانا عاديا، بل كان عالما ومؤلفا وشاعرا فحلا، ومن أشهر إنجازاته العلمية[1] ،ما صنفه كتابا أدبيا ملوكيا لولده المولى أبي تاشفين ولي عهده سماه واسطة السلوك في سياسة الملوك [2].

يعتبر كتابا مفيدا في مضمونه وصياغته الأدبية بل هو مرآة لما كابد من مشاق الحروب والمؤمرات الكبيرة[3] ،جاء على شكل وصية من الشعر والنثر قدمها لابنه[4] يتضح ذلك في قوله:" فرأينا أول ما نتحف به ولي عهدنا، ووارث مجدنا، والخليفة إن شاء الله تعالى من بعدنا، وصايا حكيمة سياسية وعلمية مما تختص به الملوك، وتنتظم بها أمورهم انتظام السلوك" [5] .

كما هذه الوصية على حنكة سياسية وكفاءة، وبمجرد قراءة عنوان الوصية يدلك عن سمو مضمونها إذ تعتبر رسالة في الممارسة السياسية، وصنفها السلطان على حد تعبيره لترشد إلى حفظ الجيوش والأمراء والقواد[6]، وضمنها بأخبار الملوك وسيرهم فجاء مجموعا يدل على مكانة من الأدب ومحله[7] ،ولم يخل هذا الكتاب من الإرشاد الديني ويجعله قوام أعماله فيدع ابنه لعمل الدنيا والآخرة على ارضاخ نفسه بالدعاء والعبادة[8].

1 – محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص:177.

2 – التنسي، المصدر السابق، ص:161، عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي ،بيروت، دار العلم للملاين،ط4 ،1981،ج 6، ص:83.

3 – محمد العربي حرز الله، المرجع نفسه، ص:177.

4 – التنسي، المصدر نفسه، ص:161.

5 – توات الطاهر، المرجع السابق، ص: 66.

6 – ابن الخطيب، الإحاطة، مج3، ص: 220.

7 – أبو حمو موسى الثاني،المصدر السابق، ص: 47.

8 – براهامي نصر الدين، المرجع السابق، ص:68.

فيتلخص الكتاب في نصائح وإرشادات خص بها ولده أولا وسائر الملوك ثانيا، بين من خلاله سلوك الملوك العظام في تسير الملوك كما لا ينسى ذكر القواعد الأساسية المهمة التي تحفظ الملك[1].

والغريب أن أبا حمو الذي نصه ابنه في كتابه تعرض هو الآخر لمشاكل في الحكم، وحدثت بينه وبين ابنه حرب ضروس استنجد فيها ابنه بأعدائهم المرينيين وقضي على والده، فضرب بوصية أبيه عرض الحائط[2].

ب ــ نسبة الكتاب لأبي حمو: نسبة الكتاب له أمر ليس فيه شك قط، إذ ذكره الكتاب والمؤرخين الزيانيين وغيرهم، يذكره يحي بن خلدون والمقري تحت اسم **نظم السلوك في سياسة الملوك** وهو أمر مستغرب لأن مؤلف الكتاب نفسه ذكره باسمه السابق ويؤكد ذلك ابن الخطيب الذي شاهد الكتاب في جملة هدايا أبو حمو إلى ابن الأحمر مما يؤكد صحة اسمه كما ورد عند صاحبه[3] ،الذي أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه قائلا: "... سميت هذا الكتاب بواسطة السلوك في في سياسة الملوك"[4].

جـــ ــ تاريخ تأليفه: عن سنة تأليف الكتاب فلا نعرف سنة معينة له على وجه التدقيق، لكن الأمر المؤكد أنه كتب بعد سنة 760هـــ/1358م، لأن بعض الأحداث التي جاءت فيه من إشارات إلى حوادث معاصرة لتلك السنة، فوقعت كلها أثناء السنوات الخمس الأولى من إمارته، فهو يتحدث مثلا عن حركته الموفقة إلى تلمسان واستيلائه عليها، وإحياء دولة آبائه وأجداده، ويشير أيضا إلى علاقته بالسلطان أبي سالم المريني، في شعبان 760هـــ، وذي القعدة 762هـــ،

1 – محمد العربي حرز الله، المرجع السابق، ص:177.

2 – قريان ، المرجع السابق، ص:59.

3 – وداد القاضي، المرجع السابق، ص: 159.

4 – أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص:7.

إلى غير ذلك من الأحداث الأخرى[1] ،وقيل سنة 777هـ لأن يحي بن خلدون كان عارفا بوجوده وهو يكتب تاريخه" بغية الرواد"وهذا التاريخ ينتهي سنة 777هـ، فلذا ربما يكون قد ألفه في الفترة المحددة بين سنة 771 وسنة 777هـلأن واحدة من القصائد التي ذكرها في كتابه ألفت في احتفال المولد النبوي لسنة 771هـ [2].

ولكن الكتاب لا يحتوي على وقائع حدثت في هذه الفترة الزمنية كمنافسة الأمير الزياني القبي[3] ،وهزيمة البطحاء التي وقعة سنة 765هـ، ومنافسة الأمير أبي زيان ابن السلطان أبي سعيد الثاني، أو هزيمة بجاية سنة 767هـ، أو استيلاء السلطان المريني عبد العزيز على المغرب الأوسط (772-774هـ)، وغيرها من الأحداث في هذه الفترة لا أثر لذكرها، وفيما يخص القصائد المدونة بين سنة 767و771هـ فالراجح أنه أضافها إلى الأصل بعد سنوات عديدة[4].

فنستنتج مما سبق أنه ليس ببعيد أن يكون قد ألف كتابه على فترتين على الأقل[5] ،ومما ورد في الكتاب حول سنة التأليف يذكر:" كمل كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك تأليف الشيخ الإمام الملك الهمام الأسد الضرغام أمير المؤمنين ،وناصر الدين مولانا الشيخ موسي بن

1 – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص: 188.

2 – وداد القاضي، المرجع السابق، ص:160.

3 – **أبو زيان القبي:** هو محمد بن عثمان ابن السلطان أبي تاشفين، يكني أبي يزيد، ويعرف بالقبي ومعناه عظيم الرأس، اصطحبه معه أبو سالم المريني لما غزي تلمسان وجعله علي ولايتها، ولكن أبي زيان انسحب من تلمسان خوف من أن يظهر أمام أبي حمو بأنه مساند لأعدائه من بني مرين، ينظر: ابن خلدون، العبر، ج7، ص: 130، بوزيان دراجي، المرجع السابق، ص:255.

4 – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسي، ص:189.

5 – أبو حمو موسى الزياني،واسطة السلوك في سياسة الملوك ،تق:عبد الرحمان عون،الجزائر،منشورات بونة للبحوث والدراسات، دط ،1432 ،2011، ص: 15.

يوسف أبي حمو الزياني العبد الوادي التلمساني، الذي ابتدأه في الثالث عشر جماد الأول وكمل في أوائل شهر رجب عام ستة وسبعين وسبعمائة رحمه الله رحمة واسعة بجاه محمد أبي فاطمة."[1]

3 ــ منهج أبي حمو وأسلوبه في الكتابة: يعتبر كتاب واسطة السلوك لأبي حمو موسى الزياني من بين الكتب السياسية التي عرفتها الثقافة العربية الإسلامية حيث يسمى هذا النوع من الكتب بالكتب الخاصة بنصائح الملوك أو كتب مرايا الأمراء[2] .

حيث أنه حاول أن يوفق بين المعطيات السياسية والأخلاقية والنفسية مع الالتفات إلى الواقع التاريخي الذي شاهده أو عايشه، فهو لا يكتفي بذكر القيم الأخلاقية المحمودة وإنما ينظر إليها من خلال مقتضيات الإطار السياسي، وذلك مثل ابن المقفع[3] المتوفي سنة 142هـ/759م في رسالة الصحابة، ولسان الدين بن الخطيب في رسالته السياسية في كتابه ريحانة الكتاب، إضافة إلى توفيقه مع الاتجاه المغاير في استعماله حكايات القدامى وحكمهم التي لم تكن في الكتب السابقة ذكر[4] .

فما دام أبو حمو قد خبر الحياة وتمرس بالخطوب فإن الواقعية قد تغلبت عليه، وبرز في كتابه الجانب العلمي على النظري[5].

---

1 – أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص:21.

2 – محمد الأمين بلغيث، المرجع السابق، ص: 190.

3 – **ابن المقفع:** هو عبد الله بن المقفع أصله فارسي من قرية جور اسمه أب عمرو نشأ في البصرة نشأة عربية إلى جانب الثقافة الفارسية التي ورثها من أسرته، أصبح كاتبا أواخر العصر الأموي تسمى عبد الله بن المقفع بعد إسلامه وتلقب أبا محمد، كان شديد الذكاء دقيق الملاحظ، بارعا في معالجة الموضوعات المادية والحسية والعقلية، وله في البحث والتحليل وإيراد القصص والأحكام والأمثال، من مؤلفاته كليلة ودمنة من أشهر الكتب في تاريخ الكتابة الأدبية فيه أربع مقدمات وخمسة عشر بابا من خلاله يتعلم الملوك حكم الرعية، ينظر: عمر فروخ، المرجع السابق، ج1، ص: 24، 25 ــ53.

4 – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى، ص:196.

5 – أبو حمو موسى، المصدر نفسه، ص:17.

كما أنه لغوي شاعر جاء كتابه تحفة أدبية رائعة وقوية، سوية العبارات واضحة الأسلوب، جمله بالسجع والجناس، فيبدو أنه كان حريصا على إبراز بضاعته اللغوية فيُظهر أسلوب الكتابة تمكن صاحبه من الأدب وإطلاعه العميق على اللغة[1] ،فاعتبرَ من أجمل ما صنف بالعربية في الموضوع[2].

هـــ ــ مصادر الكتاب: وفيما يخص المصادر التي استوحي منها أبي حمو معلوماته القيمة فإن الناظر في كتابه يلاحظ أن السلطان يميل إلى عدم ذكر المصادر التي ينقل عنها في كتابه، وقد ذكر ابن ظفر [3] مرة عرضا وذكر كتاب سراج الملوك للطرطوشي[4] مرة أخرى مصدرا صريحا له ،وهذان القولان يدلان على أن المؤلف لم يكن يتعمد إخفاء مصادره، ولكنه لم يجد ضرورة لذكر هذه المصادر في درج كلامه[5].

إلا أننا من خلال دراستنا لمضمون كتابه نجد أنه تأثر بمجموعة من الكُتب الخاصة بالسياسة حيث أن الكتابة في هذا الموضوع كان أوائل القرن الثالث الهجري وآخرها أواسط القرن الثاني عشر، إذ هذا الصنف شارك فيه علماء من المشرق والمغرب الإسلاميين ،ولعل مراد هذا إلى العمل

1 – أبو حمو موسى، المرجع السابق، ط2011، ص:20.

2 – عثمان الكعاك، المرجع السابق، 253.

3 – **ابن ظفر:** هو أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر أديب ناشر، ناظم لغوي نحوي مفسر، ولد بصقلية ونشأ بمكة ولهذا تنسبه بعض المصادر إليها، ورحل إلي مصر وإفريقية وأقام بالمهدية، له كتاب سلوان المطالع الذي تأثر به أبو حمو، وكتب أخرى توفي سنة 565، ينظر: البغدادي إسماعيل باشا، المصدر السابق، ج 2، ص: 96.

4 – **الطرطوشي:** هو أبي بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المولود سنة 451هـــ/ 1049م بطرطوشة في الشرق الأعلى من الأندلس وبها نشأ وأخذ عن أبه الفقه والعلم، هاجر إلي سرقسطة فأخذ عن علمائها ثم هاجر إلي المشرق سنة476هـــ/ 1083م، وأقام متنقلا في بلادها حتى انتهي إلى الإسكندرية أين اتسعت شهرته وأتاه الطلبة من كل فج، له كتاب سماه سراج الملوك موزع إلي أربعة وستين بابًا، توفي سنة 520هـــ/1126م ،ينظر: الطرطوشي سراج الملوك، تح ضب تع: محمد فتحي أبو بكر، تق: شوقي ضيف، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1414ه/1994م، ج1و2، ص ص:5، 6.

5 – وداد القاضي، مآثر تلمسان ماضيا وحاضرًا، ص: 161.

بالأساس الذي هو من أسس التشريع الإسلامي والعمل بما جاءت به الأحاديث النبوية من الحث على إرشاد ذوي الأمر [1].

إذ أن القاعدة الكبرى في نظرية أبي حمو السياسية إنما تقوم على قاعدة أساسية مفادها أن المَلك مادام قد وصل إلى الملك فإن الهدف من أي سياسة ينتهجها هي توجيه الأشياء حوله إلى حفظ سلامته ودوام سلطانه[2].

لهذا استعان أبو حمو الزياني بكتب السياسة التي توافق هواه، وبلا شك فالمرادي[3] الذي وضع كتابه للمرابطين الذين حكموا إمبراطورية واسعة دون عراقة في السياسة ودهاء لتسير دولة وإقامة علاقات دولية متينة، كان بالنسبة له نموذجا طيبا لسياسة التي وافقت هواه فنقل عنه في مواضيع كثيرة[4].

1 – أبو حمو موسي، المصدر السابق، ط:2011، ص:12.

2 – محمد الأمين بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، دط، 1989، ص: 65.

3 – **المرادي:** هو أبي بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي، ولد في القرن الخامس الهجري، يكن أبا بكر ويعرف بالمرادي، ينسب إلي حضرموت المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية، نشأ بالقيروان كان رجلا نبيها، عالما وإماما في أصول الدين ونبغ في الأدب والشعر له حظ وافر في البلاغة والفصاحة، له كتاب الإشارة في تدبير الإمارة وهو عبارة عن أدبًا منظومة تحكم، وآراء مسبوكة تكسب بها عقول الأولين وتحفظ بها آراء المتقدمين، ينظر: المرادي أبي بكر محمد بن الحسن،الإشارة في تدبير الإمارة أو السياسة، تح: محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيوي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1424،1هـ/2003م، ص ص:5-15، محمد الأمين بالغيث، النظرية السياسية عند المرادي، المرجع السابق، ص:193.

4 – المرجع نفسه، ص: 194.

تذكر بعض المصادر كالمقري أن واسطة السلوك عبارة عن تلخيص لكتاب سلوان المطامع لابن ظفر وزاد عليه فوائد وأورد فيه جملة من الأمور وقعة له مع معاصريه من بني مرين وغيرهم[1].

إلا أن جانب كبير من تلك المؤلفات موجهة إلى ملك معين من طرف من انتصبوا القضاء أو منصب سياسي كالوزارة ،وأما أن يكتب في هذا الموضوع سلطانا يخاطب بتأليفه إبنه ولي عهده فإن هذه طريقة جديدة لم يعثر عليها إلا عند السلطان أبي حمو[2] .

إذ أنه لم يعتمد النقل عن هذه المصادر إلا في نقاط جزئية جانبية فنقله لم يؤثر على بناء كتابه ولا على نظريته السياسية في خطوطها العريضة، بل كان عبارة عن تلمس لما كان في المصادر وأخذ منها ما يفيده فقط[3]، وما يوضح ذلك أنه كان يعيش وسط دائرة سياسية يسودها الصراع العنيف، فكانت نظريته السياسية معبرة عن شخصه وعن دولته وعن هذا المِلك العالم الأديب[4].

استطاع على وجه الإجمال أن يحافظ على سلامة بناء كتابه، ولكن نجد في بعض الأحيان تكرارات لا لزوم لها في بعض الصفحات مثلا عن دور الوزير الذي أعيد كتابته العديد من المرات[5] .

1 – المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح تع: مصطفي السقي وآخرون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر1939،1358،مج1، ص: 249.

2_أبو حمو موسى، ط 2011،ص:13.

3 – وداد القاضي، مآثر تلمسان ماضيا وحاضرًا، ص:162.

4 – محمد الأمين بلغيث، النظرية السياسية عند المرادي، ص:65.

5 – وداد القاضي، المرجع نفسه، ص:163.

2 – دراسة محتوي الكتاب:

إن محتوى كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك، يظهر لنا جليا من خلال فهرس الموضوعات الذي يتضمن مجموعة من عناصر ذات قيمة وأهمية كبيرة، فيعتبر سندنا في هذه الدراسة.

أستُهل الكتاب بمقدمة يؤكد فيها أنه ألف هذا الكتاب ليطلع ابنه ولي عهده علي قواعد السياسة المتبعة لانتظام الحكم والسلطة كما سبق الذكر، فضمن هذه المقدمة العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

فتناول هذا الكتاب أهم المسائل والقضايا المتعلقة بالنظام السياسي العادل المستقر من خلال النقد المستمر والتحليل والتشخيص للأحداث وممارسة الإسقاط عليها وفق ما رآه، فدل هذا على نظرة حكيمة صائبة فيها تدرج العقل السليم الناضج والمنطق الحكيم المثبت، فجاء كتابه ثابت التبويب، رصين الفصول محبوك التقسيم، متتابع الآراء، مترابط الجزئيات، مرتبط المعاني، متشابك المقاصد، إذ يقول في ذلك:"...ورتبناه ترتيبا،و بوبناه تبويبا، وجعلناه على أربعة أبواب والله الموفق لصواب"[1].

تضمن الباب الأول قواعد الملك والوصايا والآداب التي ترشد إلى طرق الصواب، وفيه أربعة فصول عن نصائح عامة للملك من الاتصاف بالعدل في الحكم : "اعلم يا بني أن العدل سراج الدولة فلا تطفئ سراج الدولة بريح الظلم..."[2].

1 – أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، ط: 2012، ص:47.

2 – المصدر نفسه، ص:50.

كما أكد تغليب العقل على الهوى وملازمة التقوى، لأن العقل ميزة الإنسان ميزه الله عز وجل به عن كافة الخلق ليفرق بين الحق والباطل، والصواب عن الخطأ، والظالم عن المظلوم، والخير عن الشر[1].

و أوجب الحفاظ على المال لأنه السبيل الذي يوصل الملك إلى بلوغ غايته وتحقيق آماله ويدافع به عن نفسه أمام أصحابه وأعدائه ،باستمالتهم لصالحه لذا ينبغي علي الملك إحسان جمع ماله وإنفاقه ،يقول في نصيحته:" خذ المال من حقه وأنفقه في مستحقه ،تكن أعدل الناس وأفضل من ساس"[2] ،وأخيرا يوصي ببناء جيش قوي لأنه عماد الدولة، كما يؤكد على حسن اختيار موظفيه وأعوانه[3].

احتوى هذا الباب على ثلاث قصائد شعرية لأبي حمو الأول في شكر الخالق علي نعمته عليه[4] ،والثانية في التقوى والأسى والندم مع مدح الرسول صلي الله عليه وسلم، وذكر اشتياقه إلى زيارة البيت الكريم[5] ،وأما الثالثة عن الفخر باسترجاع ملك الدولة الزيانية مع وصف حركته من انطلاقه إلى غاية تمكنه من الهدف[6] ،كما وجدت أبيات شعرية لغيره من الشعراء.

ويخص الباب الثاني قواعد الملك وما يحتاج الملك إليه في قوام سلطانه، وهي أربعة قواعد كما أود ذكرها في العقل والاعتماد عليه وإعماله في تدبير شؤون الدولة والرعية، وإذا اعتمد على موظفيه في تلك القرارات، فيكون اعتماده علي العقلاء منهم، فيؤدي بذلك إلى إصلاح دنياه

1 – أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص:55.
2 – المصدر نفسه، ط2012 ، ص:63.
3 – نفسه، ص: 37.
4 – نفسه، ص:51.
5 – نفسه، ص:63.
6 – نفسه، ص:67.

وآخرته معا[1]، وبالنسبة للقاعدة الثانية الخاصة بالسياسة الحديث فيها يطول إذ اشتملت على جزء كبير من الكتاب وهي على أقسام ،أولها أن يدير الملك مملكته أحسن تدبير فيحسن اختيار أعوانه ونظامه وجهازه الإداري بما فيهم الوزراء والكتاب والفقهاء والقضاة والعمال والقواد وغيرهم فأورد لكل واحد منهم الصفات التي يجب أن يمتاز بها[2].

والقسم الثاني أن يجعل الملك رجالات الدولة في مترلتهم ومناصبهم، فيكون دخولهم عليه حسب أهمية المرتبة، وذلك باحترام التقاليد المعهودة عند سائر الملوك، فيكون مجلسه مجلس وقار،ويجعل يوم الجمعة لنظر في شكوى عامة الناس ليفصل بينهم بالحق وبالعدل، كما يجعل أياما لنظر في أحوال الجيش[3].

و القسم الثالث عن تعامل الملك مع الناس بالسياسة فيجري معهم وفق زمانهم وأوقاتهم وطبائعهم وطبقاتهم ،وكل حسب مترلته فيكون الشرفاء أرفع الناس لشرفهم ونسبهم ثم الفقهاء لأنهم ورثة الأنباء بعدهم أشياخ البلاد والأمناء والوجهاء ثم الفضلاء وبعدهم أهل التجارة والحرف والصناعات وفي الأخير العامة فيسلك فيهم طريق واحد [4].

في القسم الأخير من القاعدة السياسية يرشد أبو حمو أن يكون الملك يقظا ماهرا حازما، ضابطا للأمور كل كبيرة وصغيرة[5].

وأهم ما جاء في هذا القسم هو موقف الملك من العدو حسب الظرف الذي يعيشه بلده، ويبين الوسائل التي يمكن بها التغلب على العدو، فإذا وجد نفسه في مقابل العدو يهابه فعليه بالحيلة

1 – أبو حمو موسى، المصدر السابق، ص:82.
2 – المصدر نفسه، ص:145.
3 – نفسه، ط2012، ص:113.
4 – نفسه، ص:151.
5 – نفسه، ص:153.

وأسلوب الإغراء باللطف مع الاستعداد لنيل منه، وإذ كان العدو قريبا يسعى إلى الفساد فينبغي الإيقاع به ببعث الجيوش إلى بلده لحصارها، فيدفعه ذلك بالعودة والتراجع وهذا أكثر قربا إلى تجربته السياسية عند مواجهة عدوه،و أخيرا إذا كان بقدر قوة العدو ومتوافقا معه فعليه المواجهة مع الظفر بها [1] .

أما القاعدة الثالثة فهي العدل والرابعة في أركان الملك وهي جمع المال والجيش بقدر اتساع البلاد فلا يضيع أحدهما عن الآخر وإنما الاهتمام بكليهما يؤدي إلى دوام الملك[2].

والباب الثالث في أهم الصفات والخصال المحمودة التي ينبغي علي الملك التحلي بها لكسب ود رعيته واستمرار ملكه منها الشجاعة والكرم والعفو والحلم[3] .

أما الباب الرابع والأخير ويخص الفراسة في الملك، وأولى له اهتماما كبيرا، إذ يعتبر الاتصاف بها إتمام لنظام السياسة،وحسب رأيه تشتمل على دراسة مضامين الناس من خلال الشخصية الخارجية المكونة لهم أو مختلف تصرفاتهم، والفراسة تكون في الأقوال والأفعال والتصرفات وغيرها، فيسعي الملك لتطبيقها مع جميع الناس من حوله في أهله وخاصته ورعيته ومع الرسل [4] .

وفي الخاتمة قدر جملة من النصائح لابنه بإتباع السياسة الدنيوية علي أساس الشريعة الإسلامية، ويحثه على مكارم الأخلاق وأخذ العلم بإكرام العلماء، ثم ينهي كتابه ببعض الأشعار الخاصة بالمولد النبوي الشريف،مع ذكر القصيدة السينية التي قدمها له ابن الخطيب عبد الله مدحا له[5] .

---

1 – أبو حمو موسى، المصدر السابق ، ص ص:171 ــ 195.

2 – المصدر نفسه، ط2012 ، ص ص:200 – 207.

3 – نفسه، ص ص:210 – 225.

4 – نفسه، ص ص:227 – 252.

5 – نفسه ، ص ص: 253 – 258.

3ــ دراسة نقدية لكتاب واسطة السلوك:

يقدم الكتاب معلومات هامة حول الأسس الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والأدبية التي تقوم عليها الدولة الزيانية، وبعضها نجدها ركيزة في أي نظام سياسي في دولة ما لتحقيق الاستمرارية والدوام وتكمن في:

أ ــ الجانب التاريخي: يحتوي الكتاب على أحداث مختلفة عاصرها المؤلف من أنظمة وعلاقات ووقائع وصراعات كانت قائمة، ومن بين هذه الأحداث ما ذكره أبو حمو كحركته الموفقة لاسترجاع العرش الزياني سنة 760ه محققا بذلك انتصارا عظيما يقول: "..و يسر الله لنا في الفتح أتم مياسرة ونزلنا ساحتها ،و رياح النصر علي رايتنا خافقا، ودلائل السعد تشهد مقدمتها صادقة وساء صباح المنذرين ليخرجوا عن بلادنا وميراث آبائنا وأجدادنا..."[1].

وكما أورد تحايله على العدو كما حدث له مع موسى بن إبراهيم اليرنياني وزير أبي سالم الذي أراد المكيدة به، ولكنه استطاع ردها بما سبب تشتت في جمعهم[2] ،وكذلك ذكر لنا أبي حمو تحايله على الحسن بن عمر الفيدودي حينما استولى على تلمسان وانسحب هو إلى الصحراء فتمكن من خلالها قطع الطريق عليهم وبسماعهم بذلك انسحبوا من تلمسان يُظهر ذلك في قوله:"فلما سمع بنو مرين دخولنا إلى الصحراء دخلوا تلمسان واستبشروا بالاستيلاء، و لم يعلموا أن ذلك منا خدعة لنستأصل أصل العدو وفرعه"[3].

وحدثنا السلطان عن حاله مع أبي سالم المريني حينما توجه إلى تلمسان واستيلائه عليها، وكيف أنه توجه إلى حاضرة عدوه وقام بالتخريب ولما سمع أبو سالم بذلك انسحب عن

1 – ابو حمو موسى ،المصدر السابق، ص ص:65 –67.

2 –المصدر نفسه، ص ص: 174 –175.

3 – نفسه، ص ص:178 –181.

تلمسان[1]،و يواصل سرده للأحداث بذكره حركة أبا الحسن المريني من فاس إلى تلمسان ولكنه إنهزم آخر المطاف في مواجهة ضد العرب [2]،وكما أشار إلى الواقعة التي حدثت لأبي تاشفين حين انهزم بعد أن فرط في جيشه ،فذل بعد العزة[3]،وذكر حدث تاريخ أخر عايشه عن أبي الحسن المريني الذي أجاز الأندلس لمواجهة الطاغية النصراني إلا أنه مني بالهزيمة [4].

ويقدم لنا الكتاب معلومات هامة عن الكثير من الأحداث التاريخية التي اطلع عليها المؤلف في مختلف المصادر التاريخية أو السماع المباشر من أشخاص اتصل بهم، ومن بين هذه الأخبار ما يرجع إلى ملوك الفرس نقلها غالبا من كتاب سلوان المطاع لإبن ظفر[5]، وملوك بلاد الهند كقصة حصن الأركن[6] ،كما ذكر أخبار الخلفاء الراشدين ،وخلفاء بني أمية وبني العباس وهي مشهورة ورد ذكرها في كتب التاريخ والأدب مثل العقد الفريد لابن عبد ربه[7] وسراج الملك للطرطوشي[8] .

يورد أبو حمو هذه الأحداث التاريخية مع آرائه الخاصة معلقا علي بعضها، فيبرهن بذلك عن فكره الثاقب ونقده الصائب[9] .

---

1 – ابو حمو موسى، المصدر السابق ، ص ص:181 – 183.

2 – المصدر نفسه، ص:185.

3– نفسه، ط2012، ص:205.

4_ نفسه ،ص:214.

5 – نفسه، ص ص:95 –112.

6 – نفسه، ص ص:154 –170.

7 – **ابن عبد ربه:** هو رجل دين أبو النجيب الفضائل عبد الرحمن بن نصر الله بن عبد الله بن نصر بن عبد الله النشيزري، نسبة إلي مدينة بدمشق التبريزي العدوي النبراوي، عاش مدة في حلب وكان كاتبا عند صلاح الدين الأيوبي، وتولي القضاء بطبرية، توفي سنة 589هـ/1193م، وله مصنف نهج السلوك في سياسة الملوك، ألفه لصلاح الدين الأيوبي، ينظر عمر الفروخ، المرجع السابق،ج6، ص: 83.

8 – عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى وآثاره، ص ص:202–203.

9 – المصدر نفسه، ص ص:202 ــ 203.

ب – الجانب السياسي: وهي تشمل الجانب العسكري ونظامه الذي يعتبر قاعدة وضعها السلطان أبو حمو في قاعدته السياسية ،واحتلت مكانة كبيرة في كتابه ،وأولى لها مجالا واسعا لأن لها دور كبير في الحفاظ على النظام السياسي وأمن وسلامة الدولة بصفة عامة ،فلقد راع في نظريته تنظيم الجيش وفق أنواع خدماتهم ومهامهم وعلى أساس تشكيل الجيش والقادة فتكون القاعدة العسكرية، بذلك تؤدي وظيفتها بفضل القوة والغلبة في الحفاظ على سلطة الحاكم[1] ،يقول:" يا يا بني ينبغي عليك أن تتشاغل بجمع أجنادك وتوفير أحشادك وأعدادك، وترتيب خدمك وقوادك، فتعدهم في زمن الرخاء لتجدهم عند الشدة والإيواء"[2] .

وقوله:"خير الجيوش أربعة آلاف ولن يبلغ جيش بلغ اثنا عشر ألف من قلة إذ اتفقت كلمتهم، وقد قالت الحكماء للكثرة الرعب وللقلة النصر، يا بني إن الجيش ينقسم إلى أربعة أقسام خاصتك، وقبيلك، وأنصارك، ومماليكك"[3] .

جـــ – الجانب الأدبي: بالرغم من أن أبا حمو عالج قضية سياسية إلا أنه مزجها بالطابع أو النزعة الأدبية ،وتتجلى في طريقة عرضه للأفكار والأسلوب الأدبي الذي اعتمد عليه، الذي امتاز بالإطناب والسجع والإسراف في ذلك أحيانا إلى درجة التكلف والإكثار من المحسنات البديعية وسهولة اللغة ووضوح معانيه، وكذلك يظهر فنه الأدبي في الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال والأشعار وتحتل قسما وافرا من الكتاب لتدعيم آرائه، وليبرهن عل غزارة علمه

1 – مراعي سمير، "مكانة النظرية السياسية عند أبي حمو موسى الثاني(723ـــ 791هـــ/ 1323 ـــ1389م)"، مجلة كان التاريخية ،1435ه، 2014م،ع:24، ص ص: 53 ـــ 54.

2 – أبو حمو موسى، المصدر السابق، ط :2012، ص: 201.

3 – المصدر نفسه، ص: 142.

،و نستنتج من هذا بلوغ التذوق الفني مستوى راقيا عنده ومع كونه بربريا في الأصل إلا انه تمكن من الأصول العربية والتحكم في أدواتها [1].

د ــ الجانب الاقتصادي: وفيما يخص الجانب الاقتصادي نجد أبا حمو قد صب اهتمامه بهذا الجانب في نظريته السياسية ،فالاقتصاد يمكنه من التحكم في أمور دولته فالمال هو الخيط المحرك لسياسة دولته ومجتمعها وهياكلها وأنظمتها ،لذا نجده في كتابه كثيرا ما يحث ولي عهده بالتشديد على جمع المال فالمال على حد تفكيره هو حل سياسي للأزمات التي قد تضرب كيان دولته من قحط وجفاف، فيمكن استمالة العدو وقضاء الحاجات[2]، يقول:"وبالمال تستعبد الرجال، وتبلغ الآمال، وتذل به الرقاب أو تستفتح به الأبواب، وتسهل الأمور الصعاب،و تنال الرغايب ،وتنجي به من المصائب".[3] وقوله أيضا:" المال أعظم الذخائر الفاخرة وبه تنال الدنيا والآخرة"[4] .

ثم نجده يحاول أن يعطي نظرة عن طرق جمع المال وكيفية إنفاقه واستغلاله، "اعلم يا بني أن المال حرز الملك وبه ينتظم انتظام السلك، فحرز حرز مالك بقليل الثناء وتصرف فيه تصرف أهل العقل والذكاء "[5] ،ثم يقول: " ينبغي لك أن لا تنفق مالك إلا في حقه، ولا تخرجه إلاّ في مستحقه، ولا تعطه إلا فيما يصلح عنك ويجلب المنفعة إليك" [6] .

1 – عبد الحميد حاجيات ،أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، ص ص: 207–208.

2 – مزرعي سمير، المرجع السابق، ص: 53.

3 – أبو حمو موسى، المصدر السابق، ط:2012، ص:62.

4 – المصدر نفسه، ص :63.

5 – نفسه، ص :62.

6 – نفسه، ص :200.

هدف أبو حمو من خلال فكرة الاقتصاد السياسي إلى جمع المال وصنع الرجال وليس صنع المال وتضيع الرجال، ولعلها مستوحاة من بعض سياسة ملوك الروم والفرس الذين تأثر بهم، وبذلك يكون المال وسيلة لا غاية في تطوير وتسير سياسة دولته وحكمها وأفرادها[1] .

ه-الجانب الأخلاقي: في المؤلف نجد صحة القاعدة الخلقية التي تنادي أن العدل مراده الحكمة والشجاعة والاعتدال والعفة ،ويظهر ذلك في قوله مثلا " إن الشجاعة وصف محمود وبه يتفاخر الوجود وخصوصا في الملوك، فإنها لمآثرهم كالوسائط في السلوك"[2]،وفي قوله عن العفو:" العفو وصف محمود وفضل يتصف به أهل الوجود، وتألفه الوجود، لاسيما في الملوك عند القدرة ،فإنه من أحمد الخصال "[3].

وتعتبر هذه الصفات الفضائل الرئيسية لدى اليونان، فاجتمعت كلها لتحقيق ما نسميه العدل

الذي يرى فيه أبي حمو سراج الدولة[4] بقوله: "العدل سراج الدولة فلا تطفئ سراج العدل بريح الظلم إذا عصفت نصفت ،و ريح العدل إذا صبت ربت."[5]، كما يقول " إن العدل أساس الدولة وإقامة الملك، ورأس السياسة ومدار الرياسة"[6] .

وهذه الأفكار لم تكن وليدة المنظرين المسلمين بل نجدها في فلسفة أرسطو وعند ابن مكويه الذي جعل الفضائل أوساط بين أطراف، فالشجاعة بين الحنين والتهور ،والعدالة وسط بين الظلم والإظلام، فنجد أبو حمو قد تأثر بها في حديثه عن القيم الأخلاقية التي أوصي بها ابنه من عفة

1 – مزرعي سمير، المرجع السابق، ص: 53.
2 – أبو حمو موسى، المصدرالسابق، ص: 210
3 – المصدر نفسه،ط2012، ص: 223.
4 – مزرعي سمير، المرجع السابق،ص: 52.
5 – أبو حمو موسى، المصدر نفسه، ص: 50.
6 – المصدر نفسه، ص :50.

وشجاعة وحلم وعدالة، وغيرها فيجعلها بين نقطتين ليعطينا الفضيلة المثلى متبعا الوسطية لا إفراط ولا تفريط فيها[1] .

و ــ الجانب الاجتماعي: تظهر القيمة الاجتماعية في الكتاب لأن الموضوع حول قضايا اجتماعية ولها علاقة بسلوك المرء في المجتمع، وقد درس المؤلف بصفة خاصة الطبقة الحاكمة من ملوك ووزراء وسائر الأعوان من خلال طبائعهم وتصرفاتهم مع الآخرين، ويظهر في قوله مثلا: "...يعامل رعيته بما يجرب به نفوسهم، ويوجب ألفتهم وتانيسهم، ويصلح أمورهم، ويحظ خاصتهم وجمهورهم،..."[2]

باستقراء النصوص التاريخية والوصايا والإرشادات التي أوردها، نجد أنه يعالج مراتب دولته من خلال نظام الطبقية التي تميز جميع المجتمعات البشرية السابقة له في تكوينها الأول ويظهر ذلك جليا من خلال قوله:"ينبغي لك أن تنزل الناس في منازلهم ،وترتبهم بحسب أقدارهم عندك ومناصبهم، وذلك على طبقاتهم"[3]، وتظهر في القسم الثالث في قاعدة السياسية التي يتحدث فيها عن معاملة الملك للناس، إذ تكون وفق زمانهم وأوقاتهم وأغراضهم وطبائعهم وطبقاتهم[4] .

وفي الأخر نستنتج أن النظرية السياسية لأبي حمو حدث فيها تكامل من مختلف النواحي الإدارية سواءً الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأخلاقية أو التاريخية أو السياسية وغيرها ،فهذا يدلنا علي أنه لم ينشغل عن الجانب العلمي الإبداعي بالرغم من حدة الصراعات، فكان قلمه مجاورا وملازما لسيفه، فكان السيف والقلم وسيلة في استمرار الحياة بكل صعابها[5].

1 – مزرعي سمير، المرجع السابق، ص: 52.

2 – المرجع نفسه، ص :86.

3 – نفسه، ص :146.

4 – أبو حمو موسى، المصدر السابق،ط2012، ص:152.

5 – موساوي أحمد، المرجع السابق، ص: 90.

خاتمة

خاتمة

إن حقل العلوم بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني عرف تطورا على مدار هذه الفترة بمختلف أنواعها من علوم دينية ولغوية واجتماعية وعقلية إلا أنه كان هناك تفاوت من حيث الاهتمام بالعلوم فقد أعطيت العناية الفائقة للعلوم الدينية فأصبحت هي الوحيدة المهيمنة في مجال التدريس والتأليف، مقارنة ببقية العلوم الأخرى وخاصة العقلية.

بدأت إرهاصات الفكر التاريخي المغربي بعد الكتابات الأولى حول بلاد المغرب الإسلامي من طرف إخباريي المشرق؛ وتعود أسبقيتهم إلى أن بلاد المغرب مشكلة في غالبيتها من مجتمعات قبلية مناهضة للحكومات المركزية شكلت عائقا في إرساء قواعد حضارة متميزة بإنتاج ثقافي تاريخي كما هو الحال بالمشرق الإسلامي، لذا المصادر التاريخية لا تمدنا بعناوين كتب مغربية متقدمة، وأول كتاب مغربي في التاريخ يرجع إلى نهاية القرن الثاني الهجري وهو مغازي إفريقية لعيسى بن محمد بن سليمان بن أبي دينار، وبقيام الدويلات المستقلة التي لها دور في نشأة الفكر التاريخي تطورت الكتابات التاريخية؛ إلاّ أن هذا التطور محدود مقارنة بالعهد الزياني.

و يمكن القول بأن تلمسان عرفت نهضة علمية وحركة فكرية قامت على عمق التفكير وغزارة التحصيل، والمتتبع لمسار التأليف التاريخي يجد أن علم التاريخ أخذ مكانة بين العلوم في هذا العهد الذي تغلب عليه الطابع الديني؛ إذ كان للكتابة دور في حفظ ماضي الدولة وتاريخها، وهناك عدة عوامل مساعدة على نشأة الفكر التاريخي وبروزه، منها اهتمام السلاطين الزيانيين وعنايتهم بالعلم والعلماء وتقريبهم منهم، وإجراء الأرزاق عليهم وحضور مجالسهم تشجيعا لهم على الإبداع والتأليف، كما كان للرحلة في طلب العلم دور في تكوين العلماء وتوسيع معارفهم وتوطيد الروابط الثقافية، وزاد تلمسان فخرا وعظمة رحلة الأندلسيين المضطهدين إليها واستطاعهم ربوعها لمقاربتها لحال الأندلس في هوائها ومائها وأهلها.

يعد انتشار المؤسسات الثقافية والتعليمية من مدارس ومساجد وزوايا؛ والمكتبات الملازمة لبناء المدارس والمساجد أهم عامل لتشجيع البحث العلمي والتأليف، ومن أهم المكتبات العامرة بتلمسان المكتبة التي أنشأها السلطان أبو حمو موسى سنة 760هـ/1359م، كانت على يمين المحراب من المسجد الكبير، والمكتبة التي أنشأها السلطان أبو زيان، محمد الثاني سنة 796هـ/1394م، كانت بالقسم الأمامي من الجامع الكبير.

خاتمة

ساعدت هذه العوامل علي تنوع الإنتاج التأليفي لهذا العهد، وظهرت عدة مؤلفات تاريخية؛ إذ دون المؤرخون في مختلف فروع التاريخ في السير والتراجم والمناقب والفهارس، وبتنوع الإنتاج تنوع الأسلوب بحكم ميولات المؤلفين، فكان منهم الأديب الذي خاض تجربة التأريخ كالتنسي؛ الذي أنتج كتابا نفيسا في شرف بني زيان، تحت عنوان نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان وذكر ملوكهم الأعيان ومن ملك من أسلافهم فيما مضي من الزمان.

والمؤرخ الفيلسوف عبد الرحمن بن خلدون الذي تميز به القرن الثامن، إذ كانت مقدمته لمسة فنية وإبداع فكري تاريخي في نوعه، ضف إلي ذلك المؤلِف أبو حمو موسى الثاني؛ الذي أضاف لتاريخ وثيقة في السياسة وعُدَّ فريد عصره؛ إذ لم يؤت بمثلها في الزمن اللاحق، واتخذناه أنموذج الدراسة التطبيقية لنبرز كيف أن للملوك دور في التأريخ والاهتمام به، والاعتبار بأخبار الماضين لتنظيم سياستهم.

كما ساهم كتاب التراجم في تخليد العلماء الذين عاشوا على ثرى بلاد المغرب الأوسط وأبرز هذا النوع من الكتابات هو كتاب البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، وتعد المناقب هي الأخرى من الكتب التي تزودنا بمعلومات ومادة علمية عن التاريخ الاجتماعي والعادات اليومية، وهو ما يبرز من خلال أنموذج دراستنا التطبيقية المناقب المرزوقية الذي أرخ فيه ابن مرزوق لسلفه ومن عاصرهم من السلاطين والعلماء والأولياء مع الاستطراد في بعض التفاصيل والدقائق عن أسرته ومجتمعه بذلك قدم لنا صورة تاريخية عن الحياة بتلمسان على عدة جوانب .

ولكن رغم الاهتمام بعلم التاريخ والكتابة فيه وأنه عرف نموا في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني لم يشهده خلال العهود السابقة؛ إلاّ أن هذا النمو يعتبر ضعيف وضئيل في إنتاجه إذا ما قارناه بإنتاج بني مرين وبني حفص وبني الأحمر، وما زاد الحال سوءا هو ضياع الكتب وفقدانها فكتاب زهر البستان لم يصل إلينا منه إلاّ الجزء الثاني وفقد جزءان منه، ونفس المصير عرفه كتاب تاريخ تلمسان لابن هدية القريشي التلمساني، وغير هذه الأمثلة كثير.

ويمكن القول أن خط الحركة التأليفية التاريخية لم يسر وفق وتيرة واحدة بل عرف تبايناً؛ فالقرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بحكم حركة الاستقلال السياسي وترتيب الأمور الداخلية، قل الإنتاج التأليفي، وبخلاف ذلك تميز القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلاد، إذ شهد ازدهارا بظهور كتابات ابن مرزوق

والأخوين عبد الرحمن بن خلدون ويحي بن خلدون، وحافظ القرن التاسع الهجري الخامس عشر ميلادي على سير الحركة الإنتاجية التاريخية وكان أوفر من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، يعود هذا التباين إلى ارتباط الإنتاج التاريخي والإبداع التأليفي باستقرار الأوضاع السياسية التي لها الأثر الفعال على الإنتاج العلمي والمعرفي، الذي يتماشى تطوره والحالة السياسية لدولة الزيانية.

من جملة الإنتاج التاريخي لهذا العهد نلتمس في كتب المناقب أهمية في معرفة جوانب عديدة من الحياة في المغرب الأوسط، كما تميزت بأسلوب بسيط سلس خال من التعقيدات، وهو ما يبرز في كتاب المناقب المرزوقية الذي يعرض فيه ابن مرزوق الخطيب ترجمة لأسرة المرازقة –جديه ووالده– كما يقدم ترجمة لمن عاصرهم من علماء وصلحاء، بذلك صُنِف الكتاب ضمن الأدب المناقبي. أما فيما يخص مجال التاريخ السياسي لدولة يبرز لنا كتاب واسطة السلوك الذي ألفه السلطان أبو حمو موسى الزياني اهتمام السلاطين بالتاريخ إذ أضيفت هذه الوثيقة لتاريخ النظم والسياسة، يسمي هذا النوع من الكتب بالكتب الخاصة بنصائح الملوك أو كتب مرايا الأمراء،والكتاب عبارة عن تحفة أدبية رائعة، سوية العبارات واضحة الأسلوب.

الملاحق

الملحق رقم: 01 عدد المؤلِفين على العهد الحمّادي[1]:

التخصصات	عدد المؤلفين
النثر والشعر	27
الفقه أصوله	21
علوم القرآن والحديث	10
عقيد والكلام	7
تاريخ	6
علوم اللغة	3
فضائل	1
طب	1

1 – عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط، ص: 110. (بتصرف)

الملحق رقم:02 تصانيف العلوم ومكانة التاريخ على العهد الحمّادي[1]:

التخصصات	عدد العلماء
الفقه	154
الشعر والنثر	54
علوم القرآن	13
علوم الحديث	13
أصول الفقه	13
علوم اللغة	11
تاريخ	9
العقيدة والكلام	8
طب وعلوم الطبيعية	4
رياضيات وهندسة	3
تصوف	1

1 – عمارة علاوة، دراسات في التاريخ الوسيط، ص: 113. (بتصرف)

الملحق رقم:03 الإنتاج التأليفي خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين(14-15م)[1]

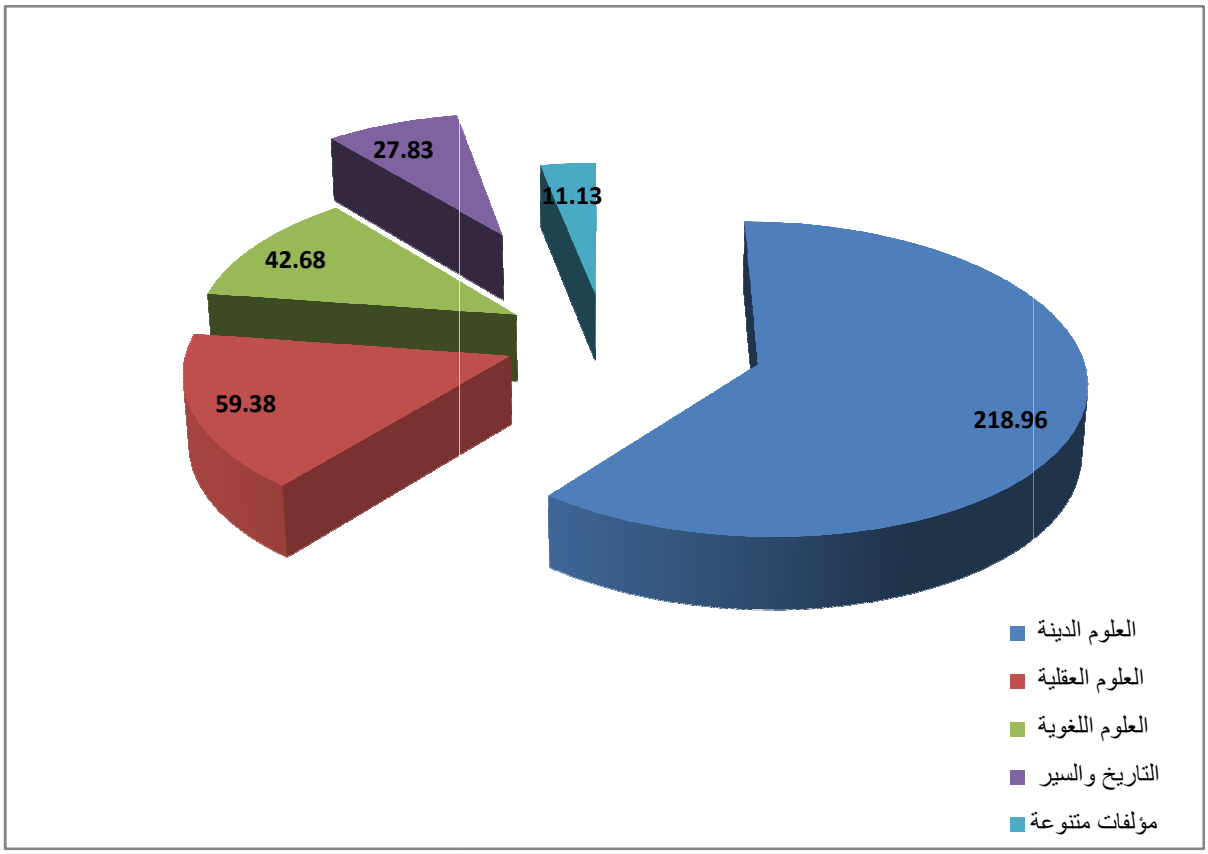

.

.

1 – نبيل الشريخي، المرجع السابق، ص: 224 (بتصرف).

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المخطوطات:

1. ابن الصعد محمد بن أبي الفضل بن سعيد بن الصعد (ت:901هـ/1496م)، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مناقب، مخطوط بمكتبة مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء رقم: د 1910.

المصادر المطبوعة:

2. ابن الآبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلسني، التكملة لكتاب الصلة، تع: الفريد بل، ابن أبي شنب، طبع بالمطبعة الشرقية للأخوين فوناطنا، الجزائر،د ط، 1337هـ/1919م.

3. ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني(ت:1110هـ/1699م)، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، المطبعة الدولة التونسية بحضارتها المحمية، تونس،ط01، 1286م.

4. ابن أبي زرع الفاسي ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ،الرباط، د م، 1392هـ-1972م.

5. (ـــــــــــ)الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، مطبعة صور للطباعة والوراقة، الرباط، د ط، 1972م.

6. ، ابن الأحمر الوليد إسماعيل بن محمد (ت:807هـ/1407) تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، نق وتح وتع: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،ط01، 2001،1421.

7. (ـــــــــــ)، روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1362هـ،1962م، د ط.

8. الإدريسي أبي عبد الله محمد عبد الله بن إدريس(560هـ/1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة، الرباط، مج02.

9. البرزلي أبي القاسم بن أحمد البلوي التونسي(ت:739هـ) ، فتاوي البرزلي جامع مسائل الأحكام ما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تع تح محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط 1، 2002،ج 1.

10. ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (ت:776هـ/1373م)، رحلة ابن بطوطة، تحفة

11. البغدادي إسماعيل باشا، هدية العارفين وأسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ط، 1955، مج 2.

12. بن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي محمد بن محمد بن علي بن أحمد(ت:852هـ/1448)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، دار الجيل، بيروت، د ط، د ت، ج 2.

13. التبكني أحمد بابا(ت:1036هـ/1627)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إش وتق: عبد الله الهدامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا ،ط01، 1398هـ/1989، ج01، 02.

14. التجاني أبو محمد عبد ال بن محمد بن أحمد التجاني، رحلة التجاني، قدم لها: حسن حسين عبد الوهاب، تونس، الدار العربية للكتاب، ليبيا، د ط، 1981م.

15. التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل الحافظ (ت: 899هـ/1493)، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان "مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان"، تح وتع: محمود بوعياد، المكتبة الوطنية، الجزائر،د ط، 1985/1405،

16. الجزنائي علي(كان حيا سنة:766هـ)، جنى زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تح: عبد الوهاب ابن منظور، المطبعة الملكية، الرباط، ط02، 1991،1411.

17. الحفناوي أبي القاسم محمد(ت:في القرن 7هـ)، تعريف الخلف برجال السلف، طبع مطبعة بيرفو نشانة الشرقية، الجزائر، د ط، 1324هـ/1906.

18. أبو حمو موسي الثاني الزياني(791هـ)، واسطة السلوك في سياسة الملوك. تح وتع: محمود بو ترعة ، دار الشيماء، دارالنعمان، الجزائر،د ط، 2012.

19. (ـــــــــــــــ)،واسطة السلوك في سياسة الملوك ،تق:عبد الرحمان عون، منشورات بونة للبحوث والدراسات ، الجزائر،دط ،1432 ،2011.

20.الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، مكتبة لبنان، بيروت ، ط02، 1984م.

21.ابن الخطيب ابي عبد الله الخطيب السلماني (776هـ/1374م)، رقم الحلل في نظم الدولة ، المطبعة العمومية بحاضرة تونس المحمية ، تونس، د ط ، 1361م.

22.(ـــــــــــــ)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح تق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، مصر،ط:01، 1394-1974م، مج:3،2.

23.(ـــــــــــــ)،تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام، تح وتع: أحمد مختار العبادي، محمد إبراهيم الكتاني، دار الكتاب، الدار البيضاء ،د ط، 1964.

24.ابن خلدون عبد الرحمن أبو زكريا يحي بن محمد(780هـ/1378م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضب: خليل شحادة ، مرا، سهيل زكار ، دار الفكر، بيروت: 1431، 2001، مج،4، 6 ،7.

25.(ـــــــــــــ)، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا (1352-1401)، عرضها بأصولها وعلق حواشيها: محمد بن تاويت الطنجي، دار السويدي، بيروت ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الإمارات العربية، ط01، 2003.

26.(ـــــــــــــ)، مقدمة ابن خلدون، ظب: خليل شحادة، مرا:سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د ط، 1421هـ/2001.

27.ابن خلدون يحي أبي زيد عبد الرحمن بن محمد(ت:780هـ/1378م)، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تق تع تع:عبد الحميد حاجيات ، المكتبة الوطنية، الجزائر ،د ط، 1400هـ،1980م ،ج2،1.

28.الدرجيني أبي العباس أحمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، تح: إبراهيم طلاي، د م ، دت، د ب، دط،ج01.

29.أبي زكرياء يحي بن أبي بكر(ت:450هـ/1058م)، سير الأئمة وأخبارهم، تح،تع: إسماعيل عربي، المكتبة الوطنية، الجزائر، د ط، 1399هـ/1979م.

30.لسخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت:906هـ)، الضوء اللامع الأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ /1992م، ج6.

31.(ـــــــــــــــــ)الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، درا تع: روزنتال تر: صالح أحمد العلي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ط، دت.

32.السليماني أبو عبد الله الأعرج،تاريخ الجزائر بين قيام الدولة الفاطمية ونهاية ثورة الامير عبد القادر- عن كتاب الشماريخ-،تح:حساني المختار، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر،دط، د ت،ج2و3.

33.السملالي العباس بن إبراهيم، الأعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، مر: عبد الوهاب ابن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط02، 1413ه،1993م، ج04.

34.السنوسي محمد، الرحلة الحجازية، تح: علي الشنوفي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ، د ط، 1396هـ/1979م،

35.السيلاوي أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب بالأقصى -الدولة المرينية-، تح وتع: جعفر الناصر ومحمد الناصر، دار الكتاب، الدار البيضاء ،1954مج03.

36.ابن الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع، الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح وتق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب ،والشركة التونسية للفنون والرسم ، تونس، دط، دت

37.الشوكاني محمد بن علي ،البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د ط، د ت ،ج2.

38.ابن الصغير المالكي(ت : بعد: 296هـ)، أخبار الأئمة الرستميين، تح و تع: محمد الناصر، إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، د ط، 1046هـ،1986م.

39.الطرطوشي أبي بكر محمد بن الوليد الفهري (ت:560هـ)، سراج الملوك، تح ضب تع: محمد فتحي أبو بكر، تق: شوقي ضيف، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1414ه/1994م، ج1و2.

40.العبدري أبو عبد الله البلنسى(ت:أواخر7هـ/13م)، رحلة العبدري، تح: علي إبراهيم كردي، تق: شاكر الفحام، دمشق ، ط02، 1426هـ،2005م.

41.ابن عذارى المراكشي (ت:710هـ)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س، كولان، ليفي برفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط03، 1983م، ج01 ،5.

42.الغبريني أبو العباس أحمد بن أحمد بن عبد الله(ت:714هـ/1314م)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تح، وتع: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت،ط02، 1979م.

43.ابن فرحون إبراهيم بن نور الدين(ت:799هـ) ، الدباج المذهب في معرفة أععيان علماء المذهب ، درا وتح: مأمون بن محي الدين الجنّان ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1417.

44.القلصادي أبي الحسن على(ت:891هـ/486م)، رحلة القلصادي، دو وتح: محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس،1978.

45.ابن القنفذ أبو العباس أحمد حسن علي بن الخطيب القسنطيني(ت:810هـ/1408م)، الوفيات، تح وتع: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط04، 1403هـ/1983م.

46.(ـــــــــــــــ)، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تق وتح: محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968م.

47.مؤلف مجهول(عاش في ق:6هـ/12م)، الاستبصار في عجائب الأمصار، تع: سعد زغلول عبد الحميد، الكويت ،دار الشؤون والثقافة العامة، آفاق عربية، د ط، 1985م.

48.(ـــــــــــــــ)، زهر البستان في دولة بني زيان، تح وتق: بوزيان راجي، مؤسسة بوزياني لنشر والتوزيع، الجزائر،1231هـ،2013، ج02

49.المازوني أبي زكريا يحي بن موسى التلمساني(ت:883هـ/1478م)، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، درا وتح قندوز ماحي، الجزائر، منشورات الشؤون الدينية والأوقاف، ط 1، 1433هـ/2012، ج 1.

50.مخلوف محمد بن محمد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ، د ط،1349هـ.

51.المرادي أبي بكر محمد بن الحسن،الإشارة في تدبير الإمارة أو السياسة، تح: محمد حسن إسماعيل، أحمد فريد المزيوي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1424،1هـ/2003م

52.المراكشي عبد الواحد بن عبد الملك (ت:669ه/1270م)،المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تح: محمد سعيد العرياني، د م، د ت.

53.ابن مرزوق الخطيب أبو عبد الله محمد التلمساني(ت:781هـ/1379م)، المناقب المرزوقية ، دراسة وتحقيق سلوى الزاهري ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط 1، 1429 2008.

54.(ـــــــــــــــ)، المسند الصحيح في مآثر ومحاسن مولاي أبي الحسن، در وتح: ماريا خيسوس بيغيرا تق: محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1401هـ/1981م.

55.ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد التلمساني (كان حيا سنة:1014هـ/1605م) ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح: عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 2014.

56.المزاري الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود- في أخبار وهران والجزائر وإسبان وفرنسا إلي أواخر القرن التاسع عشر-، تح ودرا: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، 1990، ج1.

57.المقري أبو العباس أحمد بن محمد، أزهار الرياض في أخبار عياض، تح تع: مصطفي السقي وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1939،1358،مج1.

58.(ـــــــــــــــ)،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ، د.ط، 1408هـ،1988م، مج1، 05.

59.المقريزي ابو العباس(845ه/1442م)، الخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط02، 1987م، ج02.

60.المكناسي أبي العباس أحمدبن محمد بن القاضي(ت:1025هـ)، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، دار المنصور، الرباط، د. ط، 1973.

61.المنجور أحمد بن علي بن عبد الرحمن، فهرس أحمد المنجور(ت:995ه/1587م)، تح: محمد حجي، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1396هـ،1976م.

62.ابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري(ت:711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت،ط01،ب ت، مج 11،06 .

63.الناصر أبي رأس، لقطة العجلان في شرف الشيخ عبد القادر بن زيان وأنه من بني زيان ملوك تلمسان، در وتح: حمدادو بن عمر، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 1432هـ،2011م.

64.النميري ابن الحاج (ت:774هـ/1373)، فيض الغباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، در وإع: محمد بن شقرون، بيروت دار الغرب الإسلامي، ط01، 1996، ج01.

65.وابن حوقل أبي العباس، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط02، 1938.

66.الورداني علي بن سالم ، الرحلة الأندلسية، تح: عبد الجبار الشريف، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، مارس 1984م.

67.الوزان حسن بن محمد الفاسي (ت: 957هـ/1550م)، وصف افريقيا، تر: محمد الحجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط02، 1983م، ج02.

68.الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي(ت:914هـ/1511م)، المعيار المعرب والجامع المعرب عن فتاوي أهل إفريقيا والأندلس والمغرب،إش: أحمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤن المغربية، المملكة المغربية ، د ط:1401هـ/ 1981م، ج06.

69.ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله (ت: 626هـ)، معجم البلدان، دار الصادر، بيروت،د ط، 1404هـ/1984م، مج: 11،6،2.

المراجع:

70. إبراهيم بحاز بكير الدولة الرستمية -دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية-، القرارة نشر جمعية التراث، ط01، 1985.

71. أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، جدة، دار البيان العربي، د ط، د ت.

72. براهمي نصر الدين ، سيدي موسى محمد النقادي، تلمسان الذاكرة، منشورات ثالة، الجزائر، ط2، 2010.

73. بلعربي خالد ، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن-دراسة تاريخية وحضارية 633-681هـ/1235-1282م، دار الألمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2011.

74. بلغيث محمد الأمين ، دراسة في تاريخ الغرب الإسلامي، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2011.

75. (ـــــــــــــ)، النظرية السياسية عند المرادي وأثرها في المغرب والأندلس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1989.

76. بن قربة صالح ، تاريخ الجزائر في العصور الوسطى من خلال المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، د ط، 2007.

77. بوباية عبد القادر ، المؤنس في تاريخ المغرب والأندلس، دار كوكب العلوم، الجزائر ، ط01، 1432هـ/2011م،

78. (ـــــــــــــ)، مصادر ومراجع تاريخ المغرب الأوسط خلال العهد الوسيط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،د ط، 2014.

79. بوخالفة عربي، شواهد الإحسان على مآثر المحروسة تلمسان، طبع وزارة الثقافة، الجزائر، 2011.

80. بوعزيز يحي ، الموجز في تاريخ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1999م، ج01.

81. (ـــــــــــــ)، مدينة وهران ويليه تلمسان عاصمة الغرب الأوسط ويليه المساجد العتيقة، في الغرب الجزائري، عالم المعرفة الجزائر، ط:خ، 2009.

82. بوعصبانة عمر بن لقمان حمو سليمان ، معالم الحضارة الإسلامية بورجلان من سقوط الدولة الرستمية إلى خراب سدراتة (296هـ-962م)، دار نزهة الألباب، غرداية، د.ط، 2012م.

83. بوعياد محمد ، جوانب من الحياة في المغرب الأوسط في القرن 09هـ/15م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2011.

84. بوكريديمي نعيمة ، الرحلة العلمية لعلماء تلمسان إلى فاس من خلال القرنين الثامن هجري والرابع عشر ميلادي (08هـ/14م)، دار الغرب ، الجزائر، د ط، 2012م.

85. التليسي بشير رمضان ، الاتجاهات الثقافية في الغرب الإسلامي- خلال لقرن الرابع الهجري العاشر الميلادي-، دار المدار الإسلامي، بيروت ، ط01، 2003.

86. توات الطاهر، شخصيات تلمسان ومظاهر من الثقافة الإسلامية، دار الهدى الجزائر، 2011.

87. الجبور أحمد إسماعيل و الصميدعي خولة محمود ، تاريخ العلوم عند المسلمين،عمان، دار الفكر، ط1، 1435هـ ـ 2014م.

88. الجنحاني الحبيب ، دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط02، 1986م.

89. حاجيات عبد الحميد ، أبو حمو موسى الزياني حياته وأثاره، عالم المعرفة ، الجزائر، ط1، 2011.

90. (ـــــــــــــ)، دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب الإسلامي، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2011، مج02.

91. حرز الله محمد العربي ، تلمسان مهد حضارة وواحة ثقافة، دار السبيل، الجزائر، ط01، 2011.

92. الحريري محمد عيسى ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610هـ-1213م/869هـ-1465م) دار القلم للنشر والتوزيع،الكويت،ط02، 1408هـ/1987م

93. الحسن السائح، الحضارة الإسلامية بالمغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط02، 1406هـ،1986م.

94. الحسن عيسى، أعظم شخصيات التاريخ، مرا: تد عبد الله المغربي، دار الأهلية، الأردن، ط 1، 2010م.

95. حميش عبد الحق ، سير أعلام تلمسان، دار التوفيقية، الجزائر، د ط، 2011.

96. (ـــــــــــــ)، و بوكراع بن ساعد محفوظ ، موسوعة تراجم علماء الجزائر-علماء تلمسان والتوات-، دار زمورة الجزائر،2011.

97. الدراجي بوزيان ، أدباء وشعراء من تلمسان، دار الأمل، الجزائر،د ط، 2011، ج01.

98. الزركلي خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002، ج 5،07.

99. سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي في القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16-20م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط 02، 1405هـ،1985م، ج2،1.

100. سعيدي عثمان، الجزائر في التاريخ، شركة دار الأمة، الجزائر،د ط، 2013.

101. سعيدي عياد، موقع تلمسان في تاريخ المدارس الفكرية في العالمين العربي والإسلامي، بن مرابط، الجزائر، ط1، 2011.

102. السيد عبد العزيز سالم، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، ط01، د ت.

103. سيدي موسى محمد الشريف ، مدينة بجاية الناصرية -دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية-، دار كرم الله، الجزائر ، د ط، 2011م.

104. شاوش محمد بن رمضان بن الغوثي، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1995م.

105. شقرون محمد بن أحمد، الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة العربية، الدار البيضاء، د ط، 1985،1406.

106. صاري الجيلالي ، تلمسان الزيانية - إرهاصات ظهور الدولة الجزائرية في العصر الحديث-، تر: مسعود حاج مسعود، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2011.

107. الصعيدي عبد الحكم عبد اللطيف ، الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ، ط01، 1416هـ/1996م.

108. الطاهر توات، ابن خميس شاعر تلمسان الأكبر، الجزائر، دار الأوطان، 2011.

109. الطمار محمد ، تاريخ الأدب الجزائري، تق: عبد الجليل مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2006م.

110. الطمار محمد بن عمرو، تلمسان عبر العصور - دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1984م.

111. الطويل أحمد، في الحضارة العربية التونسية، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، د ط، د ت.

112. طويل الطاهر، المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، ط01، 2011م.

113. عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط: 7، 1415هـ، 1994،ج2.

114. عبد الرزاق محمود إسماعيل ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري، دار الثقافة، المغرب، ط02، 1406هـ،1985م.

115. عبد العزيز محمد عادل، التربية الإسلامية أصولها وتأثيراتها الأندلسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر،د ط، 1987م.

116. عبدلي لخضر ، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بين عبد الواد، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط01، 2011.

117. عبدلي لخضر ، تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان (633-962هـ/1236-1554م)، دار الأوطان، الجزائر، ط01، 2011.

118. العروي عبد الله ، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،ط02، 2009، ج01.

119. عمارة علاوة ، دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، د ط، 2008.

120. عويس عبد الحليم ، دولة بني حماد، صفحات رائعة من تاريخ الجزائر، دار الصحوة لنشر والتوزيع، القاهرة ، ط02، 1411هـ،1991م.

121. فراح عبد العزيز ، تلمسان المحراب، تر : إنعام بيوض وآخرون، منشورات أيبك، الجزائر،ط1، 2011.

122. الفروخ عمر ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملاين، بيروت، ط 4، 1981،ج:6.

123. فيلالي عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني، ــدراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافيةــ، موفيم للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2007م، ج1،2 .

124. قريان عبد الجليل، التعليم بتلمسان في العهد الزياني، جسور لنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 2011.

125. الكعاك عثمان ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تق ومر: أبوالقاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2003.

126. محمد نبيلة حسن ، في المكتبة التاريخية ومناهج البحث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، د ط، 2006.

127. المنوني محمد ، المصادر العربية لتاريخ المغرب (من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث)، الدار البيضاء، مؤسسة النشر والتوزيع، د ط، 1404هـ/1983م، ج01.

128. نقادي سيدي محمد، إسهامات العلامة الآبلي بالحياة الفكرية بحواضر المغرب، طبع بالمؤسسات الوطنية للفنون المطبعية الجزائر، د ط، 2011.

129. نهيم محمد حسين، آداب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت،د ط، 1978م.

130. نويهض عادل: معجم أعلاه الجزائر، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ،مكتبة النويهض الثقافية، بيروت، ط02، 1400هـ،1980م.

المجلات:

131.أحقوا علي، "**الوزير الكبير نظام الملك السلجوقي صاحب تجربة المدارس النظامية محاولة تطوير التعليم في العالم الإسلامي**"، مجلة: آفاق الثقافة والتراث، مركز الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربية المتحدة، 1432هـ/2011م، ع:74.

132.اقروفة زبيدة ، "**التواصل الفكري بين حاضرتي بجاية وتلمسان**"، مجلة: العلاقات العلمية والحضارية بين زواوة وتلمسان، دار الأمل، الجزائر،د ط، 2011.

133.بالعربي خالد، **المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني (698ــ845هـ/ 1299ــ1442م)**". مجلة كان التاريخية ،دار ناشري، الكويت، ع4.

134.بلمدني نوال، " **ابن مرزوق الخطيب وكتاب المناقب المرزوقية** ." مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران ، الجزائر، ع: 3، 4,1432هـ ـ 2011م/ 1433ه 2012م.

135.البوعبدلي المهدي: "**أهم الأحداث الفكرية بتلمسان عبر التاريخ ونبذة مجهولة من تاريخ حياة بعض أعلامها**"، مجلة الأصالة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 1395 الجزائر، 1975،ع:26.

136.بوعزيز يحي ، "**ماضي مدينة تلمسان وأمجادها الحضارية،**" مجلة: مآثر تلمسان ماضيا وحاضرا، جمع وتع: محمد بوزواوي، الجزائر، القافلة للنشر والتوزيع، 2011.

137.حاجيات عبد الحميد، "**يحي بن خلدون وكتابه بغية الرواد**."مجلة عصور الجديدة،الجزائر، جامعة وهران، ع: 3.

138.(ـــــــــــــــ)، "**تلمسان مركز إشعاع ثقافي في المغرب الأوسط**"، مجلة: الحضارة الإسلامية، وهران،1993م،ع:01.

139.الحلاق حسن ، "**عطاء العرب الحضاري في ميدان التاريخ**"، مجلة :آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث الإمارات العربية المتحدة، 1418هـ ـ 1997م، ع: 17.

140.حلول هادي، "**الرحلة إلى طلب العلم في تلمسان في العهد الزياني القرن (7-9هـ/13-15م)**" مجلة:كان التاريخية، دار ناشري، الكويت، 1435هـ،2014، ع:25.

141.زكري لامعة ، "**الرحلة العلمية ودورها في إثراء المجال العلمي: المفهوم والدوافع، والأنواع**"، مجلة كان التاريخية، دار ناشري، الكويت ،1435هـ، 2013، ع: 22.

142.زيدور حميد ، "**التاريخ والمؤرخون في ورجلان الإباضة على عهد الموحدين: أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني نموذجا**"، مجلة: عصور الجديدة، القدس العربي، وهران،1432هـ-2011م/1433هـ-2012م، ع:03-04.

143.سعد الله أبو القاسم "**تلمسان قطب الأفكار والعلماء في العهد الزيان**"، تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، ملتقى دولي تاريخ حاضرة تلمسان ونواحيها، أيام 20-21-22 جامعة تلمسان، 2011.

144.سعدو التالية، "**الحياة الفكرية بالدولة الرستمية وإسهامات المرأة الإباضية فيها**"، مجلة :عصور الجديدة، جامعةوهران،الجزائر، 2011، ع:01.

145.سلوي الزاهري،"**المناقب المرزوقية لابن مرزوق التلمساني**"، مجلة: عصور الجديدة، جامعة وهران، الجزائر، ع 6ــ7.

146.فاضل لخضر ، "**تمحيص الرواية التاريخية عند ابن لدون والمؤرخون القدامى**"، مجلة عصور الجديدة، وهران دار القدس العربي، 1433-1434هـ/2012،ع: 07-08.

147.فلاق محمد ، **'المشهد العلمي والثقافي في زواوة وتلمسان في القرنين السابع والثامن للهجري'**، مجلة: العلاقات العلمية والحضارية بين زواوة وتلمسان، دار الأمل، الجزائر،د ط، 2011.

148.القاضي وداد ، "**النظرية السياسية لسلطان أبي حمو موسي الزياني الثاني ومكانها بين النظريات السياسية المعاصرة لها**"، مجلة مآثر تلمسان ماضيا وحاضرا

149.قرمان عبد القادر ، "**المؤسسات التعليمية خلال العهد العثماني**" مجلة: تلمسان الإسلامية بين التراث العمراني والمعماري والميراث الفني، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر ملتقى دولي بتلمسان أيام 3، 4، 5 اكتوبر 2011، ج01.

150.مراعي سمير، "**مكانة النظرية السياسية عند أبي حمو موسي الثاني(723ــ 791هـ/ 1323 ــ1389م)**"، مجلة كان التاريخية ، دار ناشري، الكويت،1435هـ، 2014م، ع:24.

151.موساوي أحمد ، "**الأمير الأمازيغي أبو حمو موسي الثاني رحلة سلطان ورحلة الشعر**،"مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، 2008،ع:07.

المراجع المترجمة:

152. بروسلار شارل ، شواهد وقبور سلاطين وأمراء بني زيان الملتقطة في روضاتهم الملكية بمدينة تلمسان، تر وتع: شرقي الزرقي، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2011.

153.تادايوش ليفيتسالي، دراسات شمال افريقيا جمع وترتيب لبحوث ذات أبعاد، تاريخية اجتماعية ولغوية، تر: أحمد بومزقو، مؤسسة تاوالت الثقافية، الولايات المتحدة الأمريكية، د ط، 2005م، ج01.

154.روبار برنشفيك، تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،ط01، 1988م، ج01.

155.كلود كاين جان سوفاجيه ، مصادر دراسات التاريخ الإسلامي، تر: عبد الستار حلوجي، عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلي لثقافة، د م، د ط، 1998.

المراجع الأجنبية:

156..Bargés JEAN Jozephe Heandre,Complement de l'histoire des Beni zeiyan rois de tlemcen,révision,et presentation:molés amine, alger , dar alife , 2011.

157.fatima Zohra Bouzinz, tlimcen capitale musulmane le siecle d'or du maghreb central, alger,
Editions, Dalimen,2011

الأطروحات والمذكرات الجامعية:

158.بوشقيق محمد ، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14-15م) أطروحة لنيل شهادة الدكتراه في التاريخ الوسيط تلمسان، جامعة أبي بكر بلقايد، 1431هـ-1432/2010-2011م.

159.الشريخي نبيل، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، إ ش: خالد كبير علال، المدرسة العليا للأساتذة ، قسم التاريخ، الجزائر،2009ـ 2010م

المواقع الالكترونية:

160.عمارة علاوة ، "**كتابة التاريخ في المغرب الإسلامي الوسيط**"، موقع: مكتبتنا العربية، 2015، 9:00.
www.almaktabah.net

.

الفهرس

الفهرس

شكر

إهداء

مقدمة ..... أ

مدخل: تطور الكتابة التاريخية في المغرب الأوسط ما بين القرنين (1–7هـ/7–13م) 10

الفصل الأول

العوامل المساعدة على الكتابة في العهد الزياني

أولا: تشجيع السلاطين الزيانين للعلم والعلماء: 31

– استقطاب العلماء: 31

– إنشاء المراكز العلمية "المدارس": 38

– التنافس العلمي بين السلاطين في المغرب الإسلامي: 46

ثانيا: التعليم في العهد الزياني ومنهجه: 50

– مراحل التعليم في العهد الزياني: 51

– طرق التعليم :..... 52

ثالثا: الرحلة العلمية ودورها في ازدهار حركة التأليف على العهد الزياني: 54

– تعريف الرحلة وأنواعها: 54

– الرحلة العلمية لعلماء المغرب الأوسط إلى المشرق الإسلامي:..... 59

– التبادل علمي بين علماء تلمسان والمغربين الأقصى والأدنى:..... 60

– الحركة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط وأثرها في الازدهار العلمي: 64

الفصل الثاني

حركة التأليف التاريخي بتلمسان الزيانية

أولا: الإنتاج التاريخي:..... 69

– المؤلفات التاريخية: 69

- مؤلفات التراجم والمناقب :..... 75
- مؤلفات النوازل الفقهية: 81
ثانيا: دراسة نقدية للكتابة التاريخية. 82
- مسار الكتابة التاريخية خلال الفترة الزيانية : 82
- طبيعة الإنتاج التاريخي:..... 88

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية لنموذجي المناقب والسياسة

أولا: كتاب المناقب المرزوقية لابن مرزوق الخطيب (710–781هـ/ 1310–1379) 95
- التعريف بابن مرزوق الخطيب:. 95
- دراسة نقدية لكتاب المناقب المرزوقية: 115
ثانيا: كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك لأبي حمو موسي الثاني(723–791هـ/1323–1389م) 122
- نبذة عن حياة أبي حمو موسى الثاني :.....122
- دراسة نقدية لكتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك:. 132
خاتمة 150
الملاحق 154
قائمة المصادر والمراجع..... 158
الفهرس 174